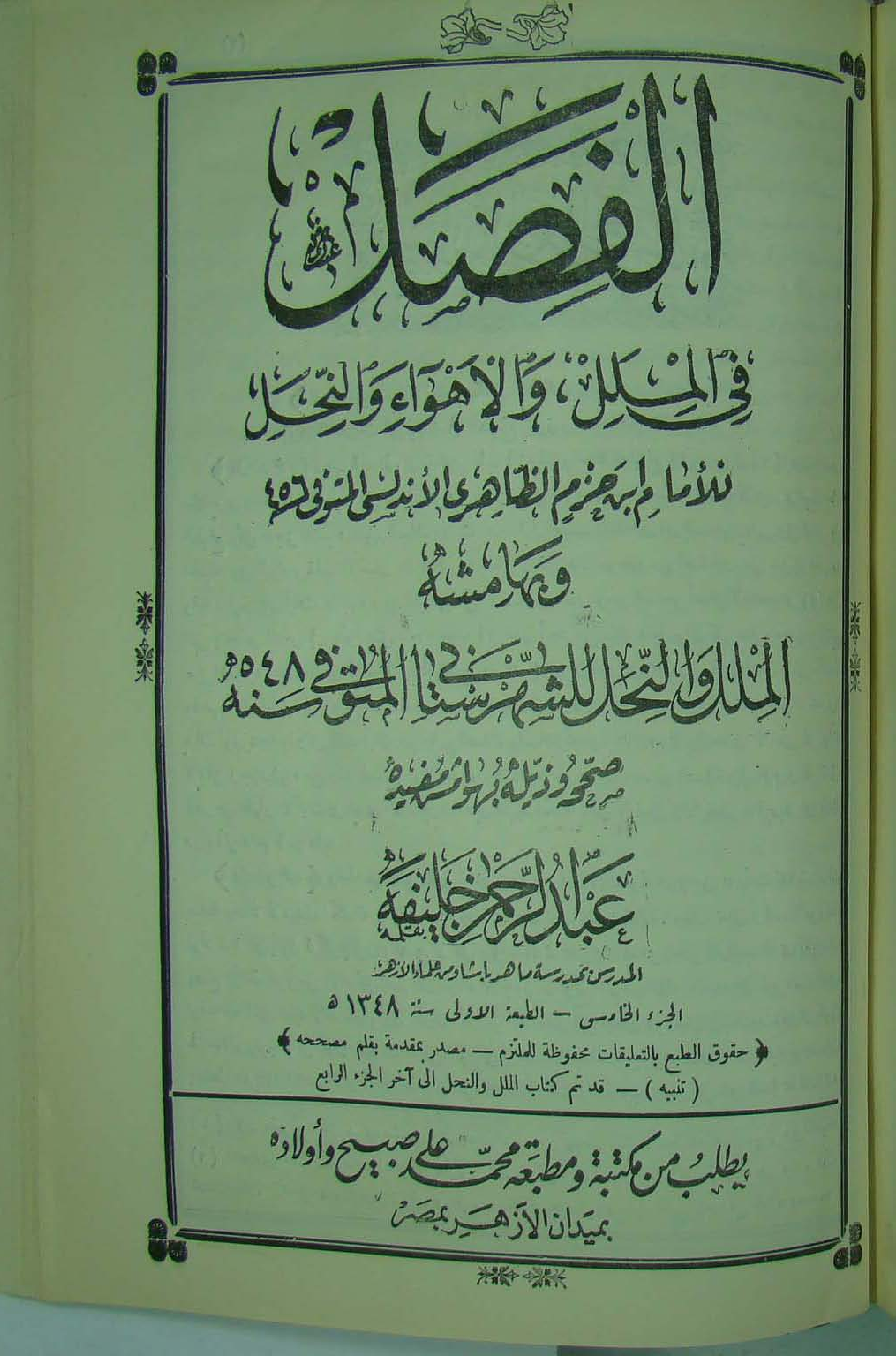


الفصل

في الملل والأهواء والنحل

للإمام ابن حزم الظاهري الأندلسي المتوفى ٤٥٦ ه

وبهامشه

الملل والنحل للشهرستاني المتوفى سنة ٥٤٨ ه

صححه وذيله بحواش مفيدة

عبد الرحمن خليفة

المدرس بمدرسة ماهر باشا ومن علماء الأزهر

الجزء الخامس — الطبعة الأولى سنة ١٣٤٨ ه

(تنبيه) — قد تم كتاب الملل والنحل الى آخر الجزء الرابع

يطلب من مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده

بميدان الأزهر بمصر



﴿ المعاني التي يسميها اهل الكلام اللطائف والكلام في السحر ﴾
(وفي المعجزات التي فيها احالة الطبائع يجوز واحدها لغير الانبياء أم لا)

﴿ قال ابو محمد) ذهب قوم الى ان السحر قلب للاعيان واحالة للطبائع وانهم يرون (١) اعين الناس مالا يرى واجازوا للصالحين على سبيل كرامة الله عزوجل لهم اختراع الاجسام وقلب الاعيان وجميع احالة الطبائع وكل معجز للانبياء عليهم السلام ورأيت لمحمد ابن الطيب الباقلاني ان الساحر يمشي على الماء على الحقيقة وفي الهواء ويقلب الانسان حمارا على الحقيقة وان كل هذا موجود من الصالحين على سبيل الكرامة وانه لافرق بين آيات الانبياء وبين مايظهر من الانسان الفاضل ومن الساحر أصلا الابالتحدي (٢) فان النبي يتحدى الناس بان يأتوا بمثل ماجاء هو به فلا يقدر أحد على ذلك فقط وان كل مالم يتحد به النبي صلى الله عليه وسلم الناس فليست آية له وقطع بان الله تعالى لايقدر على اظهار آية على لسان متنبيء كاذب وذهب اهل الحق الى انه لايقلب احد عينا ولايحيل طبيعة الا الله عز وجل لانبيائه فقط سواء تحدوا بذلك أولم يتحدوا وكل ذلك آيات لهم عليهم الصلاة والسلام تحدوا بذلك ام لا والتحدي لامعنى له وانه لايمكن وجود شيء من ذلك لصالح ولالساحر ولالاحد غير الانبياء عليهم الصلاة والسلام والله تعالى قادر على اظهار الآيات على ايدي الكذابين المدعين للنبوة لكنه تعالى لايفعل كما لايفعل مالايريد ان يفعله من سائر ماهو قادر عليه

﴿ قال ابو محمد ﴾ وهذا هو الحق الذي لايجوز غيره برهان ذلك قوله عزوجل * وتمت كلمت ربك صدقا وعدلا لامبدل لكلماته * وقال عزوجل . وعلم آدم الاسماء كلها . وقال تعالى . انما أمره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون : فصح ان كل مافي العالم مما قدرتبه الله عز وجل الترتيب الذي لايتبدل وصح ان الله عزوجل اوقع كل اسم على مسماه فلايجوز ان يوقع اسم من تلك الاسماء على غير مسماه الذي اوقعه الله تعالى عليه لانه كان يكون تبديلا لكلمات الله تعالى التي ابطل عزوجل ان تبدل ومنع من ان يكون لها مبدل ولوجاز ان تحال صفات مسمى منها التي بوجودها فيه استحق وقوع ذلك الاسم عليه لوجب ان يسقط عنه ذلك الاسم الذي أوقعه الله تعالى عليه فاذ ذلك كذلك فقد وجب ان كل مافي العالم مما قد رتبه

---

(١) يرون بضم أوله فثانيه اي يشبهون على اعين الناس ايرونهم من الاشياء المتخيلة ما ليس بمرئي على الحقيقة
(٢) التحدي طلب المعارضة وأصله من تماري الحادين في الحداء ومعارضة كل منهما الآخر فيه ويقال تحديت فلانا اذا باريته ونازعته الغلبة وهو في عرف المتكلمين عبارة عن قول النبي آية صدقي كذا اه مصححه

الله على ما هو عليه من فصوله الذاتية وانواعه واجناسه فلا يتبدل شيء منه قطعا الاحيث قام البرهان على تبدله وليس ذلك الاعلى احد وجهين اما استحالة معهودة جارية على رتبة واحدة وعلى مابنى الله تعالى عليه العالم من استحالة المني حيوانا والنوى والبزور شجرة ونباتا وسائر الاستحالات المعهودات واما استحالة لم تعهد قط ولا بنى الله تعالى العالم عليها ولذلك قد صح للانبياء عليهم السلام شواهد لهم على صحة نبوتهم وجود ذلك بالمشاهدة ممن شهدهم ونقله الى من لم يشاهدهم بالتواتر الموجب للعلم الضروري فوجب الاقرار بذلك وبقى ماعدا أمر الانبياء عليهم السلام على الامتناع فلا يجوز البتة وجود ذلك لامن ساحر ولا من صالح بوجه من الوجوه لانه لم يتم برهان بوجود ذلك ولاصح به نقل وهو ممتنع في العقل كما قدمنا ولوكان ذلك ممكنا لاستوى الممتنع والممكن والواجب وبطلت الحقائق كلها وامكن كل ممتنع ومن لحق هاهنا لحق بالسوفسطائية على الحقيقة ونسال من جوز ذلك للساحر والفاضل هل يجوز لكل احد غير هذين ام لايجوز الا لهذين فقط فان قال ان ذلك للساحر والفاضل فقط وهذا هو قولهم سالناه عن الفرق بين هذين وبين سائر الناس ولا سبيل لهم الى الفرق بين هؤلاء وبين غيرهم الا بالدعوى التى لايعجز عنها احد وان قالوا ان ذلك جائز ايضا لغير الساحر والفاضل لحقوا بالسوفسطائية حقا ولم يثبتوا حقيقة وجاز تصديق من يدعى أنه يصعد الى السماء ويرى الملائكة وانه يكلم الطير ويجتنى من شجر الخروب التمر والعناب وان رجالا حملوا وولدوا وسائر التخليط الذى من صار اليه وجب ان يعامل بما هو اهله ان امكن اوان يعرض عنه لجنونه وقلة حيائه

﴿قال ابو محمد﴾ لافرق بين من ادعى شيئا مما ذكرنا لفاضل وبين دعوى الرافضة رد الشمس على علي بن ابى طالب مرتين حتى ادعى بعضهم ان حبيب بن اوس قال

فردت علينا الشمس والليل راغم * بشمس لهم من جانب الخدر تطلع

نضا ضوءها صبغ الدجنة وانطوي * لبهجتها فوق السماء المرجع

فوالله ما ادرى على بدا لنا * فردت له ام كان فى القوم يوشع

وكذلك دعوى النصارى لرهبانهم وقدمائهم فانهم يدعون لهم من قلب الاعيان اضعاف ماادعيه هؤلاء وكذلك دعوى اليهودى لاحبارهم ورؤس المثايب عندهم ان رجلا منهم رحل من بغداد الى قرطبة فى يوم واحد وانه اثبت قرنين فى رأس رجل مسلم من بنى الاسكندرانى كان يسكن بقرطبة عند باب اليهود وهذا كله باطل موضوع وبنو الاسكندرانى كانوا اقواما اشرافا معروفين لم يعرف لاحد منهم شيء من هذا والحماقة لاحد لها وهذا برهان كاف لمن نصح نفسه

﴿قال ابو محمد﴾ واما السحر فانه ضروب منه ماهو من قبل الكواكب كالطابع المنقوش فيه صورة عقرب فى وقت كون القمر في العقرب فينفع امساكه من لدغة العقرب ومن هذا الباب كانت الطلاسمات وليست احالة طبيعة ولاقلب عين ولكنها قوى ركبها الله عزوجل مدافعة لقوى اخر كدفع الحر للبرد ودفع البرد للحر وكقتل القمر للدابة الدبرة اذا لاقى الدبرة ضوءه اذا كانت دبرتها(١) مكشوفة للقمر ولايمكن دفع الطلسمات لانناقد شاهدنا بأنفسنا آثارها ظاهرة الى الآن من قرى لاتدخلها جرادة ولايقع فيه برد وكسرى قسطه التى لايدخلها جيش الاان يدخل كرها وغير ذلك كثير جدا لاينكره الامعاند وهى اعمال قد ذهب من كان يحسنها جملة وانقطع من العالم ولم يبق الا آثار صناعاتهم فقط ومن هذا الباب كان ماتذكره الاوائل فى كتبهم فى الموسيقا وانه كان يؤلف به بين الطبائع وينافر به ايضا بينها ونوع آخر

(١) الدبرة بالتحريك قرحة الدابة والبعير من دبر البعير يدبر كفرح فهو دبر وأدبر والانثى دبرة كفرحة ودبراء كشوهاء

معروفة ايضا يحدث لذلك من السحر يكون بالرقى (١) وهو كلام مجموع من حروف مقطعة فى طوالع التركيب قوة تستثار بها الطبائع وتدافع قوى أخر وقد شاهدنا وجربنا من كان يرقى الدمل الحاد القوى الظهور فى أول ظهوره فيبس يبدأ من يومه ذلك بالذبول ويتم يبسه فى اليوم الثالث ويقلع كما تقلع قشرة القرحة اذا تم يبسها جربنا من ذلك مالا نحصيه وكانت هذه المرأة ترقى احد دملين قد دفعا على انسان واحد ولا ترقى الثانى فييبس الذى رقت ويتم ظهور الذى لم ترق ويلقى حامله منه الاذى الشديد وشاهدنا من كان يرقى الورم المعروف بالخنازير فيندمل ما يفتح منها ويذبل مالم ينفتح ويبرأ كل ذلك البرء التام كان لا يزال يفعل ذلك فى الناس والدواب ومثل هذا كثير جدا وقد اخبرنا من خبره عندنا كمشاهدتنا لثقته وتجربتنا لصدقه وفضله انه شاهد مالا يحصى نساء يتكلمن على الذين يمخضون (٢) الزبد من اللبن بكلام فلا يخرج من ذلك اللبن زبد ولا فرق بين هذين الوجهين وبين ملافاة فضلة الصفراء بالسقمونيا وملافاة ضعف القلب بالكندر وكل هذه المعاني جارية على رتبة واحدة من طلب علم ذلك أدركه ومنه ما يكون بالخاصة كالحجر الجاذب للحديد وما اشبه ذلك ومنه ما يكون لطف يد كحيل ابي العجائب التى شاهدها الناس وهى اعمال لطيفة لا تحيل طبعا اصلا

﴿قال ابو محمد﴾ وكل هذه الوجوه التى ذكرناها ليست من باب معجزات الانبياء عليهم السلام ولا من باب ما يدعيه اهل الكذب للسحرة والصالحين لان معجز الانبياء هو خارج عن الرتب وعن طبائع كل ما فى العالم وعن بنية العالم لا يجرى شيء من ذلك على قانون ولا على سنن معلوم لكن قلب عين واحالة صفات ذاتية كشق القمر وفلق البحر واختراع طعام وماء وقلب العصا حية واحياء ميت قد أرم وأخراج ناقة من صخرة ومنع الناس من يتكلموا بكلام مذكور أومن ان يأتوا بمثله وما اشبه هذا من احالة الصفات الذاتية التى بوجودها تستحق الاسماء * ومنها تقوم الحدود وهذا بعينه هو الذى يدعيه المبطلون للساحر والفاضل

(قال ابو محمد) وانما يلوح الفرق جدا بين هذين السبيلين لاهل العلم بحدود الاسماء والمسميات وبطبائع العالم وانقسامه من مبدئه من اجناس اجناسه الى انواعه الى اشخاصه وما هو من اعراضه ذاتى وما هو منها غيرى وما يسرع الاستحالة والزوال من الغيرى منها وما يبطىء زواله منها وما يثبت منها ثبات الذاتى وان لم يكن ذاتيا والفرق بين البرهان و بين ما نظن انه برهان وليس برهانا والحمد لله على ما وهب وانعم به علينا لا اله الا هو حدثنا محمد بن سعيد بن بياني ثنا احمد بن عبد البصير قال ثنا قاسم بن أصبغ ثنا محمد بن عبد السلام الخشني ثنا محمد بن المثنى ثنا عبد الرحمن ابن مهدى ثنا سفيان الثورى عن ابي اسحاق الشيباني عن بشير بن عمرو قال ذكر الغيلانى عند عمر بن الخطاب فقالوا انهم يتحولون فقال عمر انه ليس أحد يتحول عن خلقه الذى خلق له ولكن لهم سحرة كسحرتكم فاذا خشيتم شيئا من ذلك فاذنوا فهذا

---

(١) الرقى بضم ففتح جمع رقية بضم فسكون وهى العوذة التى يرقى بها المحموم أو المصروع ونحوهما من ارباب الافات وقد جاء فى بعض الاحاديث جوازها وفي بعضها النهى عنها ومن الجواز قوله استرقوا لها فان بها النظرة اي ظلبوا لها من يرقيها ومن النهى عنها قوله لا يسترقون ولا يكتوون وعلى ربهم يتوكلون ووجه الجمع بين الاحاديث ان الرقى يكره منها ما كان بغير اللسان وبغير اسماء الله تعالى وكلامه وان يعتقد أنها نافعة فيتكل عليها ولا يكره منها ما كان بالرقى المروية من غير أن يعتقد فيها تاثيرا أو نفعا اه مصححه

(٢) يمخضون بفتح عين الفعل وكسرها وضمها ثلاث لغات من مخض اللبن يمخضون مخضا فهو ممخوض ومخيض أخذ زبده

عمر رضى الله عنه يبطل احالة الطبائع وهذا نص قولنا والحمد لله رب العالمين كثيرا وقد نص الله عز وجل على ما قلناه فقال تعالى * فاذا حبالهم وعصيهم يخيل اليه من سحرهم انها تسعى * فاخبر تعالى ان عمل أولئك السحرة انما كان تخييلا لا حقيقة له وقال تعالى * انما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى * فاخبر تعالى انه كيد لا حقيقة له فان قيل قد قال الله عز وجل * سحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاؤا بسحر عظيم * قلنا نعم انها حيل عظيمة واثم عظيم اذ قصدوا بها معارضة معجزات رسول الله صلى الله عليه وسلم وانهم كادوا عيون الناس اذ أوهموهم ان تلك الحبال والعصى تسعى فانتقمت الايات كلها والحمد لله رب العالمين وكان الذى قدر ممن لايدرى حيلهم من أنها تسعي ظنا أصله اليقين و ذلك انهم رأوا صفة حيات رقط (١) طوال تضطرب فسارعوا الى الظن وقدروا انها ذوات حيات ولوا منعوا الظن وفتشوها لوقفوا على الحيلة فيها وانها ملئت زئبقا ولذا فيها تلك الحركات كما يفعل العجائبي الذى يضرب بسكينة فى جسم انسان فيظن من رآه ممن لايدرى حيلته ان السكين غاصت فى جسد المضروب وليس كذلك بل كان نصاب السكين مثقوبا فقط فغاصت السكين فى النصاب وكاد خاله خيطا فى حلقة خاتم يمسك انسان منهم طرفى الخيط بيديه ثم ياخذ العجائبى (٢) الخاتم الذى فيه الخيط بفيه وفى ذلك المقام ادخله تحت يده وكان فى فيه خاتم اخرى يري من حضر حلقة الخاتم الذى فى فيه يوهمهم انه قد أخرجه من الخيط ثم يرد فمه الى الخيط ويرفع يديه وفمه فينظر الخاتم الذى كان فيه الخيط وكذلك سائر حيلهم وقد وقفنا على جميعها فهذا هو معنى قوله تعالى سحروا عين الناس واسترهبوهم أى انهم أوهموا الناس فيما رأوا ظنونا متوهمة لا حقيقة لها ولو فتشوها الاح لهم الحق وكذلك قوله تعالي * فيتعلمون منهما مايفرقون به بين المرء و زوجه * فهذا أمر ممكن يفعله النمام وكذلك ماروى ان النبى صلى الله عليه وسلم سحره لبيد بن الاعصم فولد ذلك عليه مرضا حتى كان يظن انه فعل الشيء وهو لم يفعله فليس فى هذا أيضا احالة طبيعية ولا قلب عين وانما هو تاثير بقوة لتلك الصناعة كما قلنا فى الطلسمات والرقى فلا فرق ونحن نجد الانسان يسب أو يقابل بحركة يغضب منها فيستحيل من الحلم الى الطيش وعن السكون الى الحركة والنزق حتى يقارب حال المجانين أو ربما أمرضه ذلك وقد قال عليه السلام ان من البيان لسحرا لان من البيان مايؤثر فى النفس فيثيرها او يسكنها عن ثورانها او يحيلها عن عزماتها وعلى هذا المعنى استعملت الشعراء ذكر سحر العيون لاستمالتها للنفوس فقط

﴿ قال ابو محمد ﴾* ويقال لمن قال ان السحر يحيل الاعيان ويقلب الطبائع اخبرونا اذا جاز هذا فاى فرق بين النبى صلى الله عليه وسلم والساحر ولعل جميع الانبياء كانوا سحرة كما قال فرعون عن موسي عليه السلام * انه لكبيركم الذى علمكم السحر . وان هذا المكر مكرتموه فى المدينة لتخراجوا منها اهلها . واذا جاز ان يقلب سحرة موسى عليه السلام عصيهم واحبالهم حيات وقلب موسى عليه السلام عصاه حية وكان كلا الامرين حقيقة فقد صدق فرعون بلاشك فى انه ساحر مثلهم الا انه أعلم منهم به فقط وحاشا لله من هذا بل ما كان فعل السحرة الا من حيل ابى العجائب فقط فان لجؤا الى ماذكره الباقلاني من التحدى قيل لهم هذا باطل من وجوه احدها ان اشتراط التحدى فى كون آية النبي آية دعوى كاذبة سخيفة لادليل على صحتها الا من قران ولا من سنة صحيحة ولا سقيمة ولا من اجماع ولا من قول صاحب ولا من حجة عقل ولا قال بهذا احد قط قبل هذه الفرقة الضعيفة وما كان هكذا فهو فى غاية السقوط والمجنة قال الله عز وجل . قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين . فوجب

(١) رقط جمع رقطاء كحمر وحمراء والرقطة كالجمرة سواد يشوبه نقط بياض

(٢) العجائبي مايسمى فى عرف اهل مصر بالحاوى

ضرورة ان من لابرهان له على صحة قوله فهو كاذب فيها غير صادق وثانيها . انه لو كان ماقالوا اسقطت اكثر آيات رسول الله صلى الله عليه وسلم كنبعان الماء من بين اصابعه واطعامه المئين والعشرات من صاع شعير وعناق (١) ومرة اخرى من كسر ملفوفة فى خمار وكتفله فى العين فجاشت بماء غزير الى اليوم وحنين الجذع وتكليم الذراع وشكوى البعير والذئب والاخبار بالغيوب وتمر جابر وسائر معجزاته العظام لانه عليه الصلاة والسلام لم يتحد بذلك كله احدا ولاعمله الابحضرة اهل اليقين من اصحابه رضى الله عنهم ولم يبق له آية حاشا القران ودعاء اليهود الى تمنى الموت (٢) وشق القمر فقط. وكفى تحسبا بقول أدى الى مثل هذا فان ادعوا انه عليه السلام تحدى بها من حضر وغاب كذبوا واخترعوا هذه الدعوى لانعلميات فى شيء من تلك الاخبار انه تحدى بها احدا وان تمادوا على ان كل هذه ليست معجزات ولاآيات اكذبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله اذ فعل ذلك اشهد انى رسول الله والثالث وهو البرهان الدافع وهو قول الله تعالى . واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها قل انما الآيات عند الله ومايشعركم انها اذا جاءت لايؤمنون . وقوله . ومامنعنا ان نرسل بالآيات الا ان كذب بها الاولون . فسمى الله تعالي تلك المعجزات المطلوبة من الانبياء عليهم السلام آيات ولم يشترط عز وجل في ذلك تحديا من غيره فصح ان اشتراط التحدى باطل محض وصح انها اذا ظهرت فهى آية كان هنالك تحد أولم يكن وقد صح اجماع الامة (٣) المتيقن على ان الآيات لايأتى بها ساحر ولاغير نبي فصح ان المعجزات اذا هى آيات لاتكون لساحر ولالاحد ليس نبيا والرابع انه لو صح حكم التحدى لكان حجة عليه لان التحدي عندهم يوجب ان لايقدر على مثل ذلك احد اذ لو امكن ان يوجد مثل ذلك من احد لكان قد بطل تحديه وقيل له قد وجد من يعمل مثل عملك هذا اما صالح واما ساحر والخامس انه لو كان ماقالوا وجاز ظهور معجزة من ساحر لايتحدى بها اوفاضل لايتحدى بها لامكن ان يتحدى لهما بها بعد موتهما من ضل فيهما كما فعلت الغلاة بعلى رضى الله عنه فعلى كل حال قولهم ساقط والحمد لله رب العالمين

(قال ابو محمد) واما من ادعى انه يشبه الساحر علي العيون فيريهم مالايرى فان هذه الطائفة لم تكتف بالكفر بابطال النبوات اذ لعل ماأتى به النبي ﷺ كان تشبيها علي العيون لاحقيقة له حتى رامت ابطال الحقائق كلها والهاعن اخرها ولحقت بالسوفسطائية لحاقا صحيحا بلاتكلف ويقال لهم اذا جاز ان يشبه علي العيون حتى يرى المشبه عليه مالاحقيقة له ولا تراه فما يدريكم لعلكم كلكم الآن مشبه علي عيونكم ولعل بعض السحرة قد شبه عليكم فاراكم انكم تتوضؤن وتصلون وانتم لاتعقلون شيئا من ذلك ولعلكم تظنون انكم تزوجتم وانما في بيوتكم ضان ولامعز ولعلكم الآن على ظهر البحر ولعل

---

(١) العناق الانثى من اولاد المعز وهو بفتح العين المهملة

(٢) أى فى قوله تعالى فتمنوا الموت ان كنتم صادقين ولن يتمنوه ابدا بما قدمت أيديهم فقد تحداهم النبي صلى عليه وسلم بطلب الموت ودعاهم الى تمنيه فلم يقع منهم ذلك لانهم لو تمنوه لنقل الينا ذلك كما غيره من الحوادث ولكان ناقلوه من أهل الكتاب اكثر من غيرهم وهذا من المعجزات لانه اخبار بالغيب اه مصححه

(٣) مذهب المتكلمين أن المعجزة أمر خارق للعادة أى ليس وقوعه من المعتاد كالسحر وما يوجد في بعض الاشياء من القوى المؤثرة وفي بعض الاجسام من الخواص يفعله الله سبحانه وتعالى مقارنا لدعوى الرسالة متحدى به من الرسول كاحياء الموتى وقلب العصا حية وابراء الاكمه والابرص فان ذلك وامثاله مما يفعله الله سبحانه عند دعوى الرسالة مقرونا بالتحدي ومن أئمة المتكلمين من ذهب الى جواز وقوع الامر الخارق على يد الولى لكن لاعن قصد منه واختيار لوقوعه ومنهم من ذهب الى ان كل ماوقع من الخوارق لنبى لايقع كرامة لولى ومنهم من صرح بمنع وقوع الخوارق مطلقا سواء كانت معجزة لنبى ام لا على يد ولى وهذا ماذهب اليه ابن حزم من أن احالة الطبائع (قال وتبديل الاعيان لايقع على يد ساحر ولا على يد عبد صالح اه مصححه

كل ماتعتقدون من الدين تشبيه عليكم وهذا كله لامخلص لهم منه وقد عاب الله عز وجل من ذهب الى هذا فقال * ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون لقالوا انما سكرت ابصارنا بل نحن قوم مسحورون * فلو جاز ان يكون للسحر حقيقة ويشبه مايأتي به الانبياء عليهم السلام وامكن ان يشبه على البصر ماذمهم الله عز وجل بان قالوا شيئا يمكن كونه لـكنهم لما قالوا مالا يمكن البتة وتعلقوا بذلك فى دفع الحقائق عابهم الله تعالى بذلك وانكره عليهم

(قال ابو محمد) وليس غلط الحواس فى بعض الاوقات من باب التشبيه عليها فى شيء لان احدنا قد يرى شخصا على بعد لايشك فيه الا انه سارع فقطع انه انسان او انه فلان فقطع بظنه ولو انه لم يعمل ظنه ولا قطع به لـكان باقيا على ماادرك من الحقيقة وهكذا فى كل ماحكم فيه المرء بظنه واما ذو الافة كمن فيه ابتداء نزول الماء فيرى خيالات لاحقيقة لها فهو ايضا كما ذكرنا وانما الماء المطل على حدقته يوهمه انه رأى شيا وقطع بذلك فاذا تثبت فى كل ذلك لاح له الحق من الظن وكذلك من فسد مكان التخيل من دماغه فان نفسه تظن مايتوهمه فتقطع به واو قوى تميزها لفرقت بين الحق والباطل وهكذا القول فى ادراك السمع والذوق وهذا كله يجري على رتب مختلفة بمن اعمل ظنه وعلى رتب غير مختلفة فى جمل هذه الاوقات بل هي ثابتة عند اهل التحقيق والمعرفة معروفة العلاج حتى يعود منها الى صلاحه مالم يستحكم فساده ولايظن ظان انه ممكن ان تكون فى مثل حال هؤلاء اذ لو كان هذا لم نعرف شيئا من العلوم على رتبه واحكامه الجارية على سنن واحد وبالله تعالى التوفيق ثم نسالهم باى شيء يعرفون انه لم يشبه على عيونكم فقد عرفنا كم نحن بماذا نعرف ان حواسنا سليمة وان عقولنا سليمة مادامت سالمة وبماذا نعرف الحواس المدخولة والعقول المدخولة وغير المدخولة وهو أجراء ماأدرك بالحواس السليمة والعقول السليمة على رتب محدودة معلومة لاتبدل عن حدودها ابدا واجراء ماادرك بالحواس الفاسدة والعقول المدخولة على غير رتب محدودة فانهم لايقدرون على فرق اصلا وبالله تعالى التوفيق

(قال ابو محمد) وكذلك ماذكر عمن ليس نبيا من قلب عين او احالة طبيعة فهو كذب الا ماوجد من ذلك فى عصر نبي فانه آية لذلك النبي وذلك الذى ظهرت عليه آية بمنزلة الجذع الذى ظهرت فيه الحنين والذراع الذى ظهر فيه النطق والعصا التى ظهرت فيها الحياة وسواء كان الذى ظهرت فيه الآية صالحا او فاسقا وذلك كنحو النور الذى ظهر فى سوط عمر بن حممة الدوسى وبرهان ذلك انه لم يظهر فيه بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم

(قال ابو محمد) فان قيل اذا اجزتم ان تظهر المعجزة فى غير نبي لـكن في عصر نبي لتكون آية لذلك النبي فهلا اجزتموه كذلك بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم لتـكون آية له ايضا ولافرق بين الامرين . قلنا انما اجزنا ذلك الشيء فى الجماد وسائر الحيوان وفيمن شاء الله تعالى اظهار ذلك فيه من الناس لانخص بذلك فاضلا لفضله ولا نمنع ذلك فى فاسق لفسقه اوكافر وانما ننكر على من خص بذلك الفاضل فجعلها كرامة له فلو جاز ذلك بعد موت النبى صلى الله عليه وسلم لاشكل الامر ولم تكن فى أمن من دعوى من ادعى انها آية لذلك الفاضل ولذلك الفاسق والانسان من الناس يدعيها آية له ولو كان ذلك لـكان اشكالا فى الدين وتلبيسا من الله تعالى على جميع عباده اولهم عن آخرهم وهذا خلاف وعد الله تعالى لنا واخباره بانه قد بين علينا الرشد من الغى وليس كذلك ما كان فى عصر النبى صلي الله عليه وسلم لانه لايكون الا من قبل النبى صلى الله عليه وسلم وباخباره وانذاره فبدت بذلك انها له لا للذى ظهرت منه وهذا فى غاية البيان والحمد لله رب العالمين

(قال ابو محمد) واما لذى روى في ذلك عن الثلاثة اصحاب الغار وانفراج الصخرة ثلثا ثلثا عند ما ذكروا اعمالهم فلا تعلق لهم به لان تكسير الصخرة ممكن في كل وقت ولكل احد بلا اعجاز وما كان هكذا انجاز وقوعه بالدعاء وبغير الدعاء لكن وقع وفاقا لتمنيه كمن دعا في موت عدوه او تفريج همه او بلوغ امنيته في دنياه ولقد حدثني حكم بن منذر بن سعيد ان اباه رحمه الله كان في جماعة في سفرة في صحراء فعطشوا وأيقنوا بالهلكة ونزلوا في ظل جبل ينتظرون الموت قال فاسندت رأسي الى حجر ناتيء فتاذيت به فقلعته فاندفع الماء العذب من تحته فشربنا وتزودنا ومثل هذا كثير مما يفرج وحق لو كانت معجزة لوجب بلا شك ان يكونوا انبياء او انبي ممن في زمن نبي لابد مما قدمناه

(قال ابو محمد) ولاعجب اعجب من قول من يجيز قلب الاعيان للساحر وهو عندهم فاسق أو كافر ويجيز مثل ذلك للصالح وللنبي وقد جاز عندهم قلب الاعيان للنبي وللصالح والفاسق والكافر فوجب ان قلب الاعيان جائز من كل احد وبؤسا لقول ادى الى مثل هذا وهم يجيزون للمغيرة بن سعيد وبيان ومنصور الكشف وقلب الاعيان على سبيل السحر وقد جاء بعدهم من يدعى لهم النبوة بها فاستوى عند هؤلاء المخذولين النبي والساحر نعوذ بالله من الضلال المبين

(قال ابو محمد) فان اعترضوا بقول الله تعالى * وقال ربكم ادعوني استجب لكم * وبقوله تعالى *أجيب دعوة الداع اذا دعان * فهذا حق وانما هو بلا شك انه في الممكنات التي علم الله تعالى انها تكون لا فيما في علم الله تعالى انها لا تكون ولا في المحال ونسالهم عمن دعا الى الله تعالى في أن يجعله نبيا اوفى ان ينسخ دين الاسلام او بان يجعل القيامة قبل وقتها او يمسخ الناس كلهم قردة او بان يجعل له عينا ثالثة او بان يدخل الكفار الجنة والمؤمنين النار وما اشبه هذا فان اجازوا كل هذا كفروا ولحقوا مع كفرهم بالمجانين وان منعوا من كل هذا تركوا استدلالهم بالايات المذكورة وصح ان الاجابة انما تكون في خاص من الدعاء لا في العموم وبالله تعالى التوفيق

﴿قال ابو محمد﴾ وصح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاسامة وخالد هلا شققت عن قلبه لتعلم أقالها متعوذا أم لا

﴿قال ابو محمد﴾ فلو جاز ظهور المعجزة علي غير نبي علي سبيل الكرامة لوجب القطع علي ما في قلبه وانه ولي الله تعالى وهذا لا يعلم من أحد بعد الصحابة رضي الله عنهم الذين ورد فيهم النص وأما قول الباقلاني ان الله تعالى لا يقدر على اظهار آية علي يد كذاب فهو داخل في جملة تعجيزه البارى تعالى وهو ايضا تعجيزه سخيف داخل في جملة المحال وذلك انه جعل الله تعالى قادرا علي اظهار الايات على كل ساحر (١) فان علم انه يقول انه نبي لم يقدر علي أن يظهرها عليه وهذا قول في غاية الفساد لان من قدر على شيء لم يجز أن يبطل قوته عليه علمه بان ذلك الذى يظهر فيه الفعل يقول أنا نبي ولا يتوهم هذا ولا يتشكل في العقل ولا يمكن البتة وانهم قوم اهملوا حكم الله تعالى عليهم وأطلقوا حكمهم عليه تعالى وما في الكفر اسمج من هذا ولا اطم ولا ابرد

﴿قال ابو محمد﴾ ورأيت للباقلاني في فصل من كلامه ان الناس ليسوا عاجزين عن مثل هذا القران ولا قادرين عليه ولا هم عاجزون عن الصعود الى السماء ولا عن احياء الموتى ولا عن خلق الاجسام ولا اختراعها ولا قادرين على ذلك هذا نص كلامه دون تاويل منا عليه ثم قال ان القدرة لا تقع الا حيث يقع العجز (قال ابو محمد) وكل هذا هوس لا ياتي به الا الممرور (٢) وأطم من ذلك احتجاجه بان العجز لا يقع الا

---

(١) اى ان الله تعالى فيما ذهب اليه الباقلانى قادر علي اظهار الخوارق علي يد ساحر او فاضل مالم يدع النبوة فان ادعاها كان كذابا والله تعالى لا يقدر على تاديب كذاب باظهار الاية على يده

(٢) الممرور الذى غلبت عليه المرة وهى مزاج من أمزجة البدن اذا انحرف سبب لصاحبه اختلاطا وهذيانا

حيث

حيث تقع القدرة ولا ندري في أي لغة وجد هذا الكذب أم في أي عقل وجد هذا السخف وما شك ذو علم باللغة من الخاصة والعامة في بطلان قوله وفي أن العجز ضد القدرة وان ما قدر الانسان عليه فلم يعجز عنه في حين قدرته عليه وأن ما عجز عنه فلم يقدر عليه في حين عجزه عنه وأن نفي القدرة اثبات للعجز وان نفي العجز اثبات للقدرة ما يجهل هذا عامي ولا خاصي اصلا وهو ايضا معروف باول العقل والعجب أن يأتي بمثل هذه الدعاوى السخيفة بغير دليل اصلا لكن حماقات وضلالات يطلقها هذا الجاهل وامثاله من الفساق في دين الله تعالى فيلقفها عنهم من اضله الله تعالى ونعوذ بالله من الخذلان وقد قال الله تعالى * واعلموا انكم غير معجزي الله * فاقتضى هذا انهم مقدور عليهم لله تعالى وقال تعالى * ليس بمعجز في الارض * فوجب انه مقدور عليه وقال تعالى * والله على كل شيء قدير * فصح انه غير عاجز وبالله تعالى التوفيق وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين

﴿ الكلام في الجن ووسوسة الشيطان وفعله في المصروع ﴾

﴿ قال ابو محمد ﴾ لم ندرك بالحواس ولا علمنا وجوب كونهم ولا وجوب امتناع كونهم في العالم بضرورة العقل لكن علمنا بضرورة العقل امكان كونهم لان قدرة الله تعالى لا نهاية لها وهو عز وجل يخلق ما يشاء ولا فرق بين ان يخلق خلقا عنصرهم التراب والماء فيسكنهم الارض والهواء والماء وبين أن يخلق خلقا عنصرهم النار والهواء فيسكنهم الهواء والنار والارض بل كل ذلك سواء وممكن في قدرته لكن لما أخبرت الرسل الذين شهد الله عز وجل بصدقهم بما ابدى على ايديهم من المعجزات المحيلة للطبائع بنص الله عز وجل على وجود الجن في العالم وجب ضرورة العلم بخلقهم ووجودهم وقد جاء النص بذلك وبانهم أمة عاقلة مميزة متعبدة موعودة متوعدة متناسلة يموتون وأجمع المسلمون كلهم على ذلك نعم والنصارى والمجوس والصابئون واكثر اليهود حاشا السامرة فقط فمن انكر الجن او تاول فيهم تاويلا يخرجهم به عن هذا الظاهر فهو كافر مشرك حلال الدم والمال قال تعالى * افتتخذونه وذريته أولياء من دوني *

(قال ابو محمد) وهم يروننا ولا نراهم قال الله تعالى * انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم * فصح ان الجن قبيل ابليس قال الله عز وجل * الا ابليس كان من الجن *

(قال ابو محمد) واذ اخبرنا الله عز وجل اننا لا نراهم فمن ادعى انه يراهم أو رآهم فهو كاذب الا ان يكون من الانبياء عليهم السلام فذلك معجزة لهم كما نص رسول الله صلى الله عليه وسلم انه تفلت عليه الشيطان ليقطع عليه صلاته قال فاخذته فذكرت دعوة أخي سليمان ولولا ذلك لاصبح موثقا يراه أهل المدينة أو كما قال عليه السلام وكذلك في رواية عن أبي هريرة الذي رأى انما هي معجزة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولا سبيل الى وجود خبر يصح برؤية جني بعد موت رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما هي منقطعات أو عمن لا خير فيه

(قال ابو محمد) وهم أجسام رقاق صافية هوائية لا ألوان لهم وعنصرهم النار كما ان عنصرنا التراب وبذلك جاء القرآن قال الله عز وجل (والجان خلقناه من قبل من نار السموم) والنار والهواء عنصران لا ألوان لهما وانما حدث اللون في النار المشتعلة عندنا لامتزاجها برطوبات ما تشتعل فيه من الحطب والكتان والادهان وغير ذلك ولو كانت لهم الوان لرأيناهم بحاسة البصر ولو لم يكونوا أجساما صافية رقاقا هوائية لادركناهم بحاسة اللمس وصح النص بانهم يوسوسون في صدور الناس وان الشيطان يجري من ابن ادم مجرى الدم فوجب التصديق بكل ذلك حقيقة وعلمنا أن الله عز وجل جعل لهم قوة يتوصلون بها الى حذف ما يوسوسون به في النفوس برهان ذلك قول الله تعالى * من شر الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس * ونحن نشاهد الانسان يرى من له عنده ثار فيضطرب وتتبدل أعراضه وصورته واخلاقه وتثور ناريته ويرى من يحب فيثور له حال أخرى ويبتهج وينبسط ويرى من يخاف فتحدث له حال أخرى

من صفرة ورعشة وضعف نفس ويشير الى انسان آخر باشارات يخيل بها طبائعه فيغضبه مرة ويخجله اخرى ويفزعه ثالثة ويرضيه رابعة وكذلك يخيله ايضا بالكلام الى جميع هذه الاحوال فعلمنا ان الله عز وجل جعل للجن قوى يتوصلون بها الى تغير النفوس والقذف فيها بما يستدعونها اليه نعوذ بالله من الشيطان الرجيم ووسوسته ومن شرار الناس وهذا هو جريه من ابن آدم مجري الدم كما قال الشاعر

وقد كنت اجرى فى حشاهن مرة كجرى معين الماء فى قصب الآس

(قال ابو محمد) واما الصرع فان الله عز وجل قال «كالذى يتخبطه الشيطان من المس». فذكر عز وجل تاثير الشيطان فى المصروع انما هو بالمماسة فلا يجوز لاحد ان يزيد على ذلك شيئا ومن زاد على هذا شيئا فقد قال مالا علم له به وهذا حرام لا يحل قال عز وجل «ولا تقف ما ليس لك به علم». وهذه الامور لا يمكن ان يعرف البتة الا بخبر صحيح عنه صلى الله عليه وسلم ولا خبر عنه عليه السلام بغير ما ذكرنا وبالله تعالى التوفيق فصح أن الشيطان يمس الانسان الذى يسلطه الله عليه مسا كما جاء فى القرآن يثير به من طبائعه السوداء والابخرة المصاعدة الى الدماغ كما يخبر به عن نفسه كل مصروع بلا خلاف منهم فيحدث الله عز وجل له الصرع والتخبط حينئذ كما نشاهده وهذا هو نص القرآن وما توجبه المشاهدة وما زاد على هذا فخرافات من توليد العزامين والكذابين وبالله تعالى نتأيد وأما قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الشمس تطلع ومعها قرن الشيطان (١) فاذا ارتفعت فارقها فاذا استوت قارنها فاذا زالت فارقها فاذا جنحت للغروب قارنها فاذا غربت فارقها ونهى عن الصلاة فى هذه الاوقات اوكما قال عليه السلام مما هذا معناه بلاشك فقد قلنا انه عليه السلام لا يقول الا الحق وان كلامه كله على ظاهره الا ان يأتى نص بان هذا النص ليس على ظاهره فنسمع ونطيع او يقوم بذلك برهان من ضرورة حس اواول عقل فنعلم أنه عليه السلام انما اراد ما قد قام بصحته البرهان لا يجوز غير ذلك وقد علمنا يقينا ان الشمس فى كل دقيقة طالعة على افق من الآفاق مرتفعة على آخر مستوية على ثالث زائلة عن رابع جانحة للغروب على خامس غاربة على سادس هذا ما لا شك فيه عند كل ذي علم بالهيئة فاذ ذلك كذلك فقد صح يقينا انه عليه السلام انما عنى بذلك افقا ما دون سائر الآفاق لا يجوز غير ذلك اذ لو اراد كل افق لكان الاخبار بانه يفارقها كذبا وحاشاه من ذلك فاذ لا شك في هذا كله فلا مرية انه عليه الصلاة والسلام انما عنى به افق المدينة اذ هو الافق الذى اخبر اهله بهذا الخبر فانبأهم بما يقارن الشمس في تلك الاحوال وما يفارقها من الشيطان والله اعلم بذلك القرآن ما هو ولا نزيد على هذا اذ لا بيان عندنا فيما بينه

---

(١) ومعها قرن الشطان الرواية المشهورة ان الشمس تطلع من بين قرن الشطان فلا تصلوا لطلوعها والمراد بقرن الشيطان رأسه لان القرن يطلق على حرف الراس من الانسان وللرأس حرفان أى جانبان وهذا من باب تسمية الشيء باسم موضعه والحديث للنهى عن الصلاة مع طلوع الشمس لانه الوقت الذى كان عبدة الشمس يسجدون فيه للشمس وقد درج كثير من الامم السابقة على عبادتها والسجود لها وفي القرآن فى نبا مملكة سبا ان الهدهد قال لسليمان عليه السلام انى وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله فنهي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الصلاة فى وقت طلوعها لانه الوقت الذى يسجد فيه عبدة الشمس لها وأعلمنا ان ابليس يطلع رأسه قارنا لطلوع الشمس فهم يسجدون له بسجودهم للشمس ويؤمونه وكذلك فى وقتى الاستواء والغروب الملامسة وانه يفارقها فى غير هذه الاوقات وليس المعنى ان للشيطان قرونا على نحو ما فى الحيوان من البقر والشاه وان الشمس تجرى من بين قرنيه على الحقيقة بل تاويل ذلك ما ذكرناه آنفا من ان الشيطان يطلع لهم فى هذه الاوقات ليؤموه ويسجدوا له مع سجودهم للشمس اه باختصار من كتاب تاويل مختلف الحديث

الا انه ليس شيء من ذلك بممتنع أصلا فصح بما ذكرنا ان اول الخبر خاص كما وصفنا وان نهيه عن الصلاة فى الاوقات قصة اخرى وقضية ثانية وحكم غير الاول فهو على عمومه فى كل زمان وكل مكان الا ماقام البرهان على تخصيصه من هذا الحكم بنص آخر كما بينا فى غير هذا الكتاب فى كتب الصلاة من تاليفنا والحمد لله رب العالمين كثيرا

الكلام في الطبائع

(قال ابو محمد) ذهبت الاشعرية الي انكار الطبائع جملة وقالوا ليس فى النار حر ولا فى الثلج برد ولا فى العالم طبيعة أصلا وقالوا انما حدث حر النار جملة وبرد الثلج عند الملامسة قالو ولا فى الخمر طبيعة اسكار ولا فى المنى قوة يحدث بها حيوان ولكن الله عز وجل يخلق منه ماشاء وقد كان ممكنا ان يحدث من منى الرجال جملا ومن منى الحمار انسانا ومن زريعة الكزبر نخلا

(قال ابو محمد) مانعلم لهم حجة شغبوا بها فى هذا الهوس اصلا وقد ناظرت بعضهم فى ذلك فقلت له ان اللغة التى نزل بها القرآن تبطل قولكم لان من لغة العرب القديمة ذكر الطبيعة والخليقة والسليقة والنحيزة والغريزة والسجية والسيمة والجبلة بالجيم ولايشك ذوعلم فى ان هذه الالفاظ استعملت في الجاهلية وسمعها النبى صلى الله عليه وسلم فلم ينكرها قط ولاانكرها احد من الصحابة رضى الله عنهم ولا احد ممن بعدهم حتى حدث من لا يعتد به وقد قال امرؤ القيس

وان كنت قد ساءتك مني خليقة * فسلى ثيابى من ثيابك تنسل

وقال حميد بن ثور الهلالى الكندى

لكل امرىء يا ام عمرو طبيعة * وتفرق مابين الرجال الطبائع

وقال النابغة

لهم سيمة لم يعطها الله غيرهم * من الجود والاحلام غير عوازب

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للجارود اذا أخبره ان فيه الحلم والاناة فقال له الجارود الله جبلني عليهما يارسول الله ام هما كسب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل الله جبلك عليهما ومثل هذا كثير وكل هذه الالفاظ اسماء مترادفة بمعنى واحد عندهم وهو قوة فى الشيء يوجد بها على ماهو عليه فاضطرب والجا الى ان قال اقول بهذا فى الناس خاصة فقلت له وأني لك بالتخصيص وهذا موجود بالحس وببديهة العقل فى كل مخلوق فى العالم فلم يكن عنده تمويه

(قال ابو محمد) وهذا المذهب الفاسد حدا بهم على ان سموا ماتاتي به الانبياء عليهم الصلاة والسلام من الآيات المعجزات خرق العادة لانهم جعلوا امتناع شق القمر وشق البحر وامتناع احياء الموتى واخراج ناقة من صخرة وسائر معجزاتهم انما هى عادات فقط

(قال ابو محمد) معاذ الله من هذا ولو كان ذلك عادة لما كان فيها اعجاز اصلا لان العادة فى لغة العرب والدأب والدين والديدن والهجيرى (١) الفاظ مترادفة على معني واحد وهى فى اكثر استعمال الانسان لها ممالا يؤمن تركه اياه ولا ينكر زواله عنه بل هو ممكن وجود غيره ومثله بخلاف الطبيعة التى الخروج عنها ممتنع فالعادة فى استعمال العرب العامة التلحى وحمل القناة وتحمل بعض الناس القلنسوة وكاستعمال بعضهم حلق الشعر وبعضهم توفيره

---

(١) يقال مازال ذلك هجيراه بكسر أوله وتشديد ثانية أي دأبه وعادته ومنه قول الشاعر

رمي فاخطا والاقدار غالبة * فانصمن والويل هجيراه والحرب

قال الشاعر

تقول وقد درأت لها وضينى * أهذا دينه أبدا ودينى (١)

وقال آخر * ومن عاداته الخلق الكريم

وقال آخر

قدعود الطير عادات وثقن بها * فهن يصحبنه فى كل مرتحل

* عودت كندة عادات فصبر لها *

وقال آخر

* وشديد عادة منتزعة *

وقال آخر

فذكر أن انتزاع العادة يشتد الا انه ممكن غيرممتنع بخلاف ازالة الطبيعة التى لاسبيل اليها وربما وضعت العرب لفظة العادة مكان لفظة الطبيعة كما قال حميد بن ثور الهلالى

سلى الربع ان يممت يا أم سالم * وهل عادة للربع أن يتكلما

(قال ابو محمد) وكل هذه الطبائع والعادات مخلوقة خلقها الله عز وجل فرتب الطبيعة على انها لا تستحيل ابدا ولا يمكن تبدلها عند كل ذى عقل كطبيعة الانسان بان يكون ممكنا له التصرف فى العلوم والصناعات ان لم يعترضه آفة وطبيعة الحجر والبغل بانه غير ممكن منها ذلك وكطبيعة البران لا ينبت شعيرا ولا جوزا وهكذا كل ما فى العالم والقوم مقرون بالصفات وهى الطبيعة نفسها لان من الصفات المحمولة فى الموصوف ماهو ذاتى به لا يتوهم زواله الا بفساد حامله وسقوط الاسم عنه كصفات الخمر التى ان زالت عنها صارت خلا وبطل اسم الخمر عنها وكصفات الخبز واللحم التى اذا زالت عنهما صارت زبلا وسقط اسم الخبز واللحم عنهما وهكذا كل شىء له صفة ذاتية فهذه هى الطبيعة ومن الصفات المحمولة فى الموصوف مالو توهم زواله عنه لم يبطل حامله ولا فارقه اسمه وهذا القسم ينقسم اقساما ثلاثة فاحدها ممتنع الزوال كالفطس والقصر والزرق وسواد الزنجى ونحو ذلك الا أنه لو توهم زائلا لبقى الانسان انسانا بحاله وثانيها بطىء الزوال كالمردوة وسواد الشعر وما أشبه ذلك وثالثها سريع الزوال كحمرة الخجل وصفرة الوجل وكمدة الهم ونحو ذلك فهذه هى حقيقة الكلام فى الصفات وما عدا ذلك فطريق السوفسطائية الذين لا يحققون حقيقة ونعوذ بالله من الخذلان

﴿ نبوة النساء ﴾

﴿ قال ابو محمد ﴾ هذا فصل لا نعلمه حدث التنازع العظيم فيه الاعندنا بقرطبة وفى زماننا فان طائفة ذهبت الى ابطال كون النبوة فى النساء جملة وبدعت من قال ذلك وذهبت طائفة الى القول بانه قد كانت فى النساء نبوة وذهبت طائفة الى التوقف فى ذلك

(قال ابو محمد ﴾ ما نعلم للمانعين من ذلك حجة اصلا الا ان بعضهم نازع فى ذلك بقول الله تعالى . وما ارسلنا من قبلك الا رجالا نوحى اليهم .

﴿ قال ابو محمد ﴾ وهذا امر لا ينازعون فيه ولم يدع احد ان الله تعالى ارسل امرأة وانما الكلام فى النبوة دون الرسالة فوجب طلب الحق فى ذلك بان ينظر فى معنى لفظة النبوة فى اللغة التى خاطبنا الله بها عز وجل فوجدنا هذه اللفظة ماخوذة من الانباء وهو الاعلام فمن اعلمه الله عز وجل بما يكون قبل ان يكون او اوحى اليه منبئا له بامر ما فهو نبى بلا شك وليس هذا من باب الالهام الذى هو طبيعة كقول الله تعالى . واوحى ربك الى النحل . ولا من باب الظن والتوهم الذى لا يقطع بحقيقته الا مجنون ولا من باب الكهانة التى هى من

(١) درأت أى بسطت لها الوضين على الارض والوضين بطان من جلد منسوج بعضه على بعض يشد به الرحل على الناقة بمنزلة الحزام للسرج

استراق الشياطين السمع من السماء فيرمون بالشهب الثواقب وفيه يقول الله عز وجل . شياطين الانس والجن يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا . وقد انقطعت الكهانة بمجيء رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا من باب النجوم التي هي تجارب تتعلم ولا من باب الرؤيا التي لا يدرى اصدقت ام كذبت بل الوحي الذي هو النبوة قصد من الله تعالى الى اعلام من يوحى اليه بما يعلمه به ويكون عند الوحي به اليه حقيقة خارجة عن الوجوه المذكورة يحدث الله عز وجل لمن اوحى به اليه علما ضروريا بصحة ما اوحى به كعلمه بما ادرك بحواسه وبديهة عقله سواء لا مجال للشك في شيء منه اما بمجيء الملك به اليه واما بخطاب يخاطب به في نفسه وهو تعليم من الله تعالى لمن يعلمه دون وساطة معلم فان انكروا ان يكون هذا هو معني النبوة فليعرفونا ما معناها فانهم لا يأتون بشيء اصلا فاذ ذلك كذلك فقد جاء القرآن بان الله عز وجل ارسل ملائكة الى نساء فاخبروهن بوحي حق من الله تعالى فبشروا ام اسحاق باسحاق عن الله تعالى قال عز وجل * وامرأته قائمة فضحكت فبشرناها باسحاق ومن وراء اسحاق يعقوب قالت يا ويلتا أألد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخا ان هذا لشيء عجيب قالوا أتعجبين من امر الله رحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت * فهذا خطاب الملائكة لام اسحاق عن الله عز وجل بالبشارة لها باسحاق ثم يعقوب ثم بقولهم لها أتعجبين من امر الله ولا يمكن البتة ان يكون هذا الخطاب من ملك لغير نبي بوجه من الوجوه ووجدناه تعالى قد ارسل جبريل الى مريم ام عيسى عليهما السلام بخاطبها وقال لها * انما انا رسول ربك لاهب لك غلاما زكيا * فهذه نبوة صحيحة بوحي صحيح ورسالة من الله تعالى اليها وكان زكريا عليه السلام يجد عندها من الله تعالى رزقا واردا تمنى من اجله ولدا فاضلا ووجدنا ام موسي عليهما الصلاة والسلام قد اوحى الله اليها بالقاء ولدها في اليم واعلمها انه سيرده اليها ويجعله نبيا مرسلا فهذه نبوة لا شك فيها وبضرورة العقل يدرى كل ذى تمييز صحيح انها لو لم تكن واثقة بنبوة الله عز وجل لها لكانت بالقائها ولدها في اليم برؤيا تراها او بما يقع فى نفسها او قام فى هاجستها فى غاية الجنون والمرار الهائج ولو فعل ذلك احدنا لكان فى غاية الفسق او فى غاية الجنون مستحقا لمعاناة دماغه فى البيمارستان لا يشك فى هذا احد فصح يقينا ان الوحى الذى ورد لها فى القاء ولدها فى اليم كالوحي الوارد علي ابراهيم فى الرؤيا فى ذبح ولده فان ابراهيم عليه الصلاة والسلام لو لم يكن نبيا واثقا بصحة الوحى والنبوة الوارد عليه من ذبح ولده لكنه ذبح ولده لرؤيا رآها او ظن وقع فى نفسه لكان بلا شك فاعل ذلك من غير الانبياء فاسقا فى نهاية الفسق او مجنونا فى غاية الجنون هذا ما لا يشك فيه احد من الناس فصحت نبوتهن بيقين ووجدنا الله تعالى قد قال وقد ذكر من الانبياء عليهم السلام في سورة كهيعص ذكر مريم فى جملتهم ثم قال عز وجل * اولئك الذين انعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم وممن حملنا مع نوح * وهذا هو عموم لها معهم لا يجوز تخصيصها من جملتهم وليس قوله عز وجل وامه صديقة بمانع من ان تكون نبية فقد قال تعالى * يوسف ايها الصديق * وهو مع ذلك نبي رسول وهذا ظاهر وبالله تعالى التوفيق ويلحق بهن عليهن السلام فى ذلك امرأة فرعون بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء الا مريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون او كما قال عليه السلام والكمال فى الرجال لا يكون الا لبعض المرسلين عليهم الصلاة والسلام لان من دونهم ناقص عنهم بلا شك وكان تخصيصه صلى الله عليه وسلم مريم وامرأة فرعون تفضيلا لهما على سائر من اوتيت النبوة من النساء بلا شك اذ من نقص عن منزلة اخر ولو بدقيقة فلم يكمل فصح بهذا الخبر ان هاتين المرأتين كملتا كما لا لم يلحقهما فيه امرأة غيرهما اصلا وان كن بنصوص القران نبيات وقد قال تعالى * تلك الرسل فضلنا بعضهم علي بعض * فالكامل فى نوعه هو الذى لا يلحقه احد من أهل نوعه فهم من الرجال الرسل الذين فضلهم الله تعالى على سائر الرسل ومنهم نبينا وابراهيم عليهما

الصلاة والسلام بلاشك للنصوص الواردة بذلك فى فضلهما على غيرهما وكمل من النساء من ذكر عليه الصلاة والسلام

(الكلام فى الرؤيا)

(قال ابو محمد) ذهب صالح تلميذ النظام الى ان الذى يرى احدنا فى الرؤيا حق كما هو وانه من رأى انه بالصين وهو بالاندلس فان الله عز وجل اخترعه فى ذلك الوقت بالصين

(قال ابو محمد) وهذا القول فى غاية الفساد لان العيان والعقل يضطر ان الى كذب هذا القول و بطلانه اما العيان فلاننا نشاهد حينئذ هذا النائم عندنا وهو يرى نفسه فى ذلك الوقت بالصين واما من طريق العقل فهو معرفتنا بما يرى الحالم من المحالات من كونه مقطوع الرأس حيا وما اشبه ذلك وقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان رجلا قص عليه رؤيا فقال لا تخبر بتلاعب الشيطان بك

(قال ابو محمد) والقول الصحيح فى الرؤيا هو انواع فمنها مايكون من قبل الشيطان وهو ما كان من الاضغاث والتخليط الذى لا ينضبط ومنها مايكون من حديث النفس وهو مايشتغل به المرء فى اليقظة فيراه في النوم من خوف عدو أو لقاء حبيب او خلاص من خوف اونحو ذلك ومنها مايكون من غلبة الطبع كرؤية من غلب عليه الدم للانوار والزهر والحمرة والسرور ورؤية من غلب عليه الصفراء للنيران ورؤية صاحب البلغم للثلوج والمياه وكرؤية من غلب عليه السوداء الكهوف والظلم والمخاوف ومنها مايريه الله عز وجل نفس الحالم اذا صفت من اكدار الجسد وتخلصت من الافكار الفاسدة فيشرف الله تعالى به على كثير من المغيبات التى لم تات بعد وعلى قدر تفاضل النفس فى النقاء والصفاء يكون تفاضل مايراه فى الصدق وقد جاء عن النبى صلى الله عليه وسلم انه لم يبق بعده من النبوة الا المبشرات وهى الرؤيا الصالحة يراها الرجل او ترى له وانها جزء من ستة وعشرين جزأ من النبوة الى جزء من ستة واربعين جزأ من النبوة الى جزء من سبعين جزأ من النبوة وهذا نص جلى ماذكرنا من تفاضلها فى الصدق والوضوح والصفاء من كل تخليط وقد تخرج هذه النسب والاقسام على انه عليه السلام انما أراد بذلك رؤيا الانبياء عليهم السلام فمنهم من رؤياه جزء من ستة وعشرين جزء من أجزاء نبوته وخصائصه وفضائله ومنهم من رؤياه جزء من ستة واربعين جزأ من نبوته وخصايصه وفضايله ومنهم من رؤياه جزء من سبعين جزأ من نبوته وخصائصه وفضائله وهذا هو الاظهر والله أعلم ويكون خارجا على مقتضى الفاظ الحديث بلا تاويل بتكلف وأما رؤيا غير الانبياء فقد تكذب وقد تصدق الا أنه لا يقطع على صحة شىء منه الا بعد ظهور صحته حاشا رؤيا الانبياء فانها كلها وحى مقطوع على صحته كرؤيا ابرهيم عليه السلام ولو رأى ذلك غير نبى فى الرؤيا فانفذه فى اليقظة لكان فاسقا عابثا اومجنونا ذاهب التميز بلاشك وقد تصدق رؤيا الكافر ولا تكون حينئذ جزأ من النبوة ولا مبشرات ولكن انذارا له أولغيره ووعظا وبالله تعالى التوفيق

(الكلام فى أى الخلق افضل)

(قال ابو محمد) ذهب قوم الا ان الانبياء عليهم السلام افضل من الملائكة وذهبت طائفه تنتسب الي الاسلام ان الصالحين غير النبيين افضل من الملائكة وذهب بعضهم الى ان الولى افضل من النبي وانه يكون فى هذه الامة من هو افضل من عيسي بن مريم ورأيت الباقلاني يقول جائز ان يكون فى هذه الامة من هو افضل من رسول الله صلى الله عليه وسلم من حين بعث الى أن مات ورأيت لأبى هاشم الجبائى انه لو طال عمر انسان من المسلمين فى الاعمال الصالحة لامكن أن يوازى عمل النبى صلى الله عليه وسلم كذب لعنه الله

(قال ابو محمد) ولولا انه استحيا قليلا مما لم يستحي من نظيره الباقلانى لقال مايوجبه هذا القول من انه

كان يزيد فضلا على رسول الله صلى الله عليه وسلم

(قال ابو محمد) وهذه الاقوال كفر مجرد لا تردد فيه وحاشا لله تعالى من ان يكون احد ولو عمر عمر الدهر يلحق افضل صاحب فكيف فضل رسول الله صلى الله عليه وسلم اونبي من الانبياء عليهم السلام فكيف ان يكون افضل من رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا مالا تقبله نفس مسلم كانهم ماسمعوا قول الله عزوجل .لا يستوى منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل اولئك اعظم درجة من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا . وقول النبي صلى الله عليه وسلم دعوا لى اصحابى فلوكان لاحدكم مثل أحد ذهبا فانفقه في سبيل الله مابلغ مدأحدهم ولا نصيفه

(قال ابو محمد) فكيف يلحق ابدا من ان تصدق هو بمثل جبل احد ذهبا وتصدق الصاحب بنصف مد من شعير كان نصف مد الشعير لا يلحقه فى الفضل جبل الذهب فكيف برسول الله صلى الله عليه وسلم قال أهل الحق ان الملائكة أفضل من كل خلق خلقه الله تعالى ثم بعدهم الرسل من النبيين عليهم السلام ثم بعدهم الانبياء غير الرسل عليهم السلام ثم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما رتبنا قبل

(قال ابو محمد) ومن صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الجن له من الفضل مالسائر الصحابة بعموم قوله صلى الله عليهم وسلم دعوا لى أصحابى وافضل الرسل محمد صلى الله عليه وسلم اما افضل الملائكة على الرسل من غير الملائكة فلبراهين منها قول الله عزوجل امر الرسول صلى الله عليه وسلم ان يقول . قل لا اقول لكم عندى خزائن الله ولا اعلم الغيب ولا اقول انى ملك ان اتبع الا مايوحى الى . فلوكان الرسول أرفع من الملك او مثله ما امر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم ان يقول لهم هذا القول الذى انما قاله منحطا عن الترفع بان يظن انه عنده خزائن الله اوانه يعلم الغيب أو أنه ملك منزل لنفسه المقدسة فى مرتبته التى هى دون هذه المراتب بلاشك إذ لا يمكن البتة أن يقول هذا عن مراتب هو ارفع منها وأيضا فان الله عزوجل ذكر محمدا الذى هو افضل الرسل بعد الملائكة وذكر جبريل عليهما السلام وكان التباين من الله عزوجل بينهما تباينا بعيدا وهو انه عزوجل قال. انه لقول رسول كريم ذى قوة عند ذى العرش مكين مطاع ثم امين . فهذه صفة جبريل عليه السلام ثم ذكر محمدا صلى الله عليه وسلم فقال * وما صاحبكم بمجنون * ثم زاد تعالى بيانا رافعا للاشكال جملة فقال * ولقد رآه بالافق المبين . فعظم الله تعالى من شان اكرم الانبياء والرسل بان رأى جبريل عليه السلام ثم قال * ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى اذ يغشي السدرة مايغشى مازاغ البصر وماطغى لقد رأى من آيات ربه الكبري . فامتن الله تعالى كما ترى على محمد صلى الله عليه وسلم بان أراه جبريل مرتين وانما يتفاضل الناس كما قدمنا بوجهين فقط أحدهما الاختصاص المجرد واعظم الاختصاص الرسالة والتعظيم فقد حصل ذلك للملائكة قال تعالى * جاعل الملائكة رسلا * فهم كلهم رسل الله ثم اختصهم تعالى بان ابتدأهم فى الجنة وحوالى عرشه فى المكان الذى وعد رسله ومن اتبعهم بان نهاية كرامتهم مصيرهم اليه وهو موضع خلق الملائكة ومحلهم بلا نهاية مذ خلقوا وذكرهم عز وجل في غير موضع من كتابه فاثنى علي جميعهم ووصفهم بانهم لا يفترون ولا يسأمون ولا يعصون الله فنفى عنهم الزلل والفترة والسامة والسهو وهذا امر لم ينفه عزوجل عن الرسل صلوات الله عليهم بل السهو جائز عليهم وبالضرورة نعلم من عصم من السهو افضل ممن لم يعصم منه وان من عصم من العمد كلا نبياء عليهم السلام افضل ممن لم يعصم من سواهم فان اعترض معترض بقول الله عز وجل * الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس * قيل له ليس هذا معارضا لقوله تعالي جاعل الملائكة رسلا فان كل آية فانها تحمل على مقتضاها ووجب لفظها ففي هذه الآية ان بعض الملائكة رسل وهذا حق لاشك فيه وليس اخبارا عن سائرهم بشيء لابانهم رسل ولابانهم ليسوا رسلا فلا يحل لاحد ان يزيد فى الآية ماليس فيها ثم فى الاية الاخرى زيادة على مافى هذه الاية والاخبار بان جميع الملائكة

رسل ففي تلك الآية بعض ما في هذه الآية وفي هذه الاية كل ما في تلك وزيادة ففرض قبول كل ذلك كان الله عز وجل اذ ذكر في كهيعص من ذكر من النبيين فقال * اولئك الذين انعم الله عليهم من النبيين * وقد قال تعالى ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك * افترى الرسل الذين لم يقصصهم الله تعالى عليه جملة او في هذه السورة خاصة لم ينعم عليهم معاذ الله من هذا فما يقوله مسلم والوجه الثاني من اوجه الفضل هو تفاضل العاملين بتفاضل منازلهم في اعمال الطاعة والعصمة من المعاصي والدنيات وقد نص الله تعالى على ان الملائكة لا يفترون من الطاعة ولا يسأمون منها ولا يعصون البتة في شيء امروا به فقد صح ان الله عز وجل عصمهم من الطبائع الناقصة الداعية الى الفتور والكسل كالطعام والتغوط وشهوة الجماع والنوم فصح يقينا انهم افضل من الرسل الذين لم يعصموا من الفتور والكسل ودواعيهما

(قال ابو محمد) واحتج بعض المخالفين في هذا بان قال قال الله عز وجل * ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين * قالوا فدخل في العالمين الملائكة وغيرهم

(قال ابو محمد) وهذه الآية قد صح البرهان بانها ليست على عمومها لانه تعالى لم يذكر فيها محمدا صلى الله عليه وسلم ولا خلاف في انه افضل الناس قال الله تعالى * كنتم خير امة اخرجت للناس * فان قال ان آل ابراهيم هم آل محمد قيل له فنحن اذا افضل من جميع الانبياء حاشا آل عمران وآدم ونوحا فقط وهذا لا يقوله مسلم فصح يقينا ان هذه الآية ليست على عمومها اذ لا شك في ذلك فقد صح ان الله عز وجل انما اراد بها عالمي زمانهم من الناس لا من الرسل ولا من النبيين نعم ولا من عالمي غير زمانهم لاننا بلا شك افضل من آل عمران فبطل تعلقهم بهذه الآية جملة وبالله تعالى التوفيق وصح انها مثل قوله تعالى * يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم واني فضلتكم على العالمين * ولا شك في انهم لم يفضلوا على الرسل ولا على النبيين ولا على امتنا ولا على الصالحين من غيرهم فكيف على الملائكة ونحن لا ننكر ازالة النص عن ظاهره وعمومه ببرهان من نص آخر او اجماع متيقن او ضرورة حس وانما ننكر ونمنع من ازالة النص عن ظاهره وعمومه بالدعوى فهذا هو الباطل الذي لا يحل في دين ولا يصح في امكان العقل وبالله تعالى التوفيق

(قال ابو محمد) وذكر بعضهم قول الله عز وجل * الذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك هم خير البرية *

(قال ابو محمد) وهذا مما لا حجة لهم فيه اصلا لان هذه الصفة تعم كل مؤمن صالح من الانس ومن الجن نعم وجميع الملائكة عموما مستويا فانما هذه الاية تفضيل الملائكة والصالحين من الانس والجن على سائر البرية وبالله تعالى التوفيق

(قال ابو محمد) واحتجوا بامر الله عز وجل الملائكة بالسجود لآدم على جميعهم السلام

(قال ابو محمد) وهذا اعظم حجة عليهم لان السجود المأمور به لا يخلو من ان يكون سجود عبادة وهذا كفر ممن قاله ولا يجوز ان يكون الله عز وجل يامر احدا من خلقه بعبادة غيره واما ان يكون سجود تحية وكرامة وهو كذلك بلا خلاف من احد من الناس فاذ هو كذلك فلا دليل ادل على فضل الملائكة على ادم من ان يكون الله تعالى بلغ الغاية في اعظامه وكرامته بان تحييه الملائكة لانهم لو كانوا دونه لم يكن له كرامة ولا مزية في تحيتهم له وقد أخبر الله عز وجل عن يوسف عليه السلام فقال * ورفع أبويه على العرش وخروا له سجدا وقال يا ابت هذا تاويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقا * وكانت رؤياه هي التي ذكر الله عز وجل عنه اذ يقول * اني رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين

(قال ابو محمد) وليس في سجود يعقوب عليه السلام ليوسف ما يوجب ان يوسف افضل من يعقوب واحتجوا

ايضا بان الملائكة لم يعلموا اسماء الاشياء حتى انبأهم بها آدم علي جميعهم السلام بتعليم الله عز وجل آدم اياها

(قال ابو محمد) وهذا لا حجة لهم فيه لان الله عز وجل يعلم من هو انقص فضلا وعلما في الجملة أشياء لا يعلمها من هو افضل منه واعلم منه بما عدا تلك الاشياء فعلم الملائكة ما لا يعلمه آدم وعلم آدم اسماء الاشياء ثم امره بان يعلمها الملائكة كما خص الخضر عليه السلام بعلم لم يعلمه موسى عليه السلام حتى اتبعه موسى عليه السلام ليتعلم منه وعلم أيضا موسى عليه السلام علوما لم يعلمها الخضر وهكذا صح عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الخضر قال لموسى عليه السلام اني على علم من علم الله لا تعلمه انت وانت على علم من علم الله لا أعلمه أنا

(قال ابو محمد) وليس في هذا أن الخضر أفضل من موسى عليه السلام

(قال ابو محمد) وقد قال بعض الجهال ان الله تعالى جعل الملائكة خدام أهل الجنة يأتونهم بالتحف من عند ربهم عز وجل قال تعالى * وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون * وقال تعالى * والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم *

(قال ابو محمد) أما خدمة الملائكة لاهل الجنة واقبالهم اليهم بالتحف فشيء ما علمناه قط ولا سمعناه الا من القصاص بالخرافات والتكاذيب وانما الحق من ذلك ما ذكره الله عز وجل في النص الذي اوردنا وهو ولله الحمد من اقوى الحجج في فضل الملائكة على من سواهم ويلزم هذا المحتج اذا كان اقبال الملائكة بالبشارات الى اهل الجنة دليلا على فضل أهل الجنة عليهم أن يكون اقبال الرسل الينا مبشرين ومنذرين بالبشارات من عند الله عز وجل دليلا على أننا افضل منهم وهذا كفر مجرد ولكن الحقيقة هي أن الفضل اذا كان للانبياء عليهم السلام علي الناس بانهم رسل الله اليهم ووسائط بين ربهم تعالى وبينهم فالفضل واجب للملائكة علي الانبياء والرسل لكونهم رسل الله تعالى اليهم ووسائط بينهم وبين ربهم تعالى واما تفضل الله تعالى على أهل الجنة بالاكل والشرب والجماع واللباس والالات والقصور فانما فضلهم الله عز وجل من ذلك بما يوافق طباعهم وقد نزه الله سبحانه الملائكة عن هذه الطبائع المستدعية لهذه اللذات بل ابانهم وفضلهم بل جعل طبائعهم لا تلتذ بشيء من ذلك الا بذكر الله عز وجل وعبادته وطاعته في تنفيذ اوامره تعالى فلا منزلة أعلى من هذه وعجل لهم سكنى المحل الرفيع الذي جعل تعالى غاية اكرامنا الوصول اليه بعد لقاء الامرين في التعب في عمارة هذه الدنيا النكدة وفي كلف الاعمال ففي ذلك المكان خلق الله عز وجل الملائكة منذ ابتدأهم وفيه خلدهم وبالله تعالى التوفيق

(قال ابو محمد) وقال بعض السخفاء ان الملائكة بمنزلة الهواء والرياح

(قال ابو محمد) وهذا كذب وقحة وجنون لان الملائكة بنص القرآن والسنن واجماع جميع من يقر بالملائكة من أهل الاديان المختلفة عقلاء متعبدون منهيون مأمورون وليس كذلك الهواء والرياح لكنها لا تعقل ولا هي متكلفة متعبدة بل هي مسخرة مصرفة لا اختيار لها قال تعالى * والسحاب المسخر بين السماء والارض * وقال تعالى * سخرها عليهم سبع ليال وثمانية ايام * وذكر تعالى الملائكة فقال * بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون * وقال تعالى * ويستغفرون لمن في الارض * وقال تعالى * وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا انزل علينا الملائكة او نرى ربنا لقد استكبروا في انفسهم وعتوا عتوا كبيرا يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين * فقرن تعالى نزول الملائكة برؤيته تعالى وقرن تعالى اتيانه باتيان الملائكة فقال عز وجل * هل ينظرون الا ان يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة * واعلم ان اعراب الملائكة ههنا بالرفع عطفا على الله عز وجل لا على الغمام ونص تعالى علي ان آدم عليه الصلاة والسلام انما اكل من الشجرة ليكون ملكا او ليخلد كما نص تعالى علينا اذ يقول عز وجل * ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين *

(قال ابو محمد) فبيقين ندري ان آدم عليه السلام لولا يقينه بان الملائكة افضل منه وطمعه بان يصير ملكا لما قبل

من ابليس ما غره به من أ كل الشجرة التي نهاه الله عز وجل عنها ولو علم آدم ان الملك مثله اودونه لما حمل نفسه على مخالفة امر الله تعالى لينحط عن منزلته الرفيعة الى الدون هذا مالا يظنه ذو عقل اصلا

(قال ابو محمد) وقال الله عز وجل * لن يستنكف المسيح ان يكون عبد لله ولا الملائكة المقربون * فقوله عز وجل بعد ذكر المسيح ولا الملائكة المقربون بلوغ الغاية في علو درجتهم على المسيح عليه السلام لان بنية الكلام ورتبته انما هي اذا اراد القائل نفي صفة ما عن متواضع عنها ان يبدأ بالادنى ثم بالاعلى واذا اراد نفي صفة ما عن مترفع عنها ان يبدأ بالاعلى ثم بالادنى فتقول في القسم الاول مايطمع في الجلوس بين يدي الخليفة خازنه ولا وزيره ولا اخوه وتقول في القسم الثاني ما ينحط الى الاكل في السوق وال ولا ذو مرتبة ولا متصاون من التجار او الصناع لا يجوز البتة غير هذا و بالله تعالى التوفيق

(قال ابو محمد) وايضا فان رسول الله صلى الله عليه وسلم اخبر بان الله سبحانه وتعالى خلق الملائكة من نور وخلق الانسان من طين وخلق الجن من نار

(قال ابو محمد) ولا يجهل فضل النور على الطين وعلى النار احد الا من لم يجعل الله له نورا ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور وقد صح از رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا ربه في ان يجعل في قلبه نورا فالملائكة من جوهر دعا افضل البشر ربه في ان يجعل في قلبه منه و بالله تعالى التوفيق وفي هذا كفاية لمن عقل

(قال ابو محمد) وقال عز وجل * ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر * الى قوله * وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا * فانما فضل الله تعالى بنص كلامه عز وجل بني آدم على كثير ممن خلق لا على كل من خلق و بلا شك ان بني آدم يفضلون على الجن وعلى جميع الحيوان الصامت وعلى ماليس حيوانا فلم يبق خلق يستثنى من تفضيل الله تعالى بني آدم عليه الا الملائكة فقط

(قال ابو محمد) واما فضل رسول الله صلى الله عليه وسلم على كل رسول قبله فالثابت عنه عليه السلام انه قال فضلت على الانبياء بست وروى بخمس وروى باربع وروى بثلاث رواه جابر بن عبد الله وانس بن مالك وحذيفة بن اليمان وابو هريرة و بقوله صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد آدم ولا فخر وانه عليه السلام بعث الى الاحمر والاسود وانه عليه السلام اكثر الانبياء اتباعا وانه ذو الشفاعة التي يحتاج اليه يوم القيامة فيها النبيون فمن دونهم اماتنا الله على ملته ولا خالف بنا عنه وهو ايضا عليه السلام خليل الله وكليمه

(الكلام في الفقر والغنى)

(قال ابو محمد) اختلف قوم في اي الامرين افضل الفقر ام الغنى

(قال ابو محمد) وهذا سؤال فاسد لان تفاضل العمل والجزاء في الجنة انما هو للعامل لا لحالة محمولة فيه الا ان ياتي نص بتفضيل الله عز وجل حالا على حال وليس هاهنا نص في فضل احدى هاتين الحالتين على الاخرى

(قال ابو محمد) وانما الصواب ان يقال ايما افضل الغني ام الفقير والجواب هاهنا هو ما قاله الله تعالى اذ يقول * هل تجزون الا ما كنتم تعملون * فان كان الغني افضل عملا من الفقير فالغني افضل وان كان الفقير افضل عملا من الغني فالفقير افضل وان كان عملهما متساويا فهما سواء قال * عز وجل ومن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره * وقد استعاذ النبي صلى الله عليه من فتنة الفقر وفتنة الغنى وجعل الله عز وجل الشكر بازاء الغنى والصبر بازاء الفقر فمن اتقى الله عز وجل فهو الفاضل غنيا كان اوفقيرا وقد اعترض بعضهم هاهنا بالحديث الوارد ان فقراء المهاجرين يدخلون الجنة قبل اغنيائهم بكذا وكذا خريفا ونزع الاخرون بقول الله عز وجل * ووجدك ضالا فهدى ووجدك عائلا فاغنى *

(قال ابو محمد) والغنى نعمة اذا قام بها اهلها بالواجب عليه فيها واما فقراء المهاجرين فهم كانوا اكثر وكان الغنى فيهم قليلا والامر كله منهم وفى غيرهم راجع الى العمل بالنص والاجماع على انه تعالى لا يجزى بالجنة على فقر ليس معه عمل خير ولا على غني ليس معه عمل خير وبالله التوفيق

الكلام فى الاسم والمسمى

(قال ابو محمد) ذهب قوم الى ان الاسم هو المسمى وقال آخرون الاسم غير المسمى واحتج من قال ان الاسم هو المسمي بقول الله تعالى * تبارك اسم ربك ذو الجلال والاكرام * وبقرأ أيضا ذو الجلال والاكرام قالوا ولا يجوز ان يقال تبارك غير الله فلو كان الاسم غير المسمى ما جاز أن يقال تبارك اسم ربك وبقوله تعالى * سبح اسم ربك الاعلي * قالوا ومن الممتنع ان يامر الله عز وجل بان يسبح غيره وبقوله عز وجل * ما تعبدون من دونه الا اسماء سميتموها انتم وآباؤكم * وقالوا الاسم مشتق من السمو وانكروا على من قال انه مشتق من الوسم وهو العلامة وذكروا قول لبيد

الى الحول ثم اسم السلام عليكما ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر

وقالوا قال سيبويه الافعال امثلة احدث من لفظ احداث الاسماء قالوا وانما اراد المسمين هذا كل ما احتجوا به قد تقصيناه لهم ولا حجة لهم فى شيء منه اما قول الله عز وجل تبارك اسم ربك ذى الجلال والاكرام وذو الجلال فحق ومعنى تبارك تفاعل من البركة والبركة واجبة لاسم الله عز وجل الذى هو كلمة مؤلفة من حروف الهجاء ونحن نتبرك بالذكر له وبتعظيمه ونجله ونكرمه فله التبارك وله الاجلال منا ومن الله تعالى وله الاكرام من الله تعالى ومنا حيثما كان من قرطاس او فى شيء منقوش فيه او مذكور بالالسنة ومن لم يجل اسم الله عز وجل كذلك ولا اكرمه فهو كافر بلا شك فالآية على ظاهرها دون تاويل فبطل تعلقهم بها جملة ولله تعالى الحمد وكل شيء نص الله تعالى عليه انه تبارك فذلك حق ولو نص تعالى بذلك على أي شيء كان من خلقه كان ذلك واجبا لذلك الشيء واما قوله تعالى * سبح اسم ربك الاعلى * فهو على ظاهره دون تاويل لان التسبيح فى اللغة التى بها نزل القرآن وبها خاطبنا الله عز وجل هو تنزيه الشيء عن السوء وبلا شك ان الله تعالى امرنا ان ننزه اسمه الذى هو كلمة مجموعة من حروف الهجاء عن كل سوء حيث كان من كتاب او منطوقا به ووجه آخر وهو ان معنى قوله تعالى * سبح اسم ربك الاعلى * ومعنى قوله تعالى. ان هذا لهو حق اليقين فسبح باسم ربك العظيم. معنى واحد وهو ان يسبح الله تعالى باسمه ولا سبيل الى تسبيحه تعالى ولا الى دعائه ولا الى ذكره الا بتوسط اسمه فكلا الوجهين صحيح حق وتسبيح الله تعالى وتسبيح اسمه كل ذلك واجب بالنص ولا فرق بين قوله تعالى. فسبح باسم ربك العظيم: وبين قوله. فسبح بحمد ربك حين تقوم ومن الليل فسبحه وادبار النجوم. والحمد بلا شك هو غير الله وهو تعالى نسبح بحمده كما نسبح باسمه ولا فرق فبطل تعلقهم بهذه الآية والحمد لله رب العالمين

(قال ابو محمد) اما قوله تعالى. ما تعبدون من دونه الا اسماء سميتموها انتم وآباؤكم. فقول الله عز وجل حق على ظاهره ولهذه الاية وجهان كلاهما صحيح احدهما ان معنى قوله عز وجل. ما تعبدون من دونه الا اسماء برهان هذا قوله تعالى اثر ذلك متصلا بها سميتموها انتم وآباؤكم فصح يقينا انه تعالى لم يعن بالاسماء ههنا ذوات المعبودين لان العابدين لها لم يحدثوا قط ذوات المعبودين بل الله تعالى توحد باحداثها هذا ما لا شك فيه والوجه الثانى ان اولئك الكفار انما كانوا يعبدون اوثانا من حجارة او بعض المعادن او من خشب وبيقين ندرى انهم قبل ان يسموا تلك الجمل من الحجارة والمعادن ومن الخشب باسم اللات والعزى ومناة وهبل وود وسواع ويغوث ويعوق ونسرا وبعل قد كانت ذواتها بلا شك موجودات قائمة وهم لا يعبدونها ولا تستحق عندهم عبادة

فما اوقعوا عليه هذه الاسماء عبدوها حينئذ فصح يقينا انهم لم يقصدوا بالعبادة الا الاسماء كما قال الله تعالى لا الذوات المسميات فعادت الآية حجة عليهم وبرهانا على ان الاسم غير المسمى بلاشك وبالله تعالى التوفيق

وأما قولهم ان الاسم مشتق من السمو وقول بعض من خالفهم انه مشتق من الوسم فقولان فاسدان كلاهما باطل افتعله أهل النحو لم يصح قط عن العرب شيئا منهما وما اشتق لفظ الاسم قط من شيء بل هو اسم موضوع مثل حجر وجبل وخشبة وسائر الاسماء لا اشتقاق لها واول ما نبطل به دعواهم هذه الفاسدة أن يقال لهم قال الله عز وجل * قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين * فصح ان من لا برهان له على صحة دعواه فليس صادقا في قوله فهاتوا برهانكم على ان الاسم مشتق من السمو أو من الاسم والا فهي كذبة كذبتموها على العرب وافتريتموها عليهم أو على الله تعالى الواضع للغات كلها وقول عليه تعالى او على العرب بغير علم والا فمن أين لكم ان العرب اجتمعوا فقالوا نشتق لفظة اسم من السمو أو من الوسم والكذب لا يستحله مسلم ولا يستسهله فاضل ولا سبيل لهم الى برهان اصلا بذلك وايضا فلو كان الاسم مشتقا من السمو كما تزعمون فتسمية العذرة والكلاب والجيفة والقذر والشرك والخنزير والخساسة رفعة لها وسمو لهذه المسميات وتبا لكل قول أدى الى هذا الهوس البارد وايضا فيك انه قد سلم لهم قولهم ان الاسم مشتق من السمو اي حجة على ان الاسم هو المسمى بل هو حجة عليهم لان ذات المسمى ليست مشتقة اصلا ولا يجوز عليها الاشتقاق من السمو ولا من غيره فصح بلا شك ان ما كان مشتقا فهو غير ما ليس مشتقا والاسم باقرارهم مشتق والذات المسماة غير مشتقة فالاسم غير الذات المسماة وهذا يلديح لكل من نصح نفسه ان المحتج بمثل هذا السفه عيار مستهزىء بالناس متلاعب بكلامه ونعوذ بالله من الخذلان

(قال ابو محمد) وهذا قول يؤدي من اتبعه وطرده الى الكفر المجرد لانهم قطعوا ان الاسم مشتق من السمو وقطعوا ان الاسم هو الله نفسه فعلى قولهم المهلك الخبيث ان الله يشتق وان ذاته مشتقة وهذا ما لا ندرى كافرا بلغه والحمد لله على ما من به من الهدى وايضا فان الله تعالى يقول * وعلم آدم الاسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين * الى قوله تعالى (قال يا آدم انبئهم باسمائهم)

(قال ابو محمد) فلا يخلو ان يكون الله عز وجل علم آدم الاسماء كلها كما قال عز وجل اما بالعربية واما بلغة أخرى او بكل لغة فان كان عز وجل علمه الاسماء بالعربية فان لفظة اسم من جملة ما علمه لقوله تعالى الاسماء كلها ولامره تعالى آدم بان يقول للملائكة انبئوني باسماء هؤلاء فلا يجوز ان يخص من هذا العموم شيء اصلا بل هو لفظ موقف عليه كسائر الاسماء ولا فرق وهو من جملة ما علمه الله تعالى آدم عليه السلام الا ان يدعوا ان الله تعالى اشتقه فالقوم كثيرا ما يستسهلون الكذب على الله تعالى والاخبار عنه بما لا علم لهم به فصح يقينا ان لفظة الاسم لا اشتقاق لها وانما هي اسم مبتدأ كسائر الاسماء والانواع والاجناس وان كان الله تعالى علم آدم الاسماء كلها بغير العربية فان اللغة العربية موضوعة للترجمة عن تلك اللغة بدل كل اسم من تلك اللغة اسم من العربية موضوع للعبارة عن تلك الالفاظ. واذا كان هذا فلا مدخل للاشتقاق في شيء من الاسماء اصلا لا لفظة اسم ولا غيرها وان كان تعالى علمه الاسماء بالعربية وبغيرها من اللغات العربية فلفظة اسم من جملة ما علمه وبطل ان يكون مشتقا اصلا والحمد لله رب العالمين فبطل قولهم في اشتقاق الاسم وعاد حجة عليهم وبالله تعالى التوفيق واما بيت لبيد فانه يخرج على وجهين احدهما ان السلام اسم من اسماء الله تعالى قال تعالى * الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن * ولبيد رحمه الله مسلم صحيح الصحبة للنبي ﷺ ومعناه ثم اسم الله عليكما حافظ لكما والوجه الثاني انه اراد بالسلام التحية ولبيد لا يقدر هو ولا غيره على ايقاع التحية عليهما انما يقدر لبيد وغيره على ايقاع اسم التحية والدعاء بها فقط. فاي الامرين كان فاسم السلام في بيت لبيد هو غير معنى السلام فالاسم في ذلك البيت غير المسمى ولا بد ثم لو صح ما يدعونه على لبيد ولو صح لكان قول عائشة رحمها الله ورضي الله عنها انما أهجر اسمك بيانا ان الاسم غير المسمى وان اسمه

عليه السلام غيره لانها اخبرت انها لا تهجره وانما تهجر اسمه رضوان الله وهي ليست الفصاحة في دون لبيد وهي اولى بان تكون حجة من لبيد فكيف وقول لبيد حجة عليهم لا لهم والحمد لله رب العالمين وقد قال رؤبة باسم الذى فى كل صورة سمه — ورؤبة ليس دون لبيد فى الفصاحة وذات البارى تعالى ليست فى كل صورة وانما في الصورة اسم الله تعالى فلا شك ان الذى فى السورة غير الذى ليس فيها وقال ابو ساسان حصين بن المنذر ابن الحارث بن وعلة الرقاشي لابنه غياظ.

وسميت غياظا ولست بغايظ ＊ عدوا ولكن الصديق تغيظ.

فصرح بان الاسم غير المسمى تصريحا لا يحتمل التاويل بخلاف ما ادعوه على لبيد واما قول سيبويه ان الافعال امثلة احدث من لفظ احداث الاسماء فلا حجة لهم فيه فبيقين ندرى انه اراد احداث اصحاب الاسماء برهان ذلك قوله فى غير ما موضع من كتابه امثلة الاسماء فى الثلاثي والرباعى والخماسى والسداسى والسباعى وقطعه أن السداسى والسباعي من الاسماء مزيدان ولا بد وان الثلاثي من الاسماء اصلى ولا بد وان الرباعى والخماسى من الاسماء يكونان اصليين كجعفر وسفرجل ويكونان مزيدين ان الثنائى من الاسماء منقوص مثل يد ودم ولو تتبعنا قطعه على ان الاسماء هى الابنية المسموعة الموضوعة ليعرف بها المسميات لبلغ ازيد من ثلثمائة موضع أفلا يستحى من يدرى هذا من كلام سيبويه اطلاقا ان لم يبان مراده لا يخفى على احد قرأ من كتابه ورقتين ونعوذ بالله من قلة الحياء واول سطر فى كتاب سيبويه بعد البسملة هذا باب علم ما الكلم من العربية فالكلم اسم وفعل وحرف جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل فالاسم رجل وفرس فهذا بيان جلى من سيبويه ومن كل من تكلم في النحو قبله وبعده على ان الاسماء هى فى بعض الكلام وان الاسم هو كلمة من الكلم ولا خلاف بين احد له حس سليم فى ان المسمى ليس كلمة ثم قال بعد اسطر يسيرة والرفع والجر والنصب والجزم بحروف الاعراب وحروف الاعراب الاسماء المتمكنة والافعال المضارعة لاسماء الفاعلين وهذا منه بيان لا اشكال فيه ان الاسماء غير الفاعلين وهى التى تضارعها الافعال التى فى اوائلها الزوائد الاربع وما قال قط من يرمي بالحجارة ان الافعال تضارع المسمين ثم قال والنصب فى الاسماء رأيت زيدا والجر مررت بزيد والرفع هذا زيد وليس فى الاسماء جزم لتمكنها والحاق التنوين وهذا كله بيان ان الاسماء هى الكلمات المؤلفة من الحروف المقطعة لا المسمون بها ولو تتبع هذا فى ابواب الجمع وابواب التصغير والنداء والترخيم وغيرها لكثر جدا وكاد يفوت التحصيل

﴿قال ابو محمد﴾ فسقط كل ما شغب به القائلون بان الاسم هو المسمى وكل قول سقط احتجاج اهله وعرى عن برهان فهو باطل ثم نظرنا فيمن احتج به القائلون ان الاسم غير المسمى فوجدناهم يحتجون بقول الله تعالى ＊ ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون فى أسمائه ＊ قالوا والله عز وجل واحد والاسماء كثيرة وقد تعالى الله عن ان يكون اثنين او اكثر وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله تسعة وتسعين اسما مائة غير واحد من احصاها دخل الجنة قالوا ومن قال ان خالقه او معبوده تسعة وتسعون فهو شر من النصارى الذين لم يجعلوه الا ثلاثة

(قال ابو محمد) وهذا برهان ضرورى لازم ورايت لمحمد بن الطيب الباقلانى ولمحمد بن الحسن بن فورك الاصبهانى انه ليس لله تعالى الا اسم واحد فقط

(قال ابو محمد) وهذا معارضة وتكذيب لله عز وجل وللقرآن ولرسول الله صلى الله عليه وسلم ولجميع العالمين ثم عطفا فقالا معنى قول الله عز وجل ولله الاسماء الحسنى وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله تسعة وتسعين اسما انما هو التسمية لا الاسماء

(قال ابو محمد) وكان هذا التقسيم ادخل فى الضلال من ذلك الاجمال ويقال لهم فهل قولكم هذا أراد الله تعالى
ان يقول لله التسميات الحسنى فقال الاسماء الحسنى او اراد رسوله صلى الله عليه وسلم ان يقول ان لله تسعة
وتسعين تسمية فقال تسعة وتسعين اسما عن غلط وخطا قال الله تعالى ذلك ورسوله صلى الله عليه وسلم أم عن عمد
ليضل بذلك أهل الاسلام ام عن جهل باللغة التى تنبهتما لها انتما ولا بد من احد هذه الوجوه ضرورة لا محيد عنها
وكلها كفر مجرد ولا بد لهم من احدها او ترك ما قالوه من الكذب على الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم هذا ودعواهم
في ذلك ظاهر الكذب بلا دليل ولا يرضى بهذا لنفسه عاقل

الاسم على المسمى فهو شيء ثالث غير الاسم وغير المسمى فذات الخالق تعالى هى الله المسمى والتسمية هى تحريكنا
عضل الصدر واللسان عند نطقنا بهذه الحروف وهى غير الحروف لان الحروف هى الهواء المندفع بالتحريك
فهو المحرك بفتح الراء والانسان هو المحرك بكسر الراء والحركة هى فعل المحرك فى دفع المحرك وهذا امر
معلوم بالحس مشاهد بالضرورة متفق عليه في جميع اللغات واحتجوا أيضا بقول الله تعالى * ان الله يبشرك
بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا * وهذا نص لا يحتمل تأويلا فى ان الاسم هو الياء والحاء والياء والالف
ولو كان الاسم هو المسمى لما عقل احد معنى قوله تعالى لم نجعل له من قبل سميا ولا فهم ولكان فارغا حاشا الله من
هذا ولا خلاف فى ان معناه لم يطلق هذا الاسم على احد قبله وذكروا ايضا قول الله عز وجل عن نفسه هل تعلم
له سميا وهذا نص جلي على ان اسماء الله تعالى التى اختص بها لا تقع على غيره ولو كان ما يدعونه لما عقل هذا اللفظ
احد ايضا حاشا لله من هذا واحتجوا ايضا بقول الله تعالى مبشرا برسول ياتى من بعدى اسمه احمد وهذا
نص علي ان الاسم هو الالف والحاء والميم والدال اذا اجتمعت واحتجوا ايضا بقول الله عز وجل وعلم آدم
الاسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال انبئوني باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين الى قوله قال يا آدم انبئهم باسمائهم
فلما انبأهم باسمائهم قال الم اقل لكم الاية وهذا نص جلي على ان الاسماء كلها غير المسميات لان المسميات كانت
اعيانا قائمة وذوات ثابتة تراها الملائكة وانما جهلت الاسماء فقط التى علمها الله آدم وعلمها آدم الملائكة وذكروا
قول الله تعالى قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن اياما تدعوا فله الاسماء الحسنى وهذا ما لا حيلة لهم فيه لان لفظة
الله هى غير لفظة الرحمن بلا شك وهى بنص القرآن اسماء الله تعالى والمسمى واحد لا يتغاير بلا شك وذكروا
قول الله عز وجل * ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه * وهذا بيان ايضا جلي مجمع عليه من أهل الاسلام ان
الذى عنده التذكية فهو الكلمة المجموعة من الحروف المقطعة مثل الله والرحمن والرحيم وسائر اسمائه عز
وجل واحتجوا من الاجماع بان جميع اهل الاسلام لا تحاشي منهم احدا قد اجمعوا على القول بان من حلف باسم
من اسماء الله عز وجل فحنث فعليه الكفارة ولا خلاف فى ان ذلك لازم فيمن قال والله او الرحمن او الصمد
او اى اسم من اسماء الله عز وجل حلف بها فما أسخف عقولا يدخل فيها تخطئة ما جاء به الله عز وجل فى
القرآن وما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم وما أجمع عليه أهل الاسلام وما أطبق عليه أهل الارض
قاطبة من أن الاسم هو الكلمة المجموعة من الحروف المقطعة وتصويب الباقلانى وابن فورك
فى ان ذلك ليس هو الاسم وانما هو التسمية والحمد لله الذى لم يجعلنا من اهل هذه الصنعة
المرذولة ولا من هذه العصابة المخذولة واحتجوا ايضا بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ارسلت
كلبك فذكرت اسم الله فكل فصح ان اللفظ المذكور هو اسم الله تعالى وقول رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان له اسماء وهى احمد ومحمد والعاقب والحاشر والماحى فيالله ويا للمسلمين ايجوز ان يظن ذو مسكة
عقل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خمس ذوات تبارك الذى يخلق ما لا نعلم وذكروا قول رسول الله صلى الله

عليه

عليه وسلم تسموا باسمي ولا تكنوا بكنيتي فصح ان الاسم هو الميم والحاء والميم والدال يقيناً لاشك فيه واحتجوا
بقول عائشة رضي الله عنها بحضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قال لها عليه السلام اذا كنت راضية عني
قلت لا ورب محمد واذا كنت ساخطة قلت لا ورب ابراهيم قالت اجل والله يارسول الله ما اهجر الا اسمك فلم
ينكر رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها ذلك القول فصح ان اسمه غيره بلاشك لانها لم تهجر ذاته وانما هجرت
اسمه واحتجوا ايضا بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم احب الاسماء الى الله عز وجل عبد الله وعبد الرحمن
واصدق الاسماء همام والحارث وروى اكذبها خالد ومالك وهذا كله يبين ان الاسم غير المسمى فقد يسمى عبد
الله وعبد الرحمن من يبغضه الله عز وجل وقد يسمى من يكون كذابا الحارث وهماما ويسمى الصادق خالدا
ومالكا فهم بخلاف أسمائهم واحتجوا ايضا بان قالوا قد اجتمعت الامم كلها على انه اذا سئل المرء ما اسمك قال فلان
واذا قيل له كيف سميت ابنك وعبدك قال سميته فلانا فصح ان تسميته هي اختياره وايقاعه ذلك الاسم على
المسمى وان الاسم غير المسمى واحتجوا من طريق النظر بان قالوا انتم تقولون ان اسم الله تعالى هو الله نفسه ثم
لا تبالون بان تقولوا اسماء الله تعالى مشتقة من صفاته فعليم مشتق من علم وقدير مشتق من قدرة وحي من حياة
فاذا اسم الله هو الله واسم الله مشتق فالله تعالى على قولكم مشتق وهذا كفر بارد وكلام سخيف ولا مخلص
لهم منه فصحت البراهين المذكورة من القرآن والسنن والاجماع والعقل واللغة والنحو على ان الاسم غير المسمى
بلاشك ولقد أحسن احمد بن جدار ماشاء أن يحسن اذ يقول

هيهات يا أخت آل بما * غلطت في الاسم والمسمى
لو كان هذا وقيل سم * مات اذاً من يقول سما

(قال ابو محمد) واخبرني ابو عبد الله السائح القطان انه شاهد بعضهم قد كتب الله في سحاة وجعل يصلي اليها
قال فقلت له ماهذا قال معبودي قال فنفخت فيها فطارت فقلت له قد طار معبودك قال فضربني

(قال ابو محمد) وموهوا فقالوا فاسماء الله عز وجل اذا مخلوقة اذ هي كثيرة واذ هي غير الله تعالى قلنا لهم
وبالله تعالى التوفيق ان كنتم تعنون الاصوات التي هي حروف الهجاء والمداد المخطوط به في القواطيس فما يختلف
مسلمان في كل ذلك مخلوق وان كنتم تريدون الايهام والتمويه باطلاق الخلق على الله تعالى فمن اطلق ذلك فهو كافر
بل ان اشار مشير الى كتاب مكتوب فيه الله او بعض اسماء الله تعالى او الى كلامه اذ قال يا الله او قال بعض اسمائه
عز وجل فقال هذا مخلوق او هذا ليس ربكم او تكفرون بهذا لما حل لمسلم الا ان يقول حاشا لله من ان يكون
مخلوقا بل هو ربي وخالقي أؤمن به ولا اكفر به ولو قال غير هذا لكان كافرا حلال الدم لانه لا يمكن ان يسأل عن
ذات الباري تعالى ولا عن الذي هو ربنا عز وجل وخالقنا والذي هو المسمى بهذه الاسماء ولا الى الذي يخبر
عنه ولا الى الذي يذكر الا بذكر اسمه ولا بد فلما كان الجواب في هذه المسألة يوهم اهل الجهل بايصال ما لا يجوز
الى ذات الله تعالى لم يجز ان يطلق الجواب في ذلك البتة الا بتقسيم كما ذكرنا وكذلك لو كتب انسان محمد
ابن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم او نطق بذلك ثم قال لنا هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم أم ليس
رسول الله وتؤمنون بهذا أو تكفرون به لكان من قال ليس رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أكفر به
كافرا حلال الدم باجماع اهل الاسلام ولكن نقول بل هو رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نؤمن به
ولا يختلف اثنان في الصوت المسموع والخط المكتوب ليس هو الله ولا رسول الله وبالله تعالى التوفيق فان
قالوا ان احمد بن حنبل وأبا زرعة عبيد الله بن عبد الكريم وأبا حاتم محمد بن ادريس الحنظلي الراويين
رحمهم الله تعالى يقولون ان الاسم هو المسمى قلنا لهم هؤلاء رضي الله عنهم وان كانوا من أهل السنة ومن
أئمتنا فليسوا معصومين من الخطا ولا أمرنا الله عز وجل بتقليدهم واتباعهم في كل ما قالوه وهؤلاء رحمهم الله

أرام اختيار هذا القول قولهم الصحيح ان القرآن هو المسموع من القرآن المخلوط فى المصاحف نفسه وهذا قول صحيح ولا يوجب أن يكون الاسم هو المسمى على ماقد بينا فى هذا الباب وفى باب الكلام فى القرآن والحمد لله رب العالمين وانما العجب كله ممن تلب الحق وفارق هؤلاء المذكورين حيث اصابوا وحيث لا يحل خلافهم وتعلق بهم حيث وهموا من هؤلاء المنتمين الى الاشعرى القائلين بان القرآن لم ينزل قط الينا ولا سمعناه قط ولا نزل به جبريل على قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم وان الذى فى المصاحف هو شيء آخر غير القرآن ثم اتبعوا هذه الكفرة الصلعاء بان قالوا ان اسم الله هو الله وانه ليس لله الا اسم واحد وكذبوا الله تعالى ورسوله فى ان لله أسماء كثيرة تسعة وتسعين ونعوذ بالله من الخذلان

﴿ قال ابو محمد ﴾ ولو أن انسانا يشير الى كتاب مكتوب فيه الله فقال هذا ليس ربي وأنا كافر بهذا لكان كافرا ولو قال هذا المداد ليس ربي وأنا كافر بربوبية هذا الصوت لكان صادقا وهذا لا ينكر وانما نقف حيث وقفنا قال محمد رسول الله رحمه الله لم يبعد من الاستخفاف فلو قال اللهم ارحم محمدا وآل محمد لكان محسنا ولو أن انسانا يذكر من أبويه العضو المستور باسمه لكان عاقا أتى كبيرة وان كان صادقا وبالله تعالى التوفيق

(الكلام فى قضايا النجوم والكلام فى هل يعقل الفلك والنجوم ام لا)

(قال ابو محمد) زعم قوم ان الفلك والنجوم تعقل وانها ترى وتسمع ولا تذوق ولا تشم وهذه دعوى بلا برهان وماكان هكذا فهو باطل مردود عند كل طائفة باول العقل اذ ليست أصح من دعوى اخرى تضادها وتعارضها وبرهان صحة الحكم بان الفلك والنجوم لا تعقل اصلا هو ان حركتها ابدا على رتبة واحدة لا تتبدل عنها وهذه صفة الجماد المدبر الذى لا اختيار له فقالوا الدليل على هذه ان الافضل لا يختار الا الافضل العمل فقلنا لهم ومن اين لكم بان الحركة افضل من السكون الاختيارى لانا وجدنا الحركة حركتين احتيارية واضطرارية ووجدنا السكون سكونين اختياريا واضطراريا فلا دليل على ان الحركة الاختيارية افضل من السكون الاختيارى ثم من لكم بان الحركة الدورية افضل من سائر الحركات يمينا ويسارا او امام او وراء ثم من لكم بان الحركة من شرق الى غرب كما يتحرك الفلك الاكبر أفضل من الحركة من غرب الى شرق كما تتحرك سائر الافلاك وجميع الكواكب فلاح ان قولهم مخرقة فاسدة ودعوى كاذبة مموهة وقال بعضهم لما كنا نحن نعقل وكانت الكواكب تدبرنا كانت أولى بالعقل والحياة منا فقلنا هاتان دعوتان مجموعتان فى نسق أحدهما القول بانها تدبرنا فهى دعوى كاذبة بلا برهان على ما نذكره بعد هذا ان شاء الله تعالى والثانى الحكم بان من تدبرنا احق بالعقل والحياة منا فقد وجدنا التدبير يكون طبيعيا ويكون اختياريا الموضح انها تدبرنا لكان تدبيرا طبيعيا كتدبير الغذاء لنا وكتدبير الهواء والماء لنا وكل ذلك ليس حيا ولا عاقلا بالمشاهدة وقد أبطلنا الان ان يكون تدبير الكواكب لنا اختياريا بما ذكرنا من جريها على حركة واحدة ورتبة واحدة لا تنقل عنها اصلا واما القول بقضايا النجوم فانا نقول فى ذلك قولا لائحا ظاهرا ان شاء الله تعالى

(قال ابو محمد) أما معرفة قطعها فى أفلاكها وآناء ذلك ومطالعها وابعادها وارتفاعاتها واختلاف مراكز أفلاكها فعلم حسن صحيح رفيع يشرف به الناظر فيه على عظيم قدرة الله عز وجل وعلى يقين تأثره وصنعته واختراعه تعالى للعالم بما فيه وفيه الذى يضطر كل ذلك الى الاقرار بالخالق ولا يستغنى عن ذلك فى معرفة القبلة وأوقات الصلاة ويتنتج من هذا معرفة رؤية الاهلة لفرض الصوم والفطر ومعرفة الكسوف وفى برهان ذلك قول الله تعالى ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق وقال تعالى والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم لا الشمس ينبغى

لها ان تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون وقال تعالى والسماء ذات البروج وقال تعالى لتعلموا عدد السنين والحساب وهذا هو نفس ما قلنا وبالله تعالى التوفيق

واما القضاء بها فالقطع به خطأ لما نذكره ان شاء الله تعالى واهل القضاء يقسمون قسمين احدهما القائلون بانها والفلك عاقلة مميزة فاعلة مدبرة دون الله تعالى او معه وانها لم تزل * فهذه الطائفة كفار مشركون حلال دماؤهم واموالهم باجماع الامة وهؤلاء عنى رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ يقول ان الله تعالى قال اصبح من عبادي كافر بي مؤمن بالكواكب وفسره رسول الله صلى الله عليه وسلم انه القائل مطرنا بنوء كذا وكذا واما من قال بانها في المدن التي يمكنهم فيها دعوى ان بناءها كان في طالع كذا ونصه كذا لكن في الاقاليم والقطع من الارض التي لم يتقدم كون بعضها كون بعض كذبهم فيما عليه بنوا قضاياهم في النجوم وكذلك قسمتهم اعضاء الجسم والفلزات على الدراري ايضا وبرهان سادس اننا نجد نوعا وانواعا من انواع الحيوان قد فشا فيها الذبح فلا تكاد يموت شيء منها الا مذبوحا كالدجاج والحمام والضان والمعز والبقر التي لا يموت منها حتف انفه الا في غاية الشذوذ ونوعا وانواعا لا تكاد تموت الا حتف انوفها كالحمير والبغال وكثير من السباع وبالضرورة يدري كل احد انها قد تستوي اوقات ولادتها فبطل قضاؤهم بما يوجب الموت الطبيعي وبما يوجد الكرهي لاستواء جميعها في الولادات واختلافها في انواع المنايا وبرهان سابع وهو اننا نرى الخصا فاشيا في سكان الاقليم الاول وسكان الاقليم السابع ولا سبيل الى وجوده البتة في سكان سائر الاقاليم ولا شك ولا مرية في استوائهم في اوقات الولادة فبطل يقينا قضاؤهم بما يوجب الخصا وبما لا يوجبه بما ذكرنا من تساويهم في اوقات التكون والولادة واختلافهم في الحكم ويكفي من هذا ان كلامهم في ذلك دعوى بلا برهان وما كان هكذا فهو باطل مع اختلافهم فيما يوجبه الحكم عندهم والحق لا يكون في قوانين مختلفين وايضا فان المشاهدة توجب انا قادرون على مخالفة احكامهم متى اخبرونا بها فلو كانت حقا وحتما ما قدر احد على خلافها واذا امكن خلافها فليست حقا فصح انها تخرص كالطرق بالحصا والضرب بالحب والنظر في الكتف والزجر والطيرة وسائر ما يدعى اهله فيه تقديم المعرفة بلا شك وما يحص ما شاهدناه وما صح عندنا مما حققه حذاقهم من التعديل في المواليد والمناجات وتحاول السنين ثم قضوا فيه فاخطؤا وما تقع اصابتهم من خطئهم الا في جزء يسير فصح انه تخرص لا حقيقة فيه لاسيما دعواهم في اخراج الضمير فهو كله كذب لمن تامله وبالله تعالى التوفيق وكذلك قولهم في القرانات ايضا ولو امكن تحقيق تلك التجارب في كل ما ذكرنا لصدقناها وما بعدوا منها ولم يكن ذلك علم غيب لان كل ما قام عليه دليل من خط او كتف او زجر او تطير فليس غيبا لصح وجه كل ذلك وانما الغيب وعلمه هو ان يخبر المرء من الكائنات دون صناعة اصلا من شيء مما ذكرنا ولا من غيره فيصيب الجزئي والكلي وهذا لا يكون الا لنبي وهو معجزة حينئذ واما الكهانة فقد بطلت بمجيء النبي صلى الله عليه وسلم فكان هذا من اعلامه وآياته وبالله تعالى التوفيق

﴿ الكلام في خلق الله تعالى للشيء اهو المخلوق نفسه ام غيره ﴾

وهل فعل الله من دون الله تعالى هو المفعول ام غيره

﴿ قال ابو محمد ﴾ ذهب قوم الى ان خلق الشيء المخلوق واحتج هؤلاء بقول الله عز وجل * ما اشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق انفسهم *

﴿ قال ابو محمد ﴾ ولا حجة لهم في هذه الآية لان الاشهاد ههنا هو الاحضار بالمعرفة وهذا حق لان الله تعالى لم يحضرنا عارفين ابتداء خلق السموات والارض وابتداء انفسنا ووجدنا من قال ان خلق الشيء هو الشيء نفسه يحتج بقول الله تعالى هذا خلق الله وهذه اشارة الى جميع المخلوقات فقد سمى الله تعالى جميع

المخلوقات كلها خلقا له وهذا برهان لايعارض

(قال ابو محمد) ثم نسأل من قال ان خلق الشيء هو غير الشيء فنقول له أخبرنا عن خلق الله تعالى لما
خلق امخلوق هو ايضا ام غير مخلوق فلا بد من احد الامرين فان قالوا هو غير مخلوق اوجبوا بازاء كل
مخلوق شيئا موجودا غير مخلوق وهذا مضاهاة لقول الدهرية والبرهان قد قام بخلاف هذا وقال تعالى *
خلق كل شيء فقدره تقديرا * وان قالوا بل خلقه تعالى لما خلق مخلوق قلنا فخلقه تعالى لذلك الخلق
بخلق ام بغير خلق فان قالوا بغير خلق قيل لهم من اين قلتم ان خلقه للاشياء بخلق هو غير المخلوق
وقلتم في خلقه لذلك الخلق انه بغير خلق وهذا تخليط وان قالوا بل خلقه بخلق سألناهم الخلق هو ام بخلق
هو غيره وهكذا ابدا فان وقفوا في شيء من ذلك فقالوا خلقه هو هو سألناهم عن الفرق بين ماقالوا ان خلقه هو
غيره وبين ماقالوا ان خلقه هو هو وان تمادوا خرجوا الى وجود اشياء لانهاية لها وهذا محال ممتنع وقد
قطع بهذا معمر بن عمرو العطار احد رؤساء المعتزلة وسنذكر كلامه بعد هذا ان شاء الله تعالى منه لا بهذا
الباب وبالله تعالى نتأيد وايضا فان الجميع مطبقون على ان الله عز وجل خالق ماخلق بلا مباينة فاذ لاشك
في ذلك فقد صح يقينا انه لا واسطة بين الله تعالى وبين ماخلق ولا ثالث في الوجود غير الخالق والمخلوق
وخلق الله تعالى ماخلق حق موجود وهو بلاشك مخلوق وهو بلا شك ليس هو الخالق فهو المخلوق نفسه
بيقين لاشك فيه اذلا ثالث هاهنا أصلا وبالله تعالى التوفيق

(قال ابو محمد) وكل من دون الله تعالى فعله هو مفعوله نفسه لاغير لانه لايفعل احد دون الله تعالى
الاحركة اوسكونا او تأثيرا أو معرفة او فكرة اوارادة ولامفعول لشيء دون الله تعالى الا ماذكرنا فهي
مفعولات الفاعلين وهي افعال الفاعلين ولا فرق وما عدا هذا فانما هومفعول فيه كالمضروب والمقتول او
مفعول به كالسوط والابرة وماأشبه ذلك اومفعول له كالمطاع والمخدوم اومفعول من اجله كالمكسوب والمحلوب
فهذه اوجه المفعولات

(قال ابو محمد) واماسائر افعال الله تعالى فبخلاف ماقلنا في الخلق بل هي غير المفعول فيه اوله او به او من
اجله وذلك كالاحياء فهو غير المحيا بلاشك وكلاهما مخلوق لله تعالى وخلقه تعالى لكل ذلك هو المخلوق
نفسه كما قلنا وكالاماتة فهي غير الممات ولو كان غير هذا وكان الاحياء هو المحيا والاماتة هي الممات وبيقين
ندري ان المحيا هو الممات نفسه لوجب ان يكون الاحياء هو الاماتة وهذا محال وكالابقاء فهو غير المبقى
للبرهان الذي ذكرنا وبيقين ندري ان الشيء غير اعراضه التي هي قائمة به وقتا وفانية عنه تارة وبالله
تعالى التوفيق

(الكلام في البقاء والفناء والمعاني التي يدعيها معمر)

والاحوال التي تدعيها الاشعرية وهل المعدوم شيء ام ليس شيئا ومسئلة الاجزاء وهل يتجدد خلق الله
للاشياء ام لايتجدد

(قال ابو محمد) ذهب قوم الى ان البقاء والفناء صفتان للباقي والفاني لاهما الباقي ولا الفاني ولاهما غير الباقي والفاني

(قال ابو محمد) وهذا قول في غاية الفساد لان القضية الثانية بنقيض الاولى والاولى بنقيض الثانية لانه
اذا قال ليست هي فقد اوجب انها غيره واذا قال ليست غيره فقد اوجب انه هو وهذا تناقض ظاهر وايضا فانه
لافرق بين قول القائلين ليس هو هو ولا بين قوله هو هو وهو غيره والمعنى في تلك القضيتين سواء وأيضا فلو
كان البقاء ليس هو الباقي ولا هو غيره والفناء ليس هو الفاني ولا هو غيره فالباقي هو الفاني نفسه والباقي ليس هو الباقي
ولاغيره وهذا مزيد من الجنون ومن التناقض وذهب معمر الى ان الفناء صفة قائمة بغير الفاني

(قال ابو محمد) وهذا تخبيط لايعقل ولايتوهم ولايقوم عليه دليلا اصلا وماكان هكذا فهو باطل والحقيقة في ذلك ظاهرة وهي، ان البقاء هو وجود الشيء وكونه ثابتا قائما مدة زمان ما فاذ هو قائما كذلك فهو صفة موجودة في الباقي محمولة فيه قائمة به موجودة بوجوده فانية بفنائه واما الفناء فهو عدم الشيء وبطلانه جملة وليس هو شيئا اصلا والفناء المذكور ليس موجودا البتة في شيء من الجواهر وانما هو عدم العرض فقط كحمرة الخجل اذا ذهبت عبر عن المعنى المراد بالاخبار عن ذهابها بلفظة الفناء كالغضب يفنى ويعقبه رضا وماأشبه ذلك ولوشاء الله عزوجل ان يعدم الجواهر لقدر على ذلك ولكنه لم يوجد ذلك الى الآن ولاجاء به نص فيقف عنده فالفناء عدم كما قلنا

الكلام في المعدوم اهو شيء ام لا

(قال ابو محمد) وقد اختلف الناس في المعدوم اهو شيء ام لا فقال اهل السنة وطوائف من المرجئة كالاشعرية وغيرهم ليس شيئا وبه يقول هشام بن عمرو الفوطي احد شيوخ المعتزلة وقال سائر المعتزلة المعدوم شيء وقال عبد الرحيم بن محمد بن عثمان الخياط احد شيوخ المعتزلة ان المعدم جسم في حال عدمه الا انه ليس متحركا ولاساكنا ولامخلوقا ولامحدثا في حال عدمه

(قال ابو محمد) واحتج من قال بان المعدوم شيء بان قالوا قال عزوجل ان زلزلة الساعة شيء عظيم فقالوا فقد اخبر عزوجل بانها شيء وهي معدومة ومن الدليل على ان المعدوم شيء انه يخبر عنه ويوصف ويتمنى ومن المحال ان يكون ماهذه صفته ليس شيئا

(قال ابو محمد) اما قول الله عزوجل ان زلزلة الساعة شيء عظيم فان هذه القصة موصولة بقوله تعالى يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما ارضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وماهم بسكارى فانما تم الكلام عند قوله يوم ترونها فصح ان زلزلة الساعة يوم ترونها شيء عظيم وهذا هو قولنا ولم يقل تعالى قط انها الآن شيء عظيم ثم اخبر تعالى بما يكون يومئذ من هول المرضعات ووضع الاحمال وكون الناس سكارى من غير خمر فبطل تعلقهم بالآية وماتلم انهم شغبوا بشيء غيرها واما قولهم ان المعدوم يخبر عنه ويوصف ويتمنى ويسمى فجهل شديد وظن فاسد وذلك ان قولنا في شيء يذكر انه معدوم ويخبر عنه انه معدوم ويتمنى به انما هو ان يذكر اسم مافذلك الاسم موجود بلاشك يعرف ذلك بالحس كقولنا العنقاء وابن آوى وحبين وعرس ونبوة مسيلمة وماأشبه ذلك ثم كل اسم ينطق به ويوجد ملفوظا اومكتوبا فانه ضرورة لابد له من احد وجهين امالن يكون له مسمى واما ان يكون ليس له مسمى فان كان له مسمى فهو موجود وهو شيء حينئذ وان كان ليس له مسمى فاخبارنا بالعدم وتمنينا للمريض الصحة انما هو اخبار عن ذلك الاسم الموجود انه ليس له مسمى ولاتحته شيء وتمن منا لان يكون تحته مسمى فهكذا هو الامر لاكما ظنه اهل الجهل فصح ان المعدوم لايخبر عنه ولايتمنى ونسالهم عمن قال ايت لي ثوبا احمر وغلاما اسود اخبرونا هل الثوب المتمنى به عندكم أحمر ام لا فان اثبتوا معنى وهو الثوب اثبتوا عرضا محمولا فيه وهو الحمرة فوجب ان المعدوم يحمل الاعراض وان قالوا لم يتمن شيئا اصلاصدقوا وصح ان المعدوم لايتمنى لانه ليس شيا ولافرق بين قول القائل تمنيت لاشيء وبين قوله لم اتمن شيا بل هما متلائمان بمعنى واحد وهذا ايضا يخرج على وجه آخر وهو انه لايتمنى الاشيا موجودفي العالم كثوب موجود أوغلام موجودواما من اخرج لفظة التمني لما ليس في العالم فلم يتمن شيا واماقولهم بوصف فطريق عجب جدا لان معنى قول القائل يوصف اخبار بان له صفة محمولة فيه موجودة به فليت شعري كيف يحمل المعدوم من الصفات من الحمرة والخضرة والقوة والطول والعرض ان هذا لعجيب جدا فظهر فساد ماموهوا به والحمد لله رب العالمين

(قال) ابو محمد رضى الله عنه واذ قد عرا قولهم عن الدليل فقد صح انه دعوى كاذبة ثم نقول و بالله التوفيق من البرهان على ان المعدوم اسم لا يقع على شيء أصلا قول الله عز وجل وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا وقوله تعالى هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا وقوله وخلق كل شيء فقدره تقديرا وقال عز وجل انا كل شيء خلقناه بقدر فيلزمهم ولا بد ان كان المعدوم شيئا ان يكون مخلوقا بعد وهم لا يختلفون في ان المخلوق موجود وقد وجد وقتا من الدهر فالمعدوم على هذا موجود وقد كان موجودا وهذا خلاف قولهم وهذا غاية البيان في ان المعدوم ليس شيئا

(قال) أبو محمد رضى الله عنه ونسالهم ما معنى قولنا شيء فلا يجدون بدا من ان يقولوا انه الموجود او ان يقولوا هو كل ما يخبر عنه فان قالوا هو الموجود صاروا الى الحق وان قالوا هو كل ما يخبر عنه قلنا لهم ان المشركين يخبرون عن شريك الله عز وجل قال تعالى أين شركائى

(قال) أبو محمد وهذا معدوم لا مدخل له فى الحقيقة واسم لا مسمى تحته فان قالوا ان شركاء الله تعالى اشياء كانوا قد أفحشوا وأيضا فانه قد اتفقت جميع الامم لا نحاشى ان المعدوم ليس شيئا او لا شيء او ما يعبر به فى كل لغة عن شيء وعن لا شيء الا ان المعنى واحد فلو كان المعدوم شيئا لكان ما أجمعوا عليه بلا شيء وليس شيئا ولم يكن شيئا باطلا وهذا رد على جميع أهل الارض مذ كانوا الى ان يفنى العالم فصح أن الموجود هو الشيء فاذ هو الشيء فبضرورة العقل ان اللاشيء هو المعدوم ثم نسالهم اتقولون ان المعدوم عظيم اوصغير او حسن او قبيح أو طويل او قصير او ذو لون فى حال عدمه فان ابوا من هذا تناقض قولهم وسئلوا عن الفرق بين قولهم انه شيء و بين قولهم انه حسن او قبيح اوصغير اوكبير وكيف قالوا انه شيء ثم قالوا انه ليس حسنا ولا قبيحا ولا صغيرا ولا كبيرا فان قالوا نعم اوجبوا ان المعدوم يحمل الاعراض والصفات وهذا تخليط ناهيك به وسئلوا فبماذا يحمل الصفات أفى ذاته او فيماذا فان قالوا فى ذاته أوجبوا ان له ذاتا وهذه صفة الموجود ضرورة وان قالوا بل يحمل الصفات فى غيره كان ذلك أيضا عجبا زائدا ومحالا لا خفاء به

(قال) ابو محمد ونسالهم هل الايمان موجود من أبى جهل او معدوم فان قولهم بلا شك انه معدوم منه. فنسالهم عن ايمان أبى جهل المعدوم حسن هو أم قبيح. فان قالوا لا حسن ولا قبيح قلنا لهم ايكون يعقل ايمان ليس حسنا هذا عظيم جدا. وان قالوا بل هو حسن أوجبوا انه حامل للحسن وكذلك نسالهم عن الكفر المعدوم من الانبياء عليهم السلام اقبيح هو أم لا. فان قالوا لا أوجبوا كفرا ليس قبيحا. وان قالوا بل هو قبيح أوجبوا ان المعدوم يحمل الصفات ونسالهم عن ولد العقيم المعدوم منه اصغير هو أم كبير ام عاقل ام أحمق. فان منعوا من وجود شيء من هذه الصفات له كان عجبا ان يكون ولد لا صغير ولا كبير ولا حى ولا ميت وان وصفوه بشيء من هذه الصفات اتوا بالزيادة من المحال ونسالهم عن الاشياء المعدومة ألها عدد ام لا عدد لها. فان قالوا لا عدد لها كانوا قد أتوا بالمحال اذ أقروا باشياء لا عدد لها. وان قالوا بل لها عدد كان ذلك عجبا جدا ومحالا لا خفاء به وسالناهم عن الاولاد المعدومين من العاقر والعقيم كم عددهم. ونسالهم عن الاشياء المعدومة اهى فى العالم ومن العالم أم ليست فى العالم ولا من العالم فان قالوا اهى فى العالم ومن العالم سالناهم عن مكانها فان حددوا لها مكانا سخنوا ما شاؤا وان قالوا لا مكان لها. قيل لهم وكيف يكون شيء فى العالم لا مكان له فيه ولا حامل

(قال أبو محمد) ويلزمهم ان المعدومات اذا كانت أشياء لا عدد لها ولا نهاية ولا مبدأ فانها لم تزل وهذه دهرية محققة وكفر مجرد ان تكون اشياء لا تحصى كثرة لم تزل مع الله تعالى ونعوذ بالله من مثل هذا الهوس

(قال ابو محمد) وقد ادعوا ان المعدوم يعلم وهذا جهل منهم بحدود الكلام لاسيما ممن اقر بان المعدوم

لا شيء

لاشيء وادعى مع ذلك انه يعلم فالزمهام على ذلك انهم يعلمون لاشيء وان الله تعالى يعلم لاشيء فحصر بعضهم على ذلك فقلنا له ان قولك علمت لاشيء وعلم الله تعالى لاشيء ملائم اقولك لم اعلم شيئا وقولك لم يعلم الله تعالى شيئا لافرق بين معنى القضيتين البتة بل هما واحد وان اختلفت العبارتان واذ هو كذلك فقد صح ان المعدوم لايعلم فان الزمنا على هذا وسالنا هل يعلم الله تعالى الا شيئا قبل كونها أم لا قلنا لم يزل الله تعالى يعلم ان مايخلقه ابدا الى مالا نهاية له فانه سيخلقه ويرتبه على الصفات التى يخلقها فيها اذا خلقه وانه سيكون شيئا اذا كونه ولم يزل عز وجل يعلم ان مالم يخلق بعد فليس هو شيئا حتى يخلقه ولم يزل تعالى يعلم انه لاشيء معه وانه ستكون الاشياء اشياء اذا خلقها لانه تعالى انما يعلم الاشياء على ماهى عليه لاعلى خلاف ماهى عليه لان من علمها على خلاف ماهى عليه فلم يعلمها بل جهلها وليس هذا علما بل هو ظن كاذب وجهل وبرهان هذا قول الله عز وجل ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم ولو فى لغة العرب التى خاطبنا الله تعالى بها حرف يدل على امتناع الشيء لامتناع غيره فصح انه تعالى لم يسمعهم لانه لم يعلم فيهم خيرا او لاخير فيهم فصح ان المعدوم لايعلم أصلا ولو علم لكان موجودا وانما يعلم الله تعالى ان لفظة المعدوم لاسمى لها ولا شيء تحتها ويعلم عز وجل الآن ان الساعة غير قائمة وهو الآن تعالى لايعلمها قائمة بل يعلم انه سيقيمها فتقوم فتكون قيامة وساعة ويوم جزاء ويوم بعث وشيئا عظيما حين يخلق كل ذلك لاقبل ان يخلقه فاما علمه تعالى بانه سيقيمها فتقوم فهو موجود حق فهذا معنى اطلاق العلم على مالم يكن بعد من المعدومات كما اننا لانعلم الآن الشمس طالعة طلوعها فى غد بل نعلم انها ستطلع غدا وكذلك لانعلم موت الاحياء الان بل نعلم ان الله تعالى سيخلق موتهم فنعلمه موتا لهم اذا خلقه لاقبل ذلك وبالله تعالى التوفيق وقال تعالى ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين فهذا نص جلى على ان المعدوم لايعلم لأن الله تعالى اخبر انه لايدخل الجنة من لايعلمه الله تعالى مجاهدا ولا صابرا فصح ان من لم يجاهد ولا صبر فلم يعلمه الله تعالى قط مجاهدا ولاصابرا ولا علم له جهادا ولا صبرا وانما علمه غير مجاهد وغير صابر ولم يزل تعالى يعلم ان من كان منهم سيجاهد وسيصبر فانه لم يزل يعلم انه سيجاهد وسيصبر فاذا جاهد وصبر علمه حينئذ صابرا مجاهدا والعلم لايستحيل لانه ليس شيئا غير البارى تعالى وانما استحال المعلوم فقط. ثم نسالهم هل يعلم الله تعالى لحية الاطلس وقنا الافطس ام لايعلم ذلك وهل يعلم الله تعالى اولاد العقيم وايمان الكافر وكفر المؤمن وكذب الصادق وصدق الكاذب ام لايعلم شيئا من ذلك. فان قالوا انه تعالى يعلم كل ذلك كانوا قد وصفوا الله تعالى بالجهل وانه يعلم الاشياء بخلاف ماهى عليه وان قالوا انه تعالى لايعلم للعقيم اولادا وانما يعلمه لاولد له ولا يعلم لحية الاطلس بل يعلمه غير ذى لحية صدقوا وعادوا الى الحق وبالله تعالى التوفيق

❊ (الكلام فى المعانى على معمر) ❊

(قال ابو محمد) وامّا معمر ومن اتبعه فقالوا انا وجدنا المتحرك والساكن فايقنا ان معنى حدث فى المتحرك به فارق الساكن فى صفته وان معنى حدث فى الساكن به ايضا فارق المتحرك فى صفته وكذلك علمنا ان فى الحركة معنى به فارقت السكون وان فى السكون معنى به فارق الحركة وكذلك علمنا ان فى ذلك المعنى الذى به خالفت الحركة السكون معنى به فارق المعنى الذى به فارقه السكون وهكذا ابدا اوجبوا ان فى كل شيء فى هذا العالم من جوهر او عرض اى شيء كان معانى فارق كل معنى منها كل ماعداه فى العالم وكذلك ايضا فى تلك المعانى لانها اشياء موجودة متغايرة واوجبوا بهذا وجود اشياء فى زمان محدود فى العالم لانهاية لعددها

في الكفر والكافر والايمان والمؤمن وفي غير

(قال ابو محمد) هذه جملة كل ما شغبوا به الا انهم فصلوها ومددوها في الكفر والكافر والايمان والمؤمن وفي غير
ذلك مما هو المعنى الذي اوردناه بعينه ولا زيادة فيه اصلا

(قال ابو محمد) وهذا ليس شيئا لاننا نقول لهم وبالله تعالى التوفيق العالم كله قسمان جوهر حامل وعرض محمول
ولا مزيد ولا ثالث في العالم غير هذين القسمين هذا امر يعرف بضرورة العقل وضرورة الحس فالجواهر مغايرة
بعضها البعض بذواتها التي هي اشخاصها يعني بالغيرية فيها وتختلف ايضا بجنسها وهي ايضا مفترق بعضها من
بعض بالعرض المحمول في كل حامل من الجواهر واما الاعراض فمغايرة للجواهر بذواتها بالغيرية فيها
وكذلك هذه ايضا بعضها مغاير لبعض بذواتها وبعضها مفارق لبعض بذواتها وان كان بعض الاعراض ايضا
قد تحمل الاعراض كقولنا حمرة مشرقة وحمرة كدرة وعمل سيئ وعمل صالح وقوة شديدة وقوة دونها في
الشدة ومثل هذا كثير الا ان كل هذا يقف في عدد متناه لا يزيد وهذا امر يعلم بالحس والعقل فالمتحرك يفارق
الساكن هذا بحركته وهذا بسكونه والحركة تفارق السكون بذاتها ويفارقها السكون بذاته وبالنوعية
والغيرية والحركة الى الشرق تفارق الحركة الى الغرب بكون هذه الى الشرق وكون هذه الى الغرب بذاته
وبالغيرية فقط وهكذا في كل شيء فكل شيئين وقعا تحت نوع واحد مما يلي الاشخاص فانهما يختلفان بغيريتها
فان كانا وقعا تحت نوعين فانهما يختلفان بالغيرية في الشخص وبالغيرية في النوع ايضا والغيرية ايضا لها نوع جامع
لجميع اشخاصها الا ان كل ذلك واقف عند حد من العدد لا يزيد ولا بد ثم نسألهم خبرونا عن المعاني التي تدعونها
في حركة واحدة ايما اكثر اهي ام المعاني التي تدعونها في حركتين فان اثبتوا قلة وكثرة تركوا مذهبهم واوجبوا
النهاية في المعاني التي نفوا النهاية عنها وان قالوا لا قلة ولا كثرة هاهنا كابروا واتوا بالمحال الناقض ايضا لاقوالهم
لانهم اذا اوجبوا للحركة معنى اوجبوا للحركتين معنيين وهكذا ابدا فوجبت الكثرة والقلة ضرورة
لا محيد عنها

(قال ابو محمد) فلم يكن لهم جواب اصلا الا ان بعضهم قال اخبرونا اليس الله تعالى قادرا على ان يخلق في جسم واحد
حركات لا نهاية لها

(قال ابو محمد) فجواب اهل الاسلام في هذا السؤال نعم واما من عجز ربه فاجابوا بلا فسقط هذا السؤال عنهم
وكان سقوط الاسلام عنهم بهذا الجواب اشد من سقوط سؤال اصحاب معمر

(قال ابو محمد) فتمادى سؤالهم لاهل الحق فقالوا فاخبرونا ايما اكثر ما يقدر الله تعالى عليه من خلق الحركات في
جسمين او ما يقدر عليه من خلق الحركات في جسم واحد فكان جواب اهل الحق في ذلك انه لا يقع عدد على
معدوم ولا يقع العدد الا على موجود معدود والذي يقدر الله تعالى عليه ولم يفعله فليس هو بعد شيئا ولا له عدد ولا
هو معدود ولا نهاية لقدرة الله تعالى واما ما يقدر عليه تعالى ولم يفعله فلا يقال فيه ان له نهاية ولا انه لا نهاية له واما
كل ما خلق الله تعالى فله نهاية بعد وكذا كل ما يخلق فاذا خلقه حدثت له نهاية حينئذ لا قبل ذلك واما المعاني التي
تدعونها فانكم تدعون انها موجودة قائمة فوجب ان يكون لها نهاية فان نفيتم النهاية عنها لحقتم باهل الدهر
وكلمناكم بما كلمناهم به مما قد ذكرنا قبل وبالله تعالى التوفيق ثم لو ثبت لكم هذه العبارة من قول القائل ان
ما يقدر الله تعالى عليه لا نهاية لعدده وهذا لا يصح بل الحق في هذا ان نقول ان الله تعالى قادر على ان يخلق ما لا
نهاية له في وقت ذي نهاية ومكان ذي نهاية ولو شاء ان يخلق ذلك في وقت غير ذي نهاية ومكان غير ذي نهاية
لكان قادرا على كل ذلك لما وجب من ذلك اثبات ما ادعيتم من وجود معان في وقت واحد لا نهاية لها اذ ليس
هاهنا عقل يوجب ذلك ولا خبر يوجب ذلك وانما هو قياس منكم اذ قلتم لما كان قادرا على ان يخلق ما لا نهاية له
قلنا انه قد خلق ما لا نهاية له فهذا قياس والقياس كله باطل ثم لو كان القياس حقا لكان هذا منه باطلا لانه بزعمكم

قياس موجود علي ومعدوم قياس وتشبيه لماقد خلقه بزعمكم على مالم يخلقه وهذا فى غاية الفساد ولافرق بينكم فى هذا القياس الفاسد وبين من يقول انفي بلد كذا قوما يشمون من عيونهم ويسمعون من انوفهم ويذوقون من آذانهم ويبصرون من السنتهم فاذا كذب فى ذلك وسئل برهانا علي دعواه قال اتقرون ان الله قادر علي خلق ذلك فقلنا له نعم قال فهذا دليل علي صحة دعواى بل انتم اسوأحالالان هذا أخبر عن متوهم لوكان كيف كان يكون فانتم تخبرون عن غير متوهم فى النفس ولامتشكل فى العقل وهو اقراركم بوجود معان لانهاية لعددها فى وقت واحد

(قال ابو محمد) فبطل هذا القول الفاسد والحمدلله رب العالمين وكان يكفى من بطلانها انهادعوي لابرهان علي صحتها وهى دعوى فاسدة غير ممكنة بل هى محال لا يتوهم ولا ولا يتشكل وبالله تعالى التوفيق

الكلام فى الاحوال مع الاشعرية ومن وافقهم

(قال ابو محمد) * واما الاحوال التى ادعتها الاشعرية فانهم قالوا انهاهنا أحوالا ليست حقا ولا باطلا ولاهى مخلوقة ولاغير مخلوقة ولاهي موجودة ولامعدومة ولاهى معلومة ولاهى مجهولة ولاهى أشياء ولاهى لاأشياء ، وقالوا من هذا علم العالم بان له علما ووجوده لوجوده مايجده قالوا فان قلتم ان لكم علما بان لكم علما بالبارى تعالى وبما تعلمونه وان لكم وجودا لوجودكم ما تجدونه سالنا كم ألكم علم بعلمكم بان لكم علما وهل لكم وجود لوجودكم ووجودكم ماتجدونه ، فان أقررتم بذلك لزمكم ان تسلسلوا هذا أبدا الى مالانهاية له ودخلتم في قول أصحاب معمر والدهرية ؛ وان منعتم من ذلك سئلتم عن صحة الدليل على صحة منعكم مامنعتم من ذلك وصحة ايجابكم ماأوجبتم من ذلك ، وكذلك قالوافى قدم القديم وحدوث المحدث وبقاء الباقى وفناء الفاني وظهور الظاهر وخفاء الخافى وقصد القاصدونية الناوى وزمان الزمان وماأشبه ذلك وقالوا لوكان للباقى بقاء ولبقاء الباقى بقاء وهكذا أبدا الى مالانهاية له قالوا فهذا يوجب وجود اشياء لا نهاية لها وهـذا محال ، وهكذا قالوا فى قدم القديم وقدم قدمه وقدم قدم قدمه الى مالانهاية له وفى حدوث احد حدوث حدوثه وحدوث حدوث حدوثه الى مالانهاية له ، وهكذا قالوا في زمان الزمان وزمان زمان الزمان الى مالا نهاية له وفى فناء الفاني وفناء فناء فنائه مالانهاية له وكذلك ظهور الظاهر وظهور ظهوره وظهور ظهور ظهوره الى مالانهاية له وكذلك القصد والقصد الى القصد والقصدالى القصد الى القصد وهكذا الى مالانهاية وكذلك النية والنية للنية والنيه للنية الى مالانهاية له وكذلك تحقيق الحق وتحقيق تحقيق الحق الى مالانهاية له

(قال ابو محمد) أفكار السوء اذا ظن صاحبها انه يدقق فيها فهى أضر عليه لانها تحرجه الى التخليط الذى ينسبونه الى السوفسطائية والى الهذيان المحض وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا

(قال ابو محمد) والـكلام فى هذا أبين من ان يشكل على عامى فـكيف علي فهم (١) فكيف على عالم والحمد لله ونحن نتكلم على هذا انشاء الله عزوجل كلاما ظاهرا لانحالا يخفى على ذى حس سليم وبالله تعالى نتايد فنقول وبالله تعالى التوفيق . أما القدم فانه من صفات الزمن ومن فيه تقول ملك أقدم من ملك وزمان أقدم من زمان وشيخ اقدم من شيخ اي انه متقدم بزمانه عليه والزمان متقدم بذاته على الزمان ليس فى العالم قدم قديم الازماني هذا هو حكم اللغة التى لا يوجد فيها غيره أصلا ، فالقدم هو التقدم والتقدم متقدم على غيره بنفسه فقط لان القدم موجود معلوم وهى صفة المتقدم فلا يجوز انكاره واما قدم القدم فباطل لانه لم يات به نص ولا قام بوجوده دليلا وما كان هكذا فهو باطل واما وجود الوجود فبضرورة الحس ان الموجود حق وانه يقتضى واجد وان الوجد يقتضى وجودا لما وجد هو فعل الواجد وصفته

(١) فهم كحذر كثير الفهم

فهو حق لما ذكرنا ووجود الواجد بذاته لا بوجود هو غيره لان وجود الوجود لم يات به نص ولا برهان وما كان هكذا فهو باطل ، وأما البارى عزوجل فانه يجد نفسه ويعلمها ويجد مادونه ويعلمه بذاته لا بوجود هو غيره ولا بعلم هو غيره فقط وكذلك العالم منا يقتضى علما ولابد هو فعل العالم وصفته المحمولة فيه عرضا بيقين ويزيد ويذهب ويثبت اطوارا هذا مالا شك فيه والعالم منا يعلم انه يحمل علما بعلمه ذلك لا بعلم هو غير علمه لان العلم بالعلم لم يوجب وجوده نص ولا برهان وما كان هكذا فهو باطل وكذلك الباقى مثله بلا شك والبقاء هو اتصال وجوده مدة بعد مدة وهذا معنى صحيح لا يجوز ان ينكره عاقل فاما بقاء البقاء فلم يات بايجاب وجود نص ولا قام به برهان وما كان هكذا فهو باطل ولا يجوز ان يوصف الله تعالى ببقاء البقاء ولا انه (١) باق كما لا يوصف بالخلد ولا بانه خالد ولا بالدوام ولا بانه دائم ولا بالثبات ولا بانه ثابت ولا بطول العمر ولا بطول المدة لان الله عزوجل لم يسم نفسه بشىء من ذلك لا فى القرآن ولا على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا قاله قط أحد من الصحابة رضي الله عنهم ولا قام به برهان بل البرهان قام ببطلان ذلك لان كل ما ذكرنا من صفات المخلوقين ولا يجوز ان يوصف الله تعالى بشىء من صفات المخلوقين الا ان ياتى نص بان يسمى باسم ما فيوقف عنده ولان كل ما ذكرنا اعراض فيما هو فيه والله تعالى لا يحمل الاعراض وايضا فانه عز وجل لا فى زمان ولا يمر عليه زمان ولا هو متحرك ولا ساكن لكن يقال لم يزل الله تعالى ولا يزال ، واما الفناء فانه مدة للعدم تعدها اجزاء الحركات والسكون ولا يجوز ان تكون للمدة مدة لسكنها مدة فى نفسها ولنفسها فالقول بالزمان حق لانه محسوس معلوم واما القول بزمان الزمان فهو شىء لم يات به نص ولا قام بصحته برهان وما كان هكذا فهو باطل ، واما ظهور الظاهر فهو متيقن معلوم والظهور صفة الظاهر وفعله تقول ظهر يظهر ظهورا والظهور معلوم ظاهر بنفسه ولا يجوز ان يقال ان للظهور ظهورا لانه لم يات به نص ولا قام بصحته برهان وما كان هكذا فهو باطل ، واما خفاء الخافى فهو عدم ظهوره والعدم ليس شيئا كما قدمنا ، واما القصد الى الشيء والنية له فانما هما فعل القاصد والناوى وارادتهما الشىء والقول بهما واجب لانهما موجودان بالضرورة يجدهما كل واحد من نفسه ويعلمهما من غيره علما ضروريا واما القصد الى القصد والنية للنية فباطل لانه لم يات به نص ولا اوجبهما دليل وما كان هكذا فهو باطل والقول به لا يجوز فهذا وجه البيان فيما خفى عليهم حتى أتوا فيه بهذا التخليط والحمد لله رب العالمين

(قال ابو محمد) ثم نقول لهم اخبرونا اذا قلتم هذه احوال أهى معان ومسميات مضبوطة محدودة متميز بعضها من بعض ام ليست معانى اصلا ولا لها مسميات ولا هى مضبوطة ولا محدودة متميز بعضها من بعض ، فان قالوا ليست معانى ولا محدودة ولا مضبوطة ولا متميزا بعضها من بعض ولا لتلك الاسماء مسميات اصلا ، قيل لهم فهذا هو معنى العدم حقا فلم قلتم انها ليست معدومة ثم لم سميتموها احوالا وهى معدومة ولا تكون التسمية الا شرعية او لغوية وتسميتكم هذه المعانى احوالا ليست تسمية شرعية ولا لغوية ولا مصطلحا عليها لبيان ما يقع عليه فهى باطل محض بيقين ، فان قالوا هى معان مضبوطة ولها مسميات محدودة متميزة بعضها من بعض قيل لهم هذه صفة الموجود ولا بد فلم قلتم انها ليست موجودة وهذا ما لا مخلص لهم منه وبالله تعالى التوفيق

(قال ابو محمد) ويقال لهم ايضا هذه الاحوال التى تقولون امعقولة هي أم غير معقولة فان قالوا هى معقولة كانوا قد اثبتوا لها معانى وحقائق من اجلها عقلت فهى موجودة ولابد والعدم ليس معقولا لكنه لا معنى لهذه اللفظة أصلا وبالله تعالى التوفيق ، ويقال لهم ايضا هل الاحوال فى اللغة

(١) ولا أنه اى بقاء البقاء باق

فى المعقول الا صفات لذي حال وهل الحال فى اللغة الا بمعني التحول من صفة الى اخرى يقال هذا حال فلان اليوم وكيف كانت حالك بالامس وكيف يكون الحال غدا فاذا الامر هكذا ولا بد فهذه الاحوال موجودة حق مخلوقة ولا بد فظهر فساد قولهم وانه من اسخف الهذيان والمحال الممتنع الذى لا يرضى به عاقل، ويقال لهم ايضا قبل كل شيء وبعده فمن اين سميتم هذا الاسم يعنى الاحوال ومن اين قلتم لا هى معلومة ولا هي مجهولة ولا حق ولا باطل ولا مخلوقة ولا غير مخلوقة ولا معدومة ولا موجودة ولا هى أشياء ولا غير اشياء أى دليل حداكم على هذا الحكم أقرآن أم سنة ام اجماع أم قول متقدم أم لغة ام ضرورة عقل ام دليل اقناعى ام قياس فهاتوه ولا سبيل اليه فلم يبق الا الهذر والهوس وقلة المبالاة بما يكتبه الملكان ويسال عنه رب العالمين والتهاون باستخفاف أهل العقول لمن قال بهذا الجنون ولا مزيد ونعوذ بالله من الخذلان، وما ينبغى لهم بعد هذا أن ينكروا على من أتى بما لا يعقل ككون الجسم فى مكانين والجسمين فى مكان واحد وكون شيء قائما قاعدا وكون أشياء غير متناهية فى وقت واحد فان قالوا هذا كفر قيل لهم بل الكفر ما جئتم به لانه ابطال الحقائق كلها والعجب كل العجب انهم لا يجوزون قدرة الله تعالى على ما هو محال عندهم وقد أتوا فى هذا الفصل بعين المحال ونعوذ بالله من الخذلان

﴿ قال ابو محمد ﴾ وكلامهم فى هذه المسالة كلام ما سمع باسخف منه ولا قول السوفسطائية ولا قول النصارى ولا قول الغالية على ان هذه الفرق احمق الفرق اقوالا اما السوفسطائية فانهم قطعوا على ان الاشياء باطل لا حق أو انها حق عند من هى عنده حق و باطل عند من هي عنده باطل، وأما النصارى والغالية فان كانت هاتان الفرقتان قد اتتا بالعظائم فانهم قطعوا بانها حق، وأما هؤلاء المخاذيل فانهم اتوا بقول حققوه وابطلوه ولم يحققوه ولا ابطلوه كل ذلك معا فى وقت واحد من وجه واحد وهذا لا ياتى به الا مبرسم (١) او مجنون أو ماجن يريد أن يضحك من معه

﴿ قال ابو محمد ﴾ ونحن نتكلف بيان هذا التخليط التى اتو به وان كان مكتفيا بسماعه ولكن التزيد من ابطال الباطل ما أمكن حسن فنقول و بالله تعالى التوفيق ان قولهم لا هي حق ولا هى باطل فان كل ذى حس سليم يدرى أن كل ما لم يكن حقا فهو باطل وما لم يكن باطلا فهو حق هذا لا يعقل غيره فكيف وقد قال الله تعالى * فماذا بعد الحق الا الضلال * وقال تعالى ليحق الحق و يبطل الباطل * وقال تعالى * هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون * وقال تعالى * خلق كل شيء فقدره * وقال تعالى * انا وجدنا ما وعدنا ربنا حقا * وقال * فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا قالوا نعم *

﴿ قال ابو محمد ﴾ وهؤلاء قوم ينتمون الي الاسلام ويصدقون القرآن ولولا ذلك ما احتججنا عليهم فقد قطع الله تعالى انه ليس الا حق او باطل وليس الا علم اوجهل وهو عدم العلم وليس الا وجود او عدم وليس الا شيء مخلوق او الخالق او لفظة العدم التى لا تقع علي شيء ولا علي مخلوق فقد اكذبهم الله عز وجل فى دعواهم ولا يشك ذو حس سليم ان ما لم يكن باطلا فهو حق وما لم يكن حقا فهو باطل وما لم يكن معلوما فهو مجهول وما لم يكن مجهولا فهو معلوم وما لم يكن شيئا فهو لاشيء وما لم يكن لاشيء فهو شيء وما لم يكن موجودا فهو معدوم وما لم يكن معدوما فهو موجود وما لم يكن مخلوقا فهو غير مخلوق وما لم يكن غير مخلوق فهو مخلوق، هذا كله معلوم ضرورة ولا يعقل غيره، فاذ هذا كذلك ولا فرق بين ما قالوه فى هذه القضية وبين القول اللازم لهم ضرورة وهو. ان تلك الاحوال معدومة موجودة معا حق باطل معا معلومة مجهولة معا مخلوقة غير مخلوقة معا شيء لاشيء معا وهذا هو نفس قولهم ومقتضاه، لانهم اذ قالوا ليست حقا

(١) المبرسم الذى يهذى من علة البرسام وهى الحمى من الجدري

فقد اوجبوا انها باطل واذ قالوا ولا هى باطل فقد اوجبوا انها حق وهكذا فى سائر ما قالوه ، فاعجبوا العقول وسع هذا فيها وسخروا به ورقهم ، وعجب آخر وهو قولهم ان هاهنا احوالا ولفظة هاهنا هذه الاثبات بلا شك فهى موجودة ثابتة بلاشك ﴿قال ابو محمد﴾ ولم يخلصوا من هذا من قول معمر فى وجوب وجود اشياء لانهاية لها او ان يصيروا الى قولنا فى ابطال هذه التى يسمونها أحوالا واعدامها جملة وما نعلم هوسا الا وقد انتظمته هذه المقالة ونعوذ بالله من الخذلان * ومسئلة أخرى

قالت الاشعرية ليس فى العالم شىء له بعض أصلا ولا شيء له نصف ولا ثلث ولا ربع ولا خمس ولا سدس ولا سبع ولا ثمن ولا تسع ولا عشر ولا جزء اصلا واحتجوا فى هذا بان قالوا يلزم من قال ان الواحد عشر العشرة وجزء من العشرة وبعض العشرة ان يقول ولا بد ان الواحد عشر من نفسه وجزء من نفسه وبعض نفسه وانه جزء لغيره عشر لغيره لان العشرة تسعة وواحد فلو كان الواحد عشر العشرة وبعضا للعشرة وجزأ للعشرة لكان عشرا لنفسه وللتسعة التى هى غيره ولكان جزأ بعضا لنفسه وللتسعة التى هى غيره

﴿قال أبو محمد﴾ وهذا خبط شديد أول ذلك انه رد على الله تعالى بمجرد وتكذيب للقرآن وخلاف اللغة بل لجميع اللغات ومكابرة للعقول وللحواس قال تعالى * واذا خلا بعضهم الى بعض * وقال تعالى * يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا * وقال تعالى * فلامه الثلث ، فلامه السدس ، فلها النصف ، ولهن الربع ، ولهن الثمن * فقد كذبوا القرآن نصا ثم هذا موجود فى كل طبيعة وفى كل لغة ومحسوس بالحواس ثم يقال لهم لافرق بينكم وبين من صحح ولم ينكر كون الشىء بعض نفسه و بعض غيره وجزأ لنفسه وجزأ لغيره وعشر نفسه وعشر غيره واحتج فى تصحيح ذلك بالحجة التى رمتم بها ابطال ذلك ولا مزيد ، وكلا كما متسكع (١) في ظلمة الخطا ، ثم نقول لهم — وبالله تعالى التوفيق — ليس الامر كما ظننتم بل الاسماء موضوعة للتفاهم ولتمييز بعض المسميات من بعض ، فالعشرة اسم للعشرة افراد مجتمعات فى العدد كذلك لتسعة وواحد ولثمانية واثنين ولسبعة وثلاثة ولستة وأربعة وخمسة وخمسة قال تعالى * ثلاثة ايام فى الحج وسبعة اذا رجعتم تلك عشرة كاملة * وهكذا جميع الاعداد لا ينكر ذلك الا مخذول منكر للمشاهدة ، فبالضرورة ندري ان كل جزء من تلك الجملة فهو بعض لها وعشر لها وقسم منها لنسبة ما ولا يقال هو جزء لنفسه ولا جزء لغيره ولا انه بعض لنفسه ولا انه بعض لغيره ولا عشر لنفسه ولا عشر لغيره ومثل هذا البلق الذى هو اسم لاجتماع السواد والبياض معا فالبياض البلق والسواد بعض البلق وليس البياض جزأ لنفسه وللسواد ولا بعضا لنفسه وللسواد وكل واحد منهما جزء للبلق ، وكذلك الانسان اسم للجملة المجتمعة من اعضائه ولاشك في ان العين بعض الانسان وجزء من الانسان ولا يحتمل ان يقال العين بعض نفسها وبعض الاذن واليد ولا ان يقال الاذن جزء لنفسها وللعين والانف وهكذا فى سائر الاعضاء ، فعلى قول هؤلاء النوكى (٢) يلزمهم ان لا تكون العين بعض الانسان وان يقولوا ان العين بعض نفسها وبعض الاذن ، ومن ابطل الابعاض والاجزاء فقد ابطل الجمل لان الجمل ليست شيئا البتة غير ابعاضها ومن ابطل الجمل فقد ابطل الكل والجزء وابطل العالم بكل ما فيه واذا بطل العالم بطل الدين والعقل ، وهذه حقيقة السفسطة وما نعلم فى الاقوال احمق من هذه المسالة ومن التى قبلها نعوذ بالله من الخذلان

---

(١) المتسكع المتعسف فى مشيه والذى لا يهتدى فى امره والمتحير والمتمادى في الباطل

(٢) النوكى كالحمقى وزنا ومعنى جمع انوك كاحمق

(الـكلام فى خلق الله عزوجل للعالم فى كل وقت وزيادته في كل دقيقة)

(قال ابو محمد) وذكر عن النظام انه قال ان الله تعالى مايخلق كل ماخلق فى وقت واحد دون ان يعدمه وأنكر عليه القول بعض أهل الـكلام

(قال ابو محمد) وقول النظام هاهنا صحيح لانا اذا اثبتنا ان خلق الشيء نفسه فخلق الله تعالى قائم فى كل موجود ابدا مادام ذلك الموجود موجودا وايضا فانا نسألهم مامعنى قولكم خلق الله تعالى امر كذا نجوابهم ان معني خلقه انه تعالى اخرجه من العدم الى الوجود فنقول لهم أليس معني هذا القول منكم انه اوجده ولم يكن موجودا فلا بد من قولهم نعم . فنقول لهم وبالله تعالى التوفيق فالخلق هو الايجاد عندكم بلاشك فاخبرونا أليس الله تعالى موجدا لـكل موجود ابدا مدة وجوده فان أنكروا ذلك أحالوا واوجبوا ان الاشياء موجودة وليس الله تعالى موجدا لها الآن وهذا تناقض وان قالوا نعم فان الله تعالي موجد لـكل موجود ابدا مادام موجودا قلنا لهم هذا هو الذى انكرتم بعينه قد اقررتم به لان الايجاد هو الخلق نفسه والله تعالى موجد لـكل مايوجد فى كل وقت ابدا وان لم يفنه قبل ذلك والله تعالى خالق لـكل مخلوق فى كل وقت وان لم يفنه قبل ذلك وهذا مالا مخلص لهم منه وبالله تعالى التوفيق وبرهان آخر وهو قول الله تعالى * ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم * وصح البرهان بان الله تعالى خلق التراب والماء الذى يتغذى آدم وبنوه بما استحال عنهما وصارت فيه دماء واحاله الله تعالى منيا ثبت بهذا يقينا ان جميع اجساد الحيوان والترابى كلها متفرقة ثم جمعها الله تعالى فقام منها الحيوان والنوامى وقال عز وجل * ثم أنشأناه خلقا آخر * وقال تعالى خلقا من بعد خلق * فصح ان فى كل حين يحيل الله تعالى أحوال مخلوقاته فهو خلق جديد والله تعالى يخلق فى كل حين جميع العالم خلقا مستانفا دون ان يفنيه وبالله تعالى التوفيق

(الـكلام فى الحركة والسكون)

(قال ابو محمد) ذهبت طائفة الى أنه لاحركة فى العالم وان كل ذلك سكون واحتجوا بان قالوا وجدنا الشيء ساكنا فى المكان الاول ساكنا فى المكان الثانى وهكذا أبدا فعلمنا ان كل ذلك سكون ، وهذا قول منسوب الى معمر بن عمرو العطار مولى بنى سليم أحد رؤساء المعتزلة وذهبت طائفة الى أن لاسكون اصلا وانما هى حركة اعتماد ، وهذا قول ينسب الى ابراهيم بن سيار النظام ، واحتج غير النظام من اهل هذه المقالة بان قالوا السكون انما هو عدم الحركة والعدم ليس شيئا ، وقال بعضهم هو ترك الحركة وترك الفعل ليس فعلا ولا هو معنى ، وذهبت طائفة الى ابطال الحركة والسكون معا ، وقالوا انما يوجد متحرك وساكن فقط وهو قول ابى بكر بن كيسان الاصم ، وذهبت طائفة الى ان الجسم فى اول خلق الله تعالى ليس ساكنا ولا متحركا ، وذهبت طائفة الى اثبات الحركة والسكون الا انها قالت ان الحركات اجسام ، وهو قول هشام بن الحكم شيخ الامامية وجهم بن صفوان السمرقندى ، وذهبت طائفة الى اثبات الحركة والسكون وان كل ذلك اعراض ، وهذا هو الحق . فاما من قال بنفى الحركة وان كل ذلك سكون فقولهم يبطل باننا قد علمنا بان السكون انما هو اقامة فى المكان ، وان الحركة نقلة عن ذلك المكان وزوال عنه ، ولاشك فى ان الزوال عن الشيء هو غير الاقامة فيه ، فاذ الامر كذلك فواجب ان يكون لهذين المعنيين المتغايرين لـكل واحد منهما اسم غير اسم الآخر كاهما متغايران ، فاتفق فى اللغة ان يسمى احدهما حركة ويسمي الآخر سكونا وأما قولهم ان كل حركة فهى سكون فى المكان الثانى فليس كذلك ، لان السكون اقامة لانقلة فيها فاذا وجدت نقلة متصلة لا اقامة فيها فهى غير الاقامة التى لا نقلة فيها ، ونوع آخر له أيضا اشخاص غير اشخاص

النوع الآخر ، وبيقين ندرى ان الشىء المتحرك من مكان الى مكان فانه وان جاوز كل مكان يمر عليه فانه غير واقف ولامقيم ، هذا مالاشك فيه يعرف ذلك بضرورة الحس ، فصح ان الحركة معنى وان السكون معنى آخر ، وأما من قال ان السكون حركة اعتماد فاحتجاج لايعقل فلاوجه للاشتغال به ، وأما حجة من احتج بان السكون عدم الحركة والعدم ليس شيئا فليس كما قال ، لانه عقب الحركة اقامة موجودة ظاهرة فهى وان كان معها بوجودها عدمت الحركة فليست هى عدما كما ان القيام معنى صحيح موجود وان كان قد عدمت معه سائر الحركات والاعمال من القعود والاتكاء والاضطجاع ، ويقال لهم وما الفرق بينكم وبين من قال بل الحركة ليست معنى لانها عدم السكون فهذا مالاانفكاك عنه وكذلك من قال أيضا ان المرض ليس معنى لانه عدم الصحة والصحة ليست معنى لانها عدم المرض ومثل هذا كثير جدا وفى هذا ابطال الحقائق كلها وأما من قال ان الترك ليس معنى فخطا لان كل من دون الله تعالى فانه ان ترك شيئا ما فعلا ما فلابد له ضرورة من فعل آخر ومعنى آخر هذا أمر يوجد بالمشاهدة والحس لا يمكن غير ذلك فصح ان ترك من دون الله تعالى لفعل ماهو أيضا فعل صحيح بوجوده منه سمى تاركا لما ترك وليس الله تعالى كذلك بل لم يزل غير فاعل ولم يكن بذلك فاعلا للترك لان ترك الانسان للفعل كما بينا عرض موجود فيه وهو حامل له ولو كان لترك الله تعالى للفعل معنى لكان قائما به تعالى ومعاذ الله من هذا من أن يكون عزوجل حاملا لعرض فلوكان أيضا قائما بنفسه لكان جوهرا والترك ليس جوهرا ولو كان قائما بغيره عزوجل لكان تعالى فاعلا له غير تارك ، فصح الفرق وبالله تعالى التوفيق ، وأما من أبطل الحركة والسكون معا فقول فاسد أيضا ، لانه أثبت المتحرك والساكن مع ذلك وبيقين يدرى كل ذى حس سليم ان من تحرك سكن ، فان تلك العين المتحركة ثم الساكنة هى عين واحدة وذات واحدة لم تتبدل ذاتها وانما تبدل عرضها المحمول فيها ، فبالضرورة ندرى أنه حدث فيه أوله أومنه معنى من أجله استحق أن يسمى متحركا وانه حدث فيه أوله أومنه أيضا معنى من أجله استحق أن يسمى ساكنا ، ولولاذلك لم يكن بان يسمى متحركا احق به منه بان يسمى ساكنا ، هذا أمر محسوس مشاهد ، فذلك المعنى هو الحركة أوالسكون فصح وجودهما ضرورة ، ولافرق بين من أثبت الساكن والمتحرك ونفى الحركة والسكون ، ولافرق بينه وبين من أثبت الضارب والقائم والآكل وأبطل الضرب والاكل والقيام ، وهذه سفسطة صحيحة وبالله تعالى التوفيق واما من قال ان الجسم فى أول خلق الله عزوجل له ليس ساكنا ولامتحركا فكلام فاسد أيضا لانه لايتوهم ولايعقل معنى ثالث ليس حركة ولاسكونا وهذا لايتشكل في النفس ولايثبته عقل ولاسمع ، وأيضا فلانه قول لادليل عليه فهو باطل ، ولاشك فى أن الله تعالى اذا خلق الجسم فانما يخلقه فى زمان ومكان فاذ لاشك فى ذلك فالجسم فى أول حدوثه ساكن فى المكان الذى خلقه الله تعالى فيه ولو طرفة عين، ثم اما أن يتصل سكونه فيه فتطول اقامته فيه ، واما أن ينتقل عنه فيكون متحركا ، فان قال قائل بل هو متحرك لانه خارج عن العدم الى الوجود قيل له هذا منك تسمية فاسدة ، لان الحركة فى اللغة وهى التى يتكلم عليها أنما هى نقلة من مكان الى مكان ، والعدم ليس مكانا ولم يكن المخلوق شيئا قبل أن يخلقه الله تعالى فحال خلقه هى أول احواله التى لم يكن هو قبلها فكيف ان يكون له حال قبلها فلم ينتقل اصلا بل ابتداه الله تعالى الان ، واما الجسم الكلى الذى هو جرم العالم جملة وهو الفلك الكلى فكل جزء منه مقدر مفروض فان أجزاءه ، المحيطة به من أربع جهات والجزء الذى يليه فى جهة عمق الفلك هو مكانه ، ولامكان له فى الصفحة التى لاتلى الاجزاء التى ذكرنا ، والله تعالى يمسكه بقوته كما يشاء ولايلاقيه من صفحته العليا شىء اصلا ولاهنالك مكان ولازمان ولاخلاء ولاملا

﴿ قال ابو محمد ﴾ ورأيت لبعض النوكى ممن ينتمى الى الكلام قولا ظريفا ، وهو انه قال ان الله تعالى اذ

خالق الارض خلق جرما عظيما يمسكها لئلا تنحدر سفلا فحين خلق ذلك الجرم اعدمه وخالق آخر وهكذا ابدا بلانهاية لانه زعم لو بقاء رقتين لاحتاج الى مسك وهكذا ابدا الى مالا نهاية له كان هذا الانوك لم يسمع قول الله تعالى ﴿ ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا ولئن زالتا ان امسكهما من احد من بعده ﴾ فصح ان الله تعالى يمسك الكل كما هو دون عمد ولا زيادة ولا جرم آخر، ولو ان هؤلاء المخاذيل اذ عدموا العلم تمسكوا باتباع القرآن والسكوت عن الزيادة والخبر عن الله بما لا علم لهم به لكان اسلم لهم في الدين والدنيا، ولكن من يضلل الله فلا هادي له ونعوذ بالله من الضلال، واما من قال ان الحركات اجسام فخطأ، لان الجسم في اللغة موضوع للطويل العريض العميق ذي المساحة، وليست الحركة كذلك فليست جسما ولا يجوز ان يوقع عليها اسم جسم اذ لم يات ذلك في اللغة ولا في الشريعة ولا اوجبه دليل واوضح انها ليست جسما فهي بلا شك عرض، واما من قال ان الحركة ترى فقول فاسد، لانه قد صح ان البصر لا يقع في هذا العالم الا على لون في ملون فقط، وبيقين ندري ان الحركة لا لون لها فاذا لا لون لها فلا سبيل الى ان ترى، وانما علمنا كون الحركة لانا رأينا الملون المتحرك في مكان ما، ثم رأيناه في مكان آخر فعلمنا ان ذلك الملون قد انتقل عن مكان الى مكان بلاشك، وهذا المعنى هو الحركة، او بان يحس الجسم قد انتقل من مكان الى مكان فيدري حينئذ من لامسه وان كان أعمى او مطبق العينين انه تتحرك، وبرهان ما قلنا ان الهواء لما لم يكن له لون لم ير احد وانما يعلم تموجه وتحركه علاقات فانه منتقل وهو هبوب الرياح، وكذلك ايضا علمنا حركة الصوت باحساسنا الصوت ياتي من مكان ما الى مكاننا، وكذلك القول في الحركة في المشموم من الطيب والنتن وحركة المذوق، فبطل قول من قال ان الحركات ترى، وصح ان الحركة ليست لونا ولا لها لون ولو كان هذا لامكن لاخر ان يدعي ان الحركة انه يسمع الحركة وهذا خطأ لانه لا يسمع الا الصوت ولامكن لاخر ان يدعي ان الحركة تلمس وهذا خطأ وانما يلمس المجسة من الخشونة والاملاس اوغير ذلك من المجسات، والحق من هذا انما هو ان الحركة تعرف وتوجد بتوسط كل ما ذكرنا وبالله تعالى التوفيق.

﴿ قال ابو محمد ﴾ والحركات النقلية المكانية تنقسم قسمين لا ثالث لهما، اما حركة ضرورية او اختيارية، فالاختيارية هي فعل النفوس الحية من الملائكة والانس والجن وسائر الحيوان كله، وهي التي تكون الى جهات شتى على غير رتبة معلومة الاوقات، وكذلك السكون الاختياري والحركة الضرورية تنقسم قسمين لا ثالث لهما اما طبيعية واما قسرية، والاضطرارية هي الحركة الكائنة ممن ظهرت منه عن غير قصد منه اليها، واما الطبيعية فهي حركة كل شيء غير حي مما بناه الله عليه كحركة الماء الى وسط المركز، وحركة الارض كذلك، وحركة الهواء والنار الى مواضعها؛ وحركة الافلاك والكواكب دورا، وحركة عروق الجسد النوابض، والسكون الطبيعي هو سكون كل ما ذكرنا في عنصره، واما القسرية فهي حركة كل شيء دخل عليه ما يحيل حركته عن طبيعته او عن اختياره الى غيرها، كتحريك المرء قهرا وتحريكك الماء علوا والحجر كذلك، وكتحريكك النار سفلا والهواء كذلك، وكتصعيد الهواء، كعكس الشمس لحر النار، والسكون القسري هو توقيف الشيء في غير عنصره، او توقيف المختار كرها، وبالله تعالى التوفيق

﴿ الكلام في التولد ﴾

﴿ قال ابو محمد ﴾ تنازع المتكلمون في معنى عبروا عنه بالتولد وهو انهم اختلفوا فيمن رمى سهما فجرح به انسانا اوغيره، وفي حرق النار وتبريد الثلج وسائر الآثار الظاهرة من الجمادات، فقالت طايفة ما تولد من ذلك عن فعل انسان اوحي فهو فعل الانسان والحي، واختلفوا فيما تولد من غير حي فقالت طائفة هو فعل الله، وقالت طائفة ما تولد من غير حي فهو فعل الطبيعة، وقال آخرون كل ذلك فعل الله عز وجل.

﴿ قال أبو محمد ﴾ فهؤلاء مبطلون للحقائق غائبون عن موجبات العقول.

﴿قال ابو محمد﴾ والامر ابين من ان يطول فيه الخطاب والحمد لله رب العالمين والصواب في ذلك: ان كل ما في العالم من جسم أو عرض في جسم او اثر من جسم فهو خلق الله عز وجل، فكل ذلك فعل الله عز وجل بمعنى انه خلقه وكل ذلك مضاف بنص القرآن وبحكم اللغة الى ما ظهرت منه من حي أو جماد قال تعالى * فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وانبتت من كل زوج بهيج * فنسب عز وجل الاهتزاز والانبات والربو الى الارض وقال * تلفح وجوههم النار * فاخبر تعالى ان النار تلفح وقال تعالى * وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه * فاخبر عز وجل ان الماء يشوي الوجوه وقال تعالى * ومن قتل مؤمناً خطأ فتحرير رقبة مؤمنة * فسمي تعالى المخطيء قاتلا واوجب عليه حكما وهو لم يقصد قتله قط لكنه تولد عن فعله، وقال تعالى * اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه * فاخبر تعالى ان الكلام والعمل عرض من الاعراض وقال تعالى أفان مات او قتل انقلبتم * وقال تعالى * على شفا جرف هار فانهار به * ولم تختلف امة ولا لغة في صحة قول القائل مات فلان وسقط الحائط فنسب الله تعالى وجميع خلقه الموت الى الميت، والسقوط الى الحائط، والانهيار الى الجرف، لظهور كل ذلك منها ليس في القرآن ولا في السنن ولا في العقول شيء غير هذا الحكم، ومن خالف هذا فقد اعترض على الله تعالى وعلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى جميع الامم وعلى جميع عقولهم، وهذه صفة من عظمت مصيبته بنفسه ومن لا دين له ولا عقل ولا حياء ولا علم، وصح بكل ما ذكرنا ان اضافة كل أثر في العالم الى الله تعالى هي على غير اضافته الى من ظهر منه، فاما اضافته الى الله تعالى فلانه خلقه، وأما اضافته الى من ظهر منه أو تولد عنه فلظهوره منه اتباعاً للقرآن ولجميع اللغات ولسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكل هذه الاخبارات وكلتا هاتين الاضافتين حق لا مجاز في شيء من ذلك، لانه لا فرق بين ما ظهر من حي مختار أو من غير حي مختار في أن كل ذلك ظاهر مما ظهر منه، وانه مخلوق لله تعالى، الا ان الله تعالى خاق في الحي اختيارا لما ظهر منه، ولم يخلق الاختيار فيما ليس حيا ولا مريداً، فما تولد عن فعل فاعل فهو فعل الله عز وجل بمعنى انه خلقه، وهو فعل ما ظهر منه بمعنى أنه ظهر منه، قال الله تعالى * فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى * وقال تعالى * افرأيتم ما تحرثون أأنتم تزرعونه ام نحن الزارعون * وهذا نص قولنا وبالله تعالى التوفيق.

﴿الكلام في المداخلة والمجاورة والكمون﴾

﴿قال أبو محمد﴾ ذهب القائلون بان الالوان اجسام الى المداخلة ومعنى هذه اللفظة ان الجسمين يتداخلان فيكونان جميعاً في مكان واحد

﴿قال ابو محمد﴾ وهذا كلام فاسد لما سنبينه ان شاء الله تعالى في باب الكلام في الاجسام والاعراض من ديوانا هذا وبالله تعالى التوفيق من ذلك ان كل جسم فله مساحة واذا كان كذلك فله مكان زائد، واذله مكان بقدر مساحته ولا بد، فان كل جسم زيد عليه جسم آخر فان ذلك الجسم الزائد يحتاج الى مكان زائد من اجل مساحته الزائدة، هذا امر يعلم بالمشاهدة فان اختلاط الامر على من لم يتدبرون في معرفة حدود الكلام من اجل ما يرى في الاجسام المتخلخلة من تخلل الاجسام المايعة لها، فانما ذا لان في خلال اجزاء تلك الاجسام المتخلخلة خروقا صغارا مملوءة هواء، فاذا صب عليها الماء او مائع ما ملأ تلك الخروق وخرج عنها الهواء الذى كان فيها، وهذا ظاهر للعين محسوس خروج الهواء عنها بنفاخات وصوت من كل ما يخرج عنه الهواء مسرعا والذى ذكرنا فانه اذا تم خروج الهواء عنه وزيد في عدد المائع ربا واحتاج الى مكان زائد واما الذى ذكرنا قبل فانه في الاجسام المكتنزة كماء صب على ماء او دهن على دهن او دهن على ماء وهكذا في كل شيء من هذه الانواع وغيرها،

فصح يقينا ان الجسم انما يكون فى الجسم على سبيل المجاورة كل واحد فى حيز غير حيز الآخر، وانما تكون المداخلة بين الاعراض والاجسام وبين الاعراض والاعراض، لان العرض لا يشغل مكانا فيجد اللون والطعم والمجسة والرائحة والحر والبرد والسكون كل ذلك مداخل للجسم ومداخل بعضه بعضا، ولا يمكن ان يكون جسم واحد فى مكانين ولا جسمان فى مكان واحد، ثم ان المجاورة بين الجسمين تنقسم اقسام احدها ان يخلع احد الجسمين كيفياته ويلبس كيفية الآخر، كنقطة رميتها فى دن خل او دن مرق او فى لبن او فى مداد او شيء يسير من بعض هذه فى بعض او من غيرها كذلك، فان الغالب منها يسلب المغلوب كيفياته الذاتية والغيرية ويذهبها عنه ويلبسه كيفياته نفسه الذاتية والغيرية، والثانى ان يخلع كل واحد منهما كيفياته الذاتية والغيرية ويلبسا معا كيفيات اخر، كالزاج اذا جاور ماء العفص، وكجسم الجير اذا جاور جسم الزرنيخ، وكسائر المعاجن كلها والدقيق والماء وغير ذلك، والثالث ان لا يخلع واحد منهما عن نفسه كيفية من كيفياته لا الذاتية ولا الغيرية بل يبقى كل واحد منهما كما كان كزيت اضيف الى ماء كحجر الى حجر وثوب الى ثوب، فهذا حقيقة الكلام فى المداخلة والمجاورة * واما الكمون فان طائفة ذهبت الى ان النار كامنة فى الحجر وذهبت طائفة الى ابطال هذا وقالت انه لا نار فى الحجر اصلا وهو قول ضرار بن عمرو

(قال ابو محمد) وكل طائفة منهما فانها تفرط على الاخرى فيما تدعى عليها، فضرار ينسب الى مخالفيه انهم يقولون بان النخلة بطولها وعرضها وعظمها كامنة فى النواة، وان الانسان بطوله اوعرضه وعمقه وعظمه كامن فى المنى، وخصومه ينسبون اليه انه يقول ليس في النار حر ولا فى العنب عصير ولا فى الزيتون زيت ولا فى الانسان دم.

(قال ابو محمد) وكلا القولين جنون محض ومكابرة للحواس والعقول، والحق فى ذلك ان فى الاشياء ما هو كامن كالدم فى الانسان والعصير فى العنب والزيت فى الزيتون والماء فى كل ما يعتصر منه، وبرهان ذلك ان كل ما ذكرنا اذا خرج مما كان كامنا فيه ضمر الباقى لخروج ما خرج وخف وزنه لذلك عما كان عليه قبل خروج الذى خرج، ومن الاشياء ما ليس كامنا كالنار فى الحجر والحديد، لكن فى حجر الزناد والحديد الذكر قوة اذا تضاغطا احتدم ما بينهما من الهواء فاستحال نارا، وهكذا يعرض لكل شيء منحرق فان رطوباته تستحيل نارا ثم دخانا ثم هواء اذ فى طبع النار استخراج ناريات الاجسام وتصعيد رطوباتها حتى يفنى كل ما فى الجسم من الناريات والمائيات عنه بالخروج ثم لو نفخت دهرك على ما بقى من الارضية المحضة وهى الرماد لم يحترق ولا اشتعل اذ ليس فيه نار فتخرج ولا ماء فيتصعد، وكذلك دهن السراج فانه كثير الناريات بطبعه فيستحيل بما فيه من المائية اليسيرة دخانا هوائيا وتخرج ناريته حتى يذهب كله، واما القول فى النوى والبزور والنطف، فان فى النواة وفى البزر وفى النطفة طبيعة خلقها فى كل ذلك الله عز وجل، وهى قوة تجتذب الرطوبات الواردة عليها من الماء والزبل ولطيف التراب الوارد كل ذلك على النواة والبزر، فتحيل كل ذلك الى ما فى طبعها احالته اليه فيصير عودا ولحاء وورقا وزهرا وثمرا وخوصا وكرما، ومثل الدم الوارد على النطفة فتحيله طبيعته التى خلقها الله تعالى فيه لحما ودما وعظاما وعصبا وعروقا وشرايين وعضلا وغضاريف وجلدا وظفرا وشعرا، وكل ذلك خالق الله تعالى فتبارك الله احسن الخالقين والحمد لله رب العالمين

(قال ابو محمد) وذهب الباقلانى وسائر الاشعرية الا انه ليس فى النار حر ولا فى الثلج برد ولا فى الزيتون زيت ولا فى العنب عصير ولا فى الانسان دم، وهذا امر ناظرنا عليه من لاقيناه منهم. والعجب كل العجب قولهم هذا التخليط وانكارهم ما يعرف بالحواس وضرورة العقل، ثم هم يقولون مع هذا: ان

للزجاج والحصا طعما ورائحة ، واذا قشور العنب رائحة ، وان للملك طعما ورائحة . وهذا احدى عجائب الدنيا ﴿ قال ابو محمد ﴾ وما وجدنا لهم فى ذلك حجة غير دعواهم ان الله تعالى خلق كل حر نجده فى النار عند مسنا اياها وكذلك خلق البرد فى الثلج عند مسنا اياه وكذلك خلق الزيت عند عصر الزيتون والعصير عند عصر العنب والدم عند القطع والشرط ﴿ قال ابو محمد ﴾ فاذا تملقوا من هذا بحواسهم فمن اين قالوا ان للزجاج طعما ورائحة وللفلك طعما ورائحة وهذا موضع تشهد الحواس بتكذيبهم فى احدهما ولا تدرك الحواس الآخر ويقال لهم لعل الناس ليس فى الارض منهم أحد وانما خلقهم الله عند رؤيتكم لهم ولعل بطونكم لا مصارين فيها ورؤسكم لا ادمغة فيها لكن الله عز وجل خاق كل ذلك عند الشدخ والشق ﴿ قال ابو محمد ﴾ وقول الله تعالى يكذبهم اذ قال تعالى * يا نار كونى بردا وسلاما على ابراهيم * فلولا ان النار تحرق بحرها ماكان يقول الله عز وجل * قل نار جهنم اشد حرا لو كانوا يفقهون * فصح ان الحر فى النار موجود وكذلك اخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نار جهنم اشد حرا من نارنا هذه سبعين درجة وقال تعالى * وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصبغ للآكلين * فاخبر ان الشجرة تنبتها وقال تعالى * ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا * فصح ان السكر والعصير الحلال ماخوذ من الثمر والاعناب ولولم يكونا فيهما ما أخذا منهما وقد اطبقت الامة كلها على انكار هذا الجنون وعلى القول هذا أحلى من العسل وامر من الصبر وأحر من النار ونحمد الله على السلامة

﴿ الكلام فى الاستحاله ﴾

﴿ قال ابو محمد ﴾ احتج الحنيفيون ومن وافقهم في قولهم ان النقطة من البول والخمر تقع فى الماء فلا يظهر لها فيا اثر انها باقية فيه بجسمها ، الا ان أجزاءها دقت وخفيت عن ان تحس ، وكذلك الحبر يرمى فى اللبن فلا يظهر له فيه اثر ، وكذلك الفضة اليسيرة تذاب فى الذهب فلا يظهر لها فيه اثر ، وهكذا كل شيء قالوا لوان ذلك المقدار من الماء يحيل ماء النقطة من الخمر تقع فيه لكان اكثر من ذلك المقدار اقوى على الاحالة بلا شك ، ونحن نجد كلما زدنا نقط الخمر وقلتم انتم قد استحالت ماء ونحن نزيد فلا يلبث ان تظهر الخمر ، وهكذا فى كل شيء قالوا فظهرت صحة قولنا والزمكم ان كلما كثر الماء ضعفت احالته وهكذا فى كل شيء ﴿ قال ابو محمد ﴾ فقلنا لهم ان الامور انما هى على مارتبها الله عز وجل وعلى ماتوجد عليه لا على قضاياكم المخالفة للحس . ولا ينكر ان يكون مقدار مايفعل فعلا ما فاذا كثر لم يفعل ذلك الفعل كالمقدار من الدواء ينفع فاذا زيد فيه أو نقص منه لم ينفع . ونحن نقر معكم بما ذكرتم ولا ننكره فنقول ان مقدار اما من الماء يحيل مقدارا ما يلقي فيه من الخل او الخمر أو العسل ولا يحيل أكثر منه مما يلقى فيه . ونحن نجد الهواء يحيل الماء هواء حتى اذا كثر الهواء المستحيل من الماء بل أحال الهواء ماء ، وهكذا كل ماذكرتم ، وانما العمدة هاهنا هى ماشهدت به أوائل العقول والحواس من ان الاشياء انما تختلف باختلاف طبائعها وصفاتها التى منها تقوم حدودها وبها تختلف في اللغات أسماؤها فللماء صفات وطبائع اذا وجدت فى جرم ما سمى ماء ، فاذا عدمت منه لم يسم ماء ولم يكن ماء ، وهكذا كل مافي العالم ولا نحاشى شيئا أصلا ومن المحال أن تكون حدود الماء وصفاته وطبعه فى العسل أوفى الخمر ، وهكذا كل شيء فى العالم فاكثره يستحيل بعضه الى بعض ، فاى شيء وجدت فيه حدود شيء ماسمى باسم مافيه تلك الحدود فاذا استوفاها كلها ، فان لم يستوف الا بعضها وفارق أيضا شيئا من صفاته الذاتية فهو حينئذ شيء غير الذى كان وغير الذى مازج ، كالعسل الملقى فى الابارج ونقطة مداد فى ابن وما أشبه ذلك ، وهذه رتبة العالم فى مقتضى العقول وفيما تشاهد الحواس والذوق والشم واللمس ، ومن دفع هذا خرج عن المعقول ، ويلزم الحنيفيين

من هذا اجتناب ماء البحر لان فيه على عقوالهم عذرة وبول لاورطوبات ميتة وكذلك مياه جميع الانهار أولها عن آخرها نعم وماء المطر أيضا نجد الدجاج يتغذى بالميتة والدم والعذرة والكبش يسقى خمرا ان ذلك كله قد استحال عن صفات كل ذاك وطبعه الى لحم للدجاج والكبش فحل عندنا وعندهم ولوكثر تغذيها به حتى تضعف طبيعتها عن احالته فوجد فى خواصها وفيها صفة العذرة والميتة حرم أكله وهذا هو الذي أنكروه نفسه وهو مقرون معنا فى ان الثمار والبقول تتغذى بالعذرة وتستحيل فيها مدة لها قد حلت وهذا هو الذى أنكروه نفسة وبالله تعالى التوفيق

﴿ الكلام فى الطفرة ﴾

(قال ابو محمد) نسب قوم من المتكلمين الى ابراهيم النظام انه قال ان المار على سطح الجسم يسير من مكان الى مكان بينهما أماكن لم يقطعها هذا المار ولا مر عليها ولا حاذاها ولا حل فيها

(قال أبو محمد) وهذا عين المحال والتخليط الا ان كان هذا على قوله في انه ليس فى العالم الا جسم حاشا الحركة فقط فانه وان كان قد أخطأ في هذه القصة فكلامه الذى ذكرنا خارج عليه خروجا صحيحا لان هذا الذى ذكرنا ليس موجود البتة الا فى حاسة البصر فقط وكذلك اذا أطبقت بصرك ثم فتحته لاقى نظرك خضرة السماء والكواكب التى فى الافلاك البعيدة بلا زمان كما يقع على أقرب ما يلاصقه من الالوان لا تفاضل بين الادراكين فى المدة أصلا فصح ضرورة ان خلا البصر لو قطع المسافة التى بين الناظر وبين الكواكب ومر عليها لكان ضرورة بلوغه اليها في مدة أطول من مدة مروره على المسافة التى ليس بينه وبين من يراه فيها الا يسيرا وأقل فصح يقينا ان البصر يخرج من الناظر ويقع على كل مرئى قرب أو بعد دون ان يمر في شيء من المسافة التى بينهما ولا يحلها ولا يجازيها ولا يقطعها وأما فى سائر الاجسام فهذا محال الا ترى انك تنظر الى الهدم والى الضرب القصار بالثوب فى الحجر من بعد فتراه ثم يقيم سويعة وحينئذ تسمع صوت ذلك الهدم وذلك الضرب فصح يقينا ان الصوت يقطع الاماكن وينتقل فيها وان وان البصر لا يقطعها ولا ينتقل فيها فاذا صح البرهان بشيء مالم يعترض عليها الا عديم عقل أو عديم حياء أو عديم علم أو عديم دين وبالله تعالى التوفيق

﴿ الكلام فى الانسان ﴾

﴿ قال ابو محمد ﴾ اختلف الناس فى هذا الاسم على ما يقع فذهبت طائفة الى انه انما يقع على الجسد دون النفس وهو قول أبي الهذيل العلاف وذهبت طائفة الى الى انه انما يقع على النفس دون الجسد وهو قول ابراهيم النظام وذهبت طائفة الى انه انما يقع عليهما معا كالبلق الذي لا يقع الا على السواد والبياض معا

﴿ قال ابو محمد ﴾ واحتجت الطائفة التى ذكرنا بقول الله عز وجل * خلق الانسان من صلصال كالفخار * وبقول الله تعالى * فلينظر الانسان مم خلق خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب * وبقوله تعالى * ايحسب الانسان ان يترك سدا الم يك نطفة من مني يمنى ثم كان علقة فخلق فسوى * وبآيات أخر غير هذه وهذه بلا شك صفة للجسد لا صفة للنفس لان الروح انما تنفخ بعد تمام خلق الانسان الذى هو الجسد واحتجت الطائفة الاخرى بقوله تعالى * ان الانسان خلق هلوعا اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا * وهذا بلا خلاف صفة النفس لا صفة الجسد لان الجسد موات والفعالة هى النفس وهى المميزة الحية حاملة لهذه الاخلاق وغيرها

﴿ قال ابو محمد ﴾ وكلا هذين الاحتجاجين حق وليس احدهما اولى بالقول من الآخر ولا يجوز

ان يعارض أحدهما بالاخر لان كليهما من عند الله عز وجل وما كان من عند الله فليس بمختلف قال تعالى * ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا * فاذ كل هذه الآيات حق فقد ثبت ان للانسان اسم يقع على النفس دون الجسد ويقع أيضا على الجسد دون النفس ويقع ايضا على كليهما مجتمعين فنقول فى الحى هذا انسان وهو مشتمل على جسد وروح ونقول للميت هذا انسان وهو جسد لا نفس فيه ونقول ان الانسان يعذب قبل يوم القيامة وينعم يعنى النفس دون الجسد واما من قال انه لا يقع الا على النفس والجسد معا فخطا يبطله الذي ذكرنا من النصوص التى فيها وقوع اسم الانسان على الجسد دون النفس وعلى النفس دون الجسد وبالله تعالى التوفيق

﴿ الكلام فى الجواهر والاعراض وما الجسم وما النفس ﴾

﴿ قال ابو محمد ﴾ اختلف الناس فى هذا الباب فذهب هشام بن الحكم الى انه ليس في العالم الا جسم وان الالوان والحركات أجسام واحتج أيضا بان الجسم اذا كان طويلا عريضا عميقا فمن حيث وجدته وجدت اللون فيه فوجب الطول والعرض والعمق للون أيضا فاذا وجب ذلك للون فاللون أيضا طويل عريض عميق وكل طويل عريض عميق جسم فاللون جسم وذهب ابراهيم بن سيار النظام الى مثل هذا سواء سواء الا الحركات فانه قال هى خاصة اعراض وذهب ضرار بن عمرو الى أن الاجسام مركبة من الاعراض وذهب سائر الناس الى ان الاجسام هى كل ما كان طويلا عريضا عميقا شاغلا لمكان وان كل ماعداه من لون أو حركة أو مذاق أو طيب أو محبة فعرض * وذهب بعض الملحدين الى نفى الاعراض ووافقهم على ذلك بعض أهل القبلة

﴿ قال أبو محمد ﴾ أما الجسم فمتفق على وجوده وأما الاعراض فاثباتها بين واضح بعون الله تعالى وهو اننا لم نجد في العالم الا قائما بنفسه حاملا لغيره أو قائما بغيره لا بنفسه محمولا في غيره ووجدنا القائم بنفسه شاغلا لمكان يملاه ووجدنا الذى لا يقوم بنفسه لكنه محمول فى غيره لا يشغل مكانا بل يكون الكثير منها فى مكان حاملها القائم بنفسه هذه قسمة لا يمكن وجود شيء في العالم بخلافها ولا وجود قسم زائد على ما ذكرنا فاذ ذلك كذلك فبالضرورة علمنا ان القائم بنفسه الشاغل لمكانه هو نوع آخر غير القائم بغيره الذى لا يشغل مكانا فوجب أن يكون لكل واحد من هذين الجنسين اسم يعبر عنه ليقع التفاهم بيننا فاتفقنا على ان سمينا القائم بنفسه الشاغل لمكانه جسما واتفقنا على ان سمينا ما لا يقوم بنفسه عرضا وهذا بيان برهانى مشاهد * ووجدنا الجسم تتعاقب عليه الالوان والجسم قائم بنفسه فبينا نراه ابيض صار أخضر ثم احمر ثم اصفر كالذي نشاهده فى الثمار والاصباغ فبالضرورة نعلم ان الذي عدم وفنى من البياض والخضرة وسائر الوان هو غير الذي بقى موجودا لم يفن وانهما جميعا غير الشيء الحامل لها لانه لو كان شيء من ذلك هو الآخر لعدم بعدمه فدل بقاؤه بعده على انه غيره ولا بد اذ من المحال الممتنع ان يكون الشيء معدوما موجودا فى حالة واحدة فى مكان واحد فى زمان واحد وايضا فان الاعراض هى الافعال من الاكل والشرب والنوم والجماع والمشى والضرب وغير ذلك فمن انكر الاعراض فقد اثبت الفاعلين وأبطل الافعال وهذا محال لا خفاء به ولا فرق بين من اثبت الفاعلين ونفى الافعال وبين من أثبت الافعال ونفى الفاعلين وكل الطائفتين مبطلة لما يشاهد بالحواس ويدرك بالعقل سوفسطائيون حقا لان من الاعراض ما يدرك بالبصر وهو اللون اذ ما لا لون له لا يدرك بالشم كالنتن والطيب ومنها ما يدرك بالذوق كالحلاوة والمرارة والحموضة والملوحة ومنها ما يدرك باللمس كالحر والبرد ومنها ما يدرك بالسمع كحسن الصوت وقبحه وجهارته وجفوته ومنها ما يدرك بالعقل كالحركة والحمق والعقل

والعدل

والعدل والجور والعلم والجهل فظهر فساد قول مبطلي الاعراض يقينا والحمد لله رب العالمين فاذ قد صح
كل ما ذكرنا فانما الاسماء عبارات وتمييز المسميات ليتوصل بها المخاطبون الى تفاهم مراداتهم من الوقوف
على المعاني وفصل بعضها من بعض ليس للاسماء فائدة غير هذه فوجب ضرورة أن يوقع على القائم بنفسه
الشاغل لمكانه الحامل لغيره أسماء تكون عبارة عنه وأن يوقع أيضا على القائم بغيره لا بنفسه المحمول
الذي لا يشغل مكانا اسما آخر يكون أيضا عبارة عنه لينفصل بهذين الاسمين كل واحد من ذينك المسميين
عن الآخر وان لم يكن هذا وقع التخليط وعدم البيان واصطلحنا على ان سمينا القائم بنفسه الشاغل للمكان
جسما واتفقنا على ان سمينا القائم بغيره لا بنفسه عرضا لانه عرض في الجسم وحدث فيه هذا هو الحق
المشاهد بالحس المعروف بالعقل وما عدا هذا فهذيان وتخليط لا يعقله قائله فكيف غيره فصح بهذا كله
وجود الاعراض وبطلان قول من أنكرها وصح أيضا بما ذكرنا ان حد اللون والحركة وكل ما لا يقوم
بنفسه هو غير حد القائم بنفسه فاذ ذلك كذلك فلا جسم الا القائم بنفسه وكل ما عداه فعرض فلاح
بهذا صحة قول من قال بذلك وبطل قول هشام والنظام وبالله تعالى التوفيق * وأما احتجاج هشام بوجود
الطول والعرض والعمق الذي توهمها في اللون فانما هو طول الجسم الملون وعرضه وعمقه فقط وليس
للون طول ولا عرض ولا عمق وكذلك الطعم والمجسة والرائحة وبرهان ذلك انه لو كان للجسم طول
وعرض وعمق وكان للون طول غير طول الملون الحامل له وعرض آخر غير عرض الحامل له وعمق
آخر غير عمق الملون الحامل له لاحتاج كل واحد منهما الى مكان آخر غير مكان الآخر اذ من أعظم
المحال الممتنع أن يكون شيئان طول كل واحد منهما ذراع وعرضه ذراع وعمقه ذراع ثم يسعان جميعا
في واحد ليس هو الا ذراع في ذراع فقط ويلزمه مثل هذا في الطعم والرائحة والمجسة لان كل هذه
الصفات توجد من كل جهة من جهات الجسم الذي هي فيه كما يوجد اللون ولا فرق وقد يذهب الطعم
حتى يكون الشيء لا طعم له وتذهب الرائحة حتى يصير الشيء لا رائحة له ومساحته باقية بحسبها فصح
يقينا ان المساحة للملون والذي له الرائحة والطعم والمجسة لا للون ولا للطعم مكان ولا للرائحة ولا للمجسة
وقد نجد جسما طويلا عريضا عميقا لا لون له وهو الهواء ساكنة ومتحركة وبالضرورة ندري انه لو كان
له لون لم يزد ذلك في مساحته شيئا

(قال أبو محمد) فان بلغ الجهل بصاحبه الى أن يقول ليس الهواء جسما سألناه عما في داخل الزق
المنفوخ ما هو وعما يلقى الذي يجري فرسا جوادا بوجهه وجسمه فانه لا شك في انه جسم قوي متكثر
محسوس وبرهان آخر * وهو ان كل أحد يدري ان الطول والعرض والعمق لو كان لكل واحد منها
طول وعرض وعمق لاحتاج كل واحد منهما أيضا الى طول آخر وعرض آخر وعمق آخر وهكذا
مسلسلا الى ما لا نهاية له وهذا باطل فبطل قول ابراهيم وهشام وبالله تعالى التوفيق وأما قول ضرار
ان الاجسام مركبة من الاعراض فقول فاسد جدا لان الاعراض قد صح كما ذكرنا انها لا طول لها
ولا عرض ولا عمق ولا تقوم بنفسها وصح ان الاجسام ذات أطوال وعروض وأعماق وقائمة بأنفسها
ومن المحال ان يجتمع ما لا طول له ولا عرض ولا عمق مع مثله فيقوم منها ما له طول وعرض وعمق
وانما غلط فيها من توهم ان الاجسام مركبة من السطوح وان السطوح مركبة من الخطوط والخطوط
مركبة من النقط

(قال أبو محمد) وهذا خطأ على كل حال لان السطوح المطلقة فانما هي تناهي الجسم وانقطاعه في تماديه من أوسع
جهاته وعدم امتداده فقط واما الخطوط المطلقة فانما هي تناهي جهة السطح وانقطاع تماديها وأما النقط فهي تناهي

جهات الجسم من أحدنها ياته كطرف السكين ونحوه فكل هذه الابعاد انما هي عدم التمادي، من المحال ان يجتمع عدم فيقوم منه موجود وانما السطوح المجسمة والخطوط المجسمة والنقط المجسمة فانما هي أبعاض الجسم وأجزاؤه ولا تكون الاجزاء أجزاء الابعاد النسبة فقط على ماانذكر بعد هذا ان شاء الله تعالى

(قال أبو محمد) وذهب قوم من المتكلمين الى اثبات شيء سموه جوهرا ليس جسما ولا عرضا وقد ينسب هذا القول الى بعض الاوائل وحد هذا الجوهر عند من أثبته انه واحد بالذات قابل للمتضادات قائم بنفسه لا يتحرك ولا له مكان ولا له طول ولا عرض ولا عمق ولا يتجزى وحده بعض من ينتمي اليه الكلام بانه واحد بذاته لا طول له ولا عرض ولا يتجزي وقالوا انه لا يتحرك وله مكان وانه قائم بنفسه يحمل من كل عرض عرضا واحدا فقط كاللون والطعم والرائحة والمجسة

(قال أبو محمد) وكلا هذين القولين والقول الذي اجتمعا عليه في غاية الفساد والبطلان أولا من قال ذلك أنها كلها دعاوى مجردة لا يقوم على صحة شيء منها دليل أصلا لا برهاني ولا اقناعي بل البرهان العقلي والحسي يشهدان ببطلان كل ذلك وليس يعجز احد ان يدعي ماشاء وماكان هكذا فهو باطل محض وبالله تعالى نتايد واما نحن فنقول انه ليس في الوجود الا الخالق وخلقه وأنه ليس الخالق الا جوهرا حاملا لاعراضه واعراضا محمولة في الجوهر لا سبيل الى تعدى أحدهما عن الآخر فكل جوهر جسم وكل جسم جوهر وهما اسمان معناهما واحد ولا مزيد وبالله تعالى التوفيق

(قال أبو محمد) ونجمع ان شاء الله تعالى كل شيء أوقعت عليه هتان الطائفتان اسم جوهر لا جسم ولا عرض ونبين ان شاء الله تعالى فساد كل ذلك بالبراهين الضرورية كما فعلنا في سائر كلامنا وبالله تعالى التوفيق

(قال أبو محمد) حققنا ماأوقع عليه بعض الاوائل ومن قلدهم اسم جوهر وقالوا انه ليس جسما ولا عرضا فوجدناهم يذكرون الباري تعالى والنفس والهيولى والعقل والصورة وعبر بعضهم عن الهيولى بالطينة وبعضهم بالخميرة والمعنى في كل ذلك واحد الا ان بعضهم قال المراد بذلك الجسم متعريا من جميع اعراضه وابعاده وبعضهم قال المراد بذلك الشيء الذي منه كون هذا العالم ومنه تكون على حسب اختلافهم في الخالق أوفي انكاره وزاد بعضهم في الجوهر الخلا والمدة اللذين لم يزالا عندهم يعني بالخلا المكان المطلق لا المكان المعهود ويعني بالمدة الزمان المطلق لا الزمان المعهود

(قال أبو محمد) وهذه أقوال ليس شيء منها لمن ينتمي الى الاسلام وانما هي للمجوس والصابئين والدهرية والنصارى في تسميتهم الباري تعالى جوهرا فانهم سموه في أمانتهم التي لا يصح عندهم دين للملكي ولا لنسطوري ولا ليعقوبي ولا لهاروني الا باعتقادها والا فهو كافر بالنصرانية قطعا حاشا تسميته الباري تعالى جوهرا فانه للمجسمة أيضا وحاشا القول بان النفس جوهر لا جسم فانه قدقال به العطار أحد رؤساء المعتزلة وأما المنتمون الى الاسلام فان الجوهر ليس جسما ولا عرضا ليس هو عندهم شيئا الا الاجزاء الصغار التي لا تتجزؤ اليها تنحل الاجسام بزعمهم وقد ذكر هذا عن بعض الاوائل أيضا فهذه ثمانية أشياء كما ذكرنا لا نعلم أحدا سمى جوهرا ليس جسما ولا عرضا وغيرها الا ان قوما جهالا يظنون في القوى الذاتية انها جواهر وهذا جهل منهم لانها بلا خلاف محمولة نما هي غير قائمة بنفسها وهذه صفة العرض لا صفة الجوهر بلا خلاف

(قال أبو محمد) فاما الخلا والمدة فقد تقدم افسادنا لهذا القول في صدر ديواننا بالبراهين الضرورية وفي كتابنا الموسوم بالتحقيق في نقض كتاب العلم الالهي لمحمد بن زكريا الطبيب وحللنا كل دعوى أوردها هو وغيره في هذا المعنى بابين شرح والحمد لله رب العالمين

العالمين كثيرا وأثبتنا فى صدر كتابنا هذا وهنالك انه ليس فى العالم خلا البتة وانه كله كرة مصمتة لاتخلل فيها وانه ليس وراءها خلاء لا ملاء ولاشيء البتة وان المدة ليست الا مد أحدث الله الفلك بما فيه من الاجسام الساكنة والمتحركة وأعراضها وبينا فى كتاب التقريب لحدود الكلام ان الالة المسماة الزرافة وسارقة الماء والآلة التى تدخل في احليل من به أسر البول براهين ضرورية بتحقيق ان لا خلاء فى العالم أصلا وان الخلاء عند القائلين به انما هو مكان لا تمكن فيه وهذا محال بما ذكرنا لانه لو خرج الماء من الثقب الذى فى أسفل سارقة الماء وقد شد أعلاها لبقي مكانه خالياً بلا متمكن فيه فاذا لم يمكن ذلك أصلا ولا كان فيه بنية العالم وجوده وقف الماء باقياً لا ينهرق حتى اذا فتح أعلاها ووجد الهواء مدخلا خرج الماء وانهرق لوقته وخلفه الهواء وكذلك الزرافة والالة متخذة لمن به أسر البول فانه اذا حصلت تلك في داخل الاحليل وأول المثانة ثم جبذ الزر المغلق ليقها الى خارج اتبعه البول ضرورة وخرج اذ لم يخرج لبقي ثقب الآلة خاليا لاشيء فيه وهذا باطل ممتنع وقد بينا فى صدر كتابنا كما اعترض به الملحدون المخالفون لنا في هذا المكان فاغنى عن اعادته فان قال قائل فالماء الذى اخترعه الله عز وجل معجزة من بين أصابع رسول الله صلى الله عليه وسلم والتمر الذى اخترع له والثريد الذى فى اخترع له من أين اخترعه وهى أجسام محدثة والعالم عندكم ملاً لا خلاء فيه ولا تخلخل ولا يكون الجسمان فى مكان واحد قلنا وبالله تعالى التوفيق لا يخلو هذا من أحد وجهين لا ثالث لها اما أن يكون الله عز وجل أعدم من الهواء مقدار ما اخترع فيه من التمر والماء والثريد واما أن يكون الله عز وجل أحال أجزاء من الهوى ماء وتمرا وثريدا فالله أعلم أى ذينك كان والله على كل شيء قدير فسقط قولهم فى الخلا والمدة والحمد لله رب العالمين

﴿ قال أبو محمد ﴾ وأما الصورة فكيفية بلاشك وهى تخليط الجواهر وتشكلها الا انها قسمان أحدهما ملازم كالصورة الكلية لا تفارق الجواهر البتة ولا توجد دونها ولا تتوهم الجواهر عارية عنها والآخر تتعاقب أنواعه وأشخاصه على الجواهر كانتقال الشيء عن تثليث الى تربيع ونحو ذلك فصح انها عرض بلا شك وبالله تعالى التوفيق وأما العقل فلا خلاف بين أحد له عقل سليم فى انه عرض محمول في النفس وكيفية برهان ذلك انه يقبل الاشد والاضعف فنقول عقل أقوى من عقل وأضعف من عقل وله ضد وهو الحمق ولا خلاف فى الجواهر انها لا ضد لها وانما التضاد فى بعض الكيفيات فقط وقد اعترض فى هذا بعض من يدعى له علم الفلسفة فقال ليس فى العقل ضد لكن لوجوده ضد وهو عدمه فقلت الذى ذكر لى هذا البحث ان هذه سفسطة وجهل لو جاز له هذا التخليط لجاز لغيره ان يقول ليس للعلم ضد لكن لوجوده ضد وهو عدمه ولا لشيء من الكيفيات ضد ولكن لوجودها ضد وهو عدمها فيبطل التضاد من جميع الكيفيات وهذا كلام يعلم فساده بضرورة العقل ولا فرق بين وجود الضد للعقل وبين وجوده للعلم ولسائر الكيفيات وهى باب واحد كله وانما هى صفات متعاقبة كلها موجودة فالعقل موجود ثم يعقبه الحمق وهو موجود كما أن العلم موجود ويعقبه الجهل وكما ان النجدة موجودة ويعقبها الجبن وهو موجود وهذا أمر لا يخفى على من له أقل تمييز وكذلك الجواهر لا تقبل الاشد والاضعف فى ذواتها وهذا أيضاً قول كل من له أدنى فهم من الاوايل والعقل عند جميعهم هو تمييز الفضائل من الرذائل واستعمال الفضائل واجتناب الرذائل والعزام ما يحسن به الغبة فى دار البقاء وعالم الجزاء وحسن السياسة فيما يلزم المرء في دار الدنيا وبهذا أيضا جاءت الرسل عليهم السلام قال الله عز وجل ﴿ أفلم يسيروا فى الارض فتكون لهم قلوب يعقلون بها ﴾ وقال تعالى ﴿ كذلك يبين الله لكم الايات لعلكم تعقلون ﴾ وقال تعالى ﴿ أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون ان هم الا كالانعام بل هم أضل سبيلا ﴾ وقال تعالى ﴿ ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون ﴾ وقال تعالى ﴿

وإذا ناديتم الى الصلاة اتخذوها هزوا ولعبا ذلك بانهم قوم لايعلمون . وقال تعالى : ان شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لايؤمنون * فصح ان العقل هو الايمان وجميع الطاعات وقال تعالى عن الكفار * وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ماكنا فى أصحاب السعير * ومثل هذا فى القرآن كثير فصح ان العقل فعل النفس وهو عرض محمول فيها وقوة من قواها فهو عرض كيفية بلا شك وانما غلط من غلط في هذا لانه رأى لبعض الجهال المخلطين من الاوائل ان العقل جوهر وان له فلكا فعول على ذلك من لاعلم له وهذا خطأ كما أوردنا وبالله تعالى التوفيق وأيضا فان لفظة العقل عربية أتى بها المترجمون عبارة عن لفظة أخري يعبر بها فى اليونانية أو فى غيرها من اللغات عمايعبر بلفظة العقل عنه فى اللغة العربية هذا مالاخفاء به عند أحد ولفظة العقل في لغة العرب انما هى موضوعة لتمييز الاشياء واستعمال الفضائل فصح ضرورة انها معبرة بها عن عرض وكان مدعى خلاف ذلك ردىء العقل عديم الحياء مباهتا بلا شك ولقد قال بعض النوكى الجهال لو كان العقل عرضا لكانت الاجسام أشرف منه فقلت للذى أتانى بهذا وهل للجوهر شرف الا باعراضه وهل شرف جوهر قط على جوهر الا بصفاته لا بذاته هل يخفى هذا على أحد ثم قلنا ويلزمهم هذا نفسه على قولهم السخيف في العلم والفضائل أن لايخالفوننا فى انها اعراض فعلى مقدمتهم السخيفة يجب أن تكون الاجسام كلها أشرف منها وهذا كما ترى وأما الهيولى فهو الجسم نفسه الحامل لاعراضه كلها وانما أفردته الاوائل بهذا الاسم اذ تكلموا عليه مفردا فى الكلام عليه عن سائر أعراضه كلها من الصورة وغيرها مفصولا فى الكلام عليه خاصة عن اعراضه وان كان لاسبيل الى أن يوجد خاليا عن أعراضه ولا متعريا منها أصلا ولا يتوهم وجوده كذلك ولا يتشكل فى النفس ولا يتمثل ذلك أصلا بل هو محال ممتنع جملة كما ان الانسان الكلى وجميع الاجناس والانواع ليس شىء منها غير اشخاصه فقط فهى الاجسام باعيانها ان كان النوع نوع أجسام وهى أشخاص الاعراض انكان النوع نوع أعراض ولامزيد لان قولنا الانسان الكلى يريد النوع انما معناه أشخاص الناس فقط لا أشياء اخر وقولنا الحمرة الكلية انما معناه أشخاص الحمرة حيث وجدت فقط فبطل بهذا تقدير من ظن من اهل الجهل ان الجنس والنوع والفصل جواهر لا أجسام وبالله تعالى التوفيق لكن الاوائل سمتها وسمت الصفات الاوليات الذاتيات جوهريات لاجواهر وهذا صحيح لانها منسوبة الى الجواهر لملازمتها لها وانها لاتفارقها البتة ولايتوهم مفارقتها لها وبالله تعالى التوفيق فبطل قولهم فى الخلاء والمدة والصورة والعقل والهيولى والحمد لله رب العالمين واما البارى تعالى فقد أخطأ من سماه جوهرا من المجسمة ومن النصارى لان لفظة الجوهر لفظة عربية ومن اثبت الله عز وجل ففرض عليه اذا قرانه خالقه والاهه ومالك امره الايقدم عليه فى شىء الا بعهد منه تعالى والا يخبر عنه الا بعلم متيقن ولا علم ههنا الا ماأخبر به عز وجل فقط فصح يقينا ان تسمية الله عز وجل جوهرا والاخبار عنه بانه جوهر حكم عليه تعالى بغير عهد منه واخبار عنه تعالى بالكذب الذى لم يخبر قط تعالى به عن نفسه ولا سمى به نفسه وهذا اقدام لم ياتنا قط به برهان باباحته وايضا فان الجوهر حامل لاعراض ولو كان البارى تعالى حاملا لعرض لكان مركبا من ذاته واعراضه وهذا باطل واما النصارى فليس لهم ان يتصوروا على اللغة العربية فيصرفوها عن موضعها فبطل ان يكون تعالى جوهرا لبراءته عن حد الجواهر وبطل ان يسمى جوهرا لانه تعالى لم يسم نفسه به وبالله تعالى التوفيق فبطل قول من سمى الله تعالى جوهرا واخبر عنه انه تعالى جوهر ولله تعالى الحمد فلم يبق الا النفس والجزء الذى لايتجزأ ونحن ان شاء الله تعالى نتكلم فيها كلاما مبينا ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم

قال

(قال أبو محمد) اختلف الناس فى النفس فذكر عن أبى بكر عبد الرحمن بن كيسان الاصم انكار النفس جملة وقال لاأعرف الاماشاهدته بحواسى وقال جالينوس وأبو الهذيل محمد بن الهذيل العلاف النفس عرض من الاعراض ثم اختلفا فقال جالينوس هى مزاج مجتمع متولد من تركيب اخلاط الجسد وقال أبو الهذيل هي عرض كسائر أعراض الجسم وقالت طائفة النفس هى النسيم الداخل الخارج بالتنفس فهى النفس قالوا والروح عرض وهو الحياة فهو غير النفس وهذا قول الباقلانى ومن اتبعه من الاشعرية وقالت طائفة النفس جوهر ليست جسما ولاعرضا ولالها طول ولاعرض ولاعمق ولاهى فى مكان ولاتتجزأ وانها هى الفعالة المدبرة وهى الانسان وهو قول بعض الاوائل وبه يقول معمر بن عمرو العطار أحد شيوخ المعتزلة وذهب سائر أهل الاسلام والملل المقرة بالميعاد الى ان النفس جسم طويل عريض عميق ذات مكان عاقلة مميزة مصرفة للجسد

(قال أبو محمد) وبهذا نقول والنفس والروح اسمان مترادفان لمسمى واحد ومعناهما واحد

(قال أبو محمد) اما قول أبى بكر ابن كيسان فانه يبطله النص وبرهان العقل أما النص فبقول الله تعالى * ولو ترى اذ الظالمون فى غمرات الموت والملائكة باسطوا ايديهم اخرجوا أنفسكم اليوم الآية * فصح ان النفس موجودة وانها غير الجسد وانها الخارجة عند الموت

(قال أبو محمد) واما البرهان العقلى فاننا نرى المرء اذا أراد تصفية عقله وتصحيح رأيه اوفك مسألة عويصة عكس ذهنه وافرد نفسه عن حواسها الجسدية وترك استعمال الجسد جملة وتبرأ منه حتى انه لايرى من بحضرته ولا يسمع مايقال أمامه فحينئذ يكون رأيه وفكره اصفى ما كان فصح ان الفكر والذكر ليسا للجسد المتخلى منه عند ارادتهما وايضا فالذى يراه النائم مما يخرج حقا على وجهه وليس ذلك الا اذا تخلت النفس عن الجسد فبقى الجسد كجسد الميت ونجده حينئذ يرى فى الرؤيا ويسمع ويتكلم ويذكر وقد بطل عمل بصره الجسدي وعمل أذنيه الجسدى وعمل ذوقه الجسدى وكلام لسانه الجسدى فصح يقينا ان العقل المبصر السامع المتكلم الحساس الذائق هو شىء غير الجسد فصح أن المسمي نفسا اذلاشيء غير ذلك وكذلك ماتتخيله نفس الاعمى والغائب عن الشىء مما قد رآه قبل ذلك فيتمثله ويراه في نفسه كما هو فصح يقينا ان ههنا متمثلا مدركا غير الجسد اذلا أثر للجسد ولاللحواس فى شىء مما ذكرنا البتة ومنها انك ترى المريد يريد بعض الامور بنشاط فاذا اعترضه عارض ما كسل والجسم بحسبه كما كان لم يتغير منه شىء فعلمنا ان ههنا مريدا للاشياء غير الجسد ومنها أخلاق النفس من الحلم والصبر والحسد والعقل والطيش والخرق والنزق والعلم والبلادة وكل هذا ليس لشىء من أعضاء الجسد فاذ لاشك فى ذلك فانما هو كله للنفس المدبرة للجسد ومنها مايرى من بعض المحتضرين ممن قد ضعف جسده وفسدت بنيته وتراه حينئذ أحد ما كان ذهنا وأصح ما كان تمييزا وأفضل طبيعة وأبعد عن كل لغو وأنطق بكل حكمة وأصحهم نظرا وجسده حينئذ في غاية الفساد وبطلان القوى فصح أن المدرك للامور المدبر للجسد الفعال المميز الحى هو شىء غير الجسد وهو الذى يسمى نفسا وصح ان الجسد مؤلد للنفس وانها مدحلت فى الجسد كانها وقعت في طين مخمر فانساها شغلها بها كلما سلف لها وأيضا فلو كان الفعل للجسد لكان فعله متماديا وحياته متصلة فى حال نومه وموته ونحن نرى الجسد حينئذ صحيحا سالما لم ينتقض منه شىء من أعضائه وقد بطلت أفعاله كلها جملة فصح ان الفعل والتمييز انما كان لغير الجسد وهو النفس المفارقة وان الفعال الذاكر قد باينه وتبرأ منه وأيضا فاننا نرى أعضاء الجسد تذهب عضوا عضوا بالقطع والفساد والقوى باقية بحسبها والاعضاء قد ذهبت وفسدت ونجد الذهن والتدبير والعقل وقوى النفس باقية أوفر ما كان فصح ضرورة ان الفعال العالم الذاكر المدبر المريد هو غير الجسد كما ذكرنا وان الجسد

مما أبطلنا به قول أبي بكر بن كيسان فانه يبطل أيضا قول جالينوس وأيضاً فان العناصر الاربعة التي منها تركب الجسد وهي التراب والماء والهواء والنار فانها كلها موات بطبعها ومن الباطل الممتنع والمحال الذى لا يجوز البتة أن يجتمع موات وموات وموات وموات فيقوم منها حي وكذلك محال أن تجتمع بوارد فيقوم منها حار أو حوار فيجتمع منها بارد أوحي وحي وحي فيقوم منها موات فبطل أن تكون النفس مزاجاً وبالله تعالى التوفيق وأما قول من قال انها عرض فقط وقول من قال انما النفس النسيم الداخل والخارج من الهواء وان الروح هو عرض وهو الحياة فان كلا هذين القولين يبطلان بكل ماذكرنا ابطال قول الاصم ابن كيسان وأيضا فان أهل هذين القولين ينتمون الى الاسلام والقرآن يبطل قولهم نصا قال الله تعالى (الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الاخرى الى أجل مسمى) فصح ضرورة أن الانفس غير الاجساد وان الانفس هى المتوفاة فى النوم والموت ثم ترد عند اليقظة وتمسك عند الموت وليس هذا التوفى للاجساد أصلا ويقين يدرى كل ذى حس سليم ان العرض لا يمكن أن يتوفى فيفارق الجسم الحامل له ويبقى كذلك ثم يرد بعضه ويمسك بعضه هذا مالا يكون ولا يجوز لان العرض يبطل بمزايلته الحامل له وكذلك لا يمكن أن يظن ذو مسكة من عقل ان الهواء الخارج والداخل هو المتوفى عند النوم وكيف ذلك وهو باق فى حال النوم كما كان فى حال اليقظة ولا فرق وكذلك قوله تعالى (والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون) فانه لا يمكن أن يعذب العرض ولا الهواء وأيضا فان الله عز وجل يقول (واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذرياتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى) الآية

(قال أبو محمد) فهذه آية ترفع الاشكال جملة وتبين ان النفس غير الجسد وانما هى العاقلة المخاطبة المكلفة لانه لا يشك ذو حس سليم فى أن الاجساد حين أخذ الله عليها هذا العهد كانت مبددة في التراب والماء والهواء والنار ونص الآية يقتضي ماقلنا فكيف وفيها نص ان الاشهاد انما وقع على النفوس وما أدرى كيف تنشرح نفس مسلم بخلاف هذه النصوص وكذلك أخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم انه رأى عند سماء الدنيا ليلة أسرى به عن يمين آدم وعن يساره نسم بنيه فاهل السعادة عن يمينه وأهل الشقاوة عن يساره عليه السلام ومن الباطل ان تكون الاعراض باقية هنالك أو ان يكون النسيم هنالك وهو هواء يتردد فى الهواء

(قال أبو محمد) ولو كان ماقاله أبو الهذيل والباقلانى ومن قلدهما حقا لكان الانسان يبدل فى كل ساعة الف الف روح وأزيد من ثلاث مائة الف نفس لان العرض عندهم لا يبقى وقتين بل يفنى ويتجدد عندهم أبداً فروح كل حى على قولهم فى كل وقت غير روحه التى كانت قبل ذلك وهكذا تتبدل أرواح الناس عندهم بالخطاب وكذلك بيقين يشاهد كل أحد ان الهواء الداخل بالتنفس ثم يخرج هو غير الهواء الداخل بالتنفس الثاني فالانسان يبدل على قول الاشعرية أنفسا كثيرة في كل وقت ونفسه الآن غير نفسه آنفا وهذا حمق لا خفاء به فبطل قول الفريقين بنص القرآن والسنة والاجماع والمشاهدة والمعقول والحمد لله رب العالمين هذا مع تعريهما من الدليل جملة وانما دعوى فقط وما كان هكذا فهو باطل وقد صرح الباقلاني عند ذكره لما يعترض فى أرواح الشهداء وأرواح آل فرعون فقال هذا يخرج على وجهين بان يوضع عرض الحياة فى أقل جزء من اجزاء الجسم وقال بعض من شاهدناه منهم توضع الحياة فى عجب الذنب واحتج بالخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كل ابن آدم ياكله التراب الا عجب الذنب ومنه يركب الخلق يوم القيامة وفي رواية منه خلق وفيه يركب

﴿قال أبو محمد﴾ وهذا تمويه من المحتج بهذا الخبر لانه ليس فى الحديث لانص ولادليل ولا اشارة يمكن ان يتاول على ان عجب الذنب يحيا وانما فى الحديث ان عجب الذنب لا ياكله التراب وانه من خلق الجسد وفيه يركب فقط فظهر تمويه هذا القائل وضعفه والحمد لله رب العالمين قال الباقلانى واما ان يخلق لتلك الحياة جسد آخر فلا

﴿قال أبو محمد﴾ وهذا مذهب أصحاب التناسخ بلا مؤونة واحتج لذلك بالحديث المأثور ان نسمة المؤمن طير يعلف من ثمار الجنة ويأوى الى قناديل تحت العرش وفي بعضها أنها فى حواصل طير خضر

﴿قال أبو محمد﴾ ولاحجة لهم فى هذا الخبر لان معني قوله عليه السلام طائر يعلف هو على ظاهره لا علي ظن أهل الجهل وأنما أخبر عليه السلام ان نسمة المؤمن طائر بمعني أنها تطير فى الجنة فقط لا أنها تمسخ فى صور طير فان قيل ان النسمة مؤنثة قلنا قد صح عن عربي فصيح أنه قال أتتك كتابي فاستخففت بها فقيل له أتؤنث الكتاب فقال أوليس صحيفة وكذلك النسمة روح فتذكر لذلك وأما الزيادة التى فيها أنها فى حواصل طير خضر فانها صفة تلك القناديل التى تاوى اليها والحديثان معاً حديث واحد وخبر واحد

﴿قال ابو محمد﴾ ولم يحصل من هذين الوجهين الفاسدين الاعلى دعوى كاذبة بلا دليل يشبه الهزل أوعلى كفر مجرد فى المصير الى قول أصحاب التناسخ وعلى تحريف الحديث عن وجهه ونعوذ بالله من الخذلان فبطل هذان القولان والحمد لله رب العالمين وأما قول من قال ان النفس جوهر لا جسم من الاوائل ومعمر وأصحابه فانهم موهوا باشياء اقناعيات فوجب ايرادها ونقضها ليظهر البرهان على وجه الانصاف للخصم وبالله تعالى التوفيق

(قال أبو محمد) قالوا لو كانت النفس جسما لكان بين تحريك المحرك رجله وبين ارادته تحريكها زمان على قدر حركة الجسم وثقله اذا النفس هي المحركة للجسد والمريدة لحركته قالوا فلو كان المحرك للرجل جسما لكان لا يخلو اما ان يكون حاصلا فى هذه الاعضاء واما جائيا اليها فان كان جائيا اليها احتاج الى مدة ولا بد وان كان حاصلا فيها فنحن اذا قطعنا تلك العصبة التى بها تكون الحركة لم يبق منها فى العضو الذى كان يتحرك شيء أصلا فلو كان ذلك المحرك حاصلا فيه لبقي منه شيء في ذلك العضو

(قال أبو محمد) وهذا لا معنى له لان النفس لا تخلو من أحد ثلاثة أوجه لا رابع لها اما ان تكون مجللة لجميع الجسد من خارج كالثوب واما أن تكون متخللة بجميعه من داخل كالماء فى المدرة وأما أن تكون في مكان واحد من الجسد وهو القلب أو الدماغ وتكون قواها منبثة في جميع الجسد فاى هذه الوجوه كان فتحريكها لما يريد تحريكه من الجسد يكون مع ارادتها لذلك بلا زمان كادراك البصر لما يلاقى فى البعد بلا زمان واذا قطعت العصبة لم ينقطع ما كان من جسم النفس متخللا لذلك العضو ان كانت متخللة لجميع الجسد من داخل أو مجللة له من خارج بل يفارق العضو الذى يبطل حسه فى الوقت وينفصل عنه بلا زمان وتكون مفارقتها لذلك العضو كمفارقة الهواء للاناء الذى ملئ ماء وأما أن كانت النفس ساكنة فى موضع واحد من الجسد فلا يلزم على هذا القسم ان يسلب من العضو المقطوع بل يكون فعلها حينئذ فى تحريكها الاعضاء كفعل حجر المغنطيس فى الحديد وان لم يلصق به بلا زمان فبطل هذا الالزام الفاسد والحمد لله رب العالمين وقالوا لو كانت النفس جسما لوجب أن نعلم ببعضها أو بكلها

(قال أبو محمد) وهذا سؤال فاسد تقسيمه والجواب وبالله تعالى التوفيق انها لا تعلم الا بكلها أو ببعضها لان كل

بسيط غير مركب من طبائع شتى فهو طبيعة واحدة وما كان طبيعة واحدة فقوته فى جميع أبعاضه وفى بعض أبعاضه سواء كالنار تحرق بكلها وببعضها ثم لا ندرى ماوجه هذا الاعتراض علينا بهذا السؤال ولا ماوجه استدلالهم منه على انها غير جسم ولو عكس عليهم فى ابطال دعواهم أنها جوهر لا جسم لما كان بينهم وبين السائل لهم بذلك فرق أصلا وقالوا ان من شان الجسم انك اذا زدت عليه جسما آخر زاد فى كميته وثقله قالوا فلو كانت النفس جسما ثم داخلت الجسم الظاهر لوجب أن يكون الجسد حينئذ أثقل منه دون النفس ونحن نجد الجسد اذا فارقته النفس أثقل منه اذا كانت النفس فيه

(قال أبو محمد) وهذا شغب فاسد ومقدمة باطلة كاذبة لانه ليس كل جسم كما ذكروا من أنه اذا زيد عليه جسم آخر كان أثقل منه وحده وانما يعرض هذا فى الاجسام التى تطلب المركز والوسط فقط يعنى التى فى طبعها أن تتحرك سفلا وترسب من المائيات والارضيات وأما التى تتحرك بطبعها علوا فلا يعرض ذلك فيها بل الامر بالضد واذا أضيف جسم منها الى جسم ثقيل خففه فانك ترى انك لو نفخت زقا من جلد ثور أو جلد بعير أو أمكن حتى يمتلىء هو آثم وزنته فانك لا تجد على وزنه زيادة على مقدار وزنه لو كان فارغا أصلا وكذلك ماصعد من الزقاق ولو أنه ورقة سوسنة منفوخة ونحن نجد الجسم العظيم الذى اذا أضفته الى الجسم الثقيل خففه جدا فانك لو رميت الزق غير المنفوخ فى الماء الرسب فاذا نفخته ورميت به خف وعام ولم يرسب وكذلك يستعمله العائمون لانه يرفعهم عن الماء ويمنعهم من الرسوب وهكذا النفس مع الجسد وهو باب واحد كلى لان النفس جسم علوى فلكى أخف من الهواء واطلب للعلو فهى تخفف الجسد اذا كانت فيه فبطل تمويههم والحمد لله رب العالمين وقالوا ايضا لو كانت النفس جسما لكانت ذات خاصية اما خفيفة واما ثقيلة وأما حارة واما باردة واما لينة واما خشنة

(قال ابو محمد) نعم هى خفيفة فى غاية الخفة ذاكرة عاقلة مميزة حية هذه خواصها وحدودها التى بانت بها عن سائر الاجسام المركبات مع سائر أعراضها المحمولة فيها من الفضائل والرذائل وأما الحر واليبس والبرد والرطوبة واللين والخشونة فانما هى من اعراض عناصر الاجرام التى دون الفلك خاصة ولكن هذه الاعراض المذكورة مؤثرة فى النفس اللذة او الالم فهى منفعلة لكل ماذكرنا وهذا يثبت انها جسم قالوا انما من كان الاجسام فكيفياته محسوسة ومالم تكن كيفياته محسوسة فليس بجسم وكيفيات النفس انما هى الفضائل والرذائل وهذان الجنسان من الكيفيات ليسا بمحسوسين فالنفس ليست جسما

(قال ابو محمد) وهذا شغب فاسد ومقدمة كاذبة لان قولهم ان مالا تحس كيفياته فليس جسما دعوى كاذبة لا برهان عليها اصلا لاعقلى ولا حسى وما كان هكذا فهو قول ساقط مطروح لا يعجز عن مثله احد ولكنا لا نقنع بهذا دون ان نبطل هذه الدعوى ببرهان حسى ضرورى بعون الله تعالى وهو ان الفلك جسم وكيفياته غير محسوسة واما اللون اللازوردى الظاهر فانما يتولد فيما دونه من امتزاج بعض العناصر ووقوع خط البصر عليها وبرهان ذلك تبدل ذلك اللون بحسب العوارض المتولدة له فمرة تراه أبيض صافى البياض ومرة ترى فيه حمرة ظاهرة فصح ان قولهم دعوى مجردة كاذبة وبالله تعالى التوفيق وايضا فان الجسم تتفاضل انواعه فى وقوع الحواس عليه فمنه مايدرك لونه وطعمه وريحه ومنه مالا يدرك منه الا المجسة فقط كالهواء ومنها النار فى عنصرها لا يقع عليها شىء من الحواس اصلا بوجه من الوجوه وهى جسم عظيم المساحة محيط بالهواء كله فوجب من هذا ان الجسم كل مازاد لطافة وصفاء لم تقع عليه الحواس وهذا حكم النفس وما دون النفس فاكثر محسوس للنفس لاحس البتة الا للنفس ولا حساس الا هى فهى حساسة لامحسوسة ولم يجب قط لا بعقل ولا بحس ان يكون كل حساس محسوسا فسقط قولهم

جملة والحمد لله رب العالمين وقالوا ان كل جسم فانه لا يخلوا من ان يقع تحت جميع الحواس او تحت بعضها والنفس لا تقع تحت كل الحواس ولا تحت بعضها فالنفس ليست جسما

﴿ قال أبو محمد ﴾ وهذه مقدمة فاسدة كما ذكرنا آنفا لان ما عدم اللون من الاجسام لم يدرك بالبصر كالهواء وكالنار في عنصرها وان ما عدم الرائحة لم يدرك بالشم كالهواء والنار والحصى والزجاج وغير ذلك وما عدم الطعم لم يدرك بالذوق كالهواء والنار والحصى والزجاج وما عدم المجسة لم يدرك باللمس كالهواء الساكن والنفس عادمة اللون والطعم والمجسة والرائحة فلا تدرك بشيء من الحواس بل هي المدركة لكل هذه المدركات وهي الحساسة لكل هذه المحسوسات فهي حساسة لا محسوسة وانما تعرف بآثارها وبراهين عقلية وسائر الاجسام والاعراض محسوسة لا حساسة ولا بد من حساس لهذه المحسوسات ولا حساس لها غير النفس وهي التي تعلم نفسها وغيرها وهي القابلة لاعراضها التي تتعاقب عليها من الفضائل والرذائل المعلومة بالعقل كقبول سائر الاجرام لما يتعاقب عليها من الاعراض بالعقل والنفس هي المتحركة باختيارها المحركة لسائر الاجسام هي مؤثرة فيها تألم وتلتذ وتفرح وتحزن وتغضب وترضى وتعلم وتجهل وتحب وتكره وتذكر وتنسى وتنتقل وتحل فبطل قول هؤلاء ان كل جسم فلا بد من أن يقع تحت الحواس أو تحت بعضها لانها دعوى لا دليل عليها وكل دعوى عريت من دليل فهي باطلة وقالوا كل جسم فانه لا محالة يلزمه الطول والعرض والعمق والسطح والشكل والكم والكيف فان كانت النفس جسما فلا بد أن تكون هذه الكيفيات فيها أو يكون بعضها فيها فاي الوجهين كان فهي اذا محاط بها وهي مدركة بالحواس أو من بعضها ولا نرى الحواس تدركها فليست جسما

﴿ قال أبو محمد ﴾ هذا كله صحيح وقضايا صادقة حاشا قضية واحدة ليست فيها وهي قولهم وهي مدركة من الحواس أو من بعضها فهذا هو الباطل المقحم بلا دليل وسائر ذلك صحيح وهذه القضية الفاسدة دعوى كاذبة وقد تقدم أيضا افسادنا لها آنفا مع تعريها عن دليل يصححها ونعم فالنفس جسم طويل عريض عميق ذات سطح وخط وشكل ومساحة وكيفية يحاط بها ذات مكان وزمان لان هذه خواص الجسم ولا بد والعجب من قلة حياء من أقحم مع هذا فهي اذا مدركة بالحواس وهذا عين الباطل لان حاسة البصر وحاسة السمع وحاسة الذوق وحاسة الشم وحاسة اللمس لا يقع شيء منها لا على الطول ولا على العرض ولا على العمق ولا على السطح ولا على الشكل ولا على المساحة ولا على الكيفية ولا على الخط وانما تقع حاسة البصر على اللون فقط فان كان في شيء مما ذكرنا لون وقعت عليه حاسة البصر وعلمت ذلك الملون بتوسط اللون والا فلا وانما تقع حاسة السمع على الصوت فان حدث في شيء مما ذكرنا صوت وقعت عليه حاسة السمع حينئذ وعلمت ذلك المصوت بتوسطه والا فلا وانما تقع حاسة الشم على الرائحة فان كان في شيء مما ذكرنا رائحة وقعت عليها حينئذ حاسة الشم وعلمت حامل الرائحة بتوسط الرائحة والا فلا وان كان لشيء مما ذكرنا طعم وقعت عليه حينئذ حاسة الذوق وعلمت المذوق بتوسط الطعم والا فلا وان كان في شيء مما ذكرنا مجسة وقعت عليها حاسة اللمس حينئذ وعلمت الملموس بتوسط المجسة والا فلا وقالوا ان من خاصة الجسم أن يقبل التجزي واذا جزىء خرج منه الجزء الصغير والكبير ولم يكن الجزء الصغير كالجزء الكبير فلا يخلو حينئذ من أحد أمرين اما أن يكون كل جزء منها نفسا فيلزم من ذلك ان لا تكون النفس نفسا واحدة بل تكون حينئذ أنفسا كثيرة مركبة من أنفس واما أن لا يكون كل جزء منها نفسا فيلزم أن لا تكون كلها نفسا

(قال أبو محمد) أما قولهم ان خاصة الجسم احتمال التجزي فهو صدق والنفس محتملة للتجزى لانها جسم من الاجسام وأما قولهم ان الجزء الصغير ليس كالكبير فان كانوا يريدون المساحة فنعم وأما في غير ذلك فلا وأما قولهم انها ان تجزأت فاما ان يكون كل جزء منها نفساً والزامهم من ذلك انها مركبة من أنفس فان القول الصحيح في هذا ان النفس محتملة للتجزى بالقوة وان كان التجزى باقسامها غير موجود بالفعل وهكذا القول فى الفلك والكواكب كل ذلك محتمل للتجزي بالقوة وليس التجزى موجودا في شيء منها بالفعل وأما قولهم انها مركبة من أنفس فشغب فاسد لاننا قد قدمنا في غير موضع ان المعانى المختلفة والمسميات المتغايرة يجب أن يوقع على كل واحد منها اسم يبين به عن غيره والا فقد وقع الاشكال وبطل التفاهم وصرنا الى قول السوفسطائية المبطلة لجميع الحقائق ووجدنا العالم ينقسم قسمين أحدهما مؤلف من طبائع مختلفة فاصطلحنا على ان سمينا هذا القسم مركبا والثانى مؤلف من طبيعة واحدة فاصطلحنا على ان سمينا هذا القسم بسيطا ليقع التفاهم فى الفرق بين هذين القسمين ووجدنا القسم الاول لا يقع على كل جزء من أجزائه اسم كله كالانسان الجزئى فانه متالف من أعضاء لا يسمى شيء منها انسانا كالعين والانف واليد وسائر أعضائه التي لا يسمى عضو منها على انفراده انسانا فاذا تالفت سمى المتالف منها انسانا ووجدنا القسم الثاني يقع على كل جزء من أجزائه اسم كله كالارض والماء والهواء والنار وكالفلك فكل جزء من النار نار وكل جزء من الماء ماء وكل جزء من الهواء هواء وكل جزء من الفلك فهو فلك وكل جزء من النفس نفس وليس ذلك موجبا ان تكون الارض مؤلفة من أرضين ولا أن يكون الهواء مؤلفا من أهوية ولا أن يكون الفلك مؤلفا من أفلاك ولا ان تكون النفس مؤلفة من أنفس وحتى لو قيل ذلك بمعنى ان كل بعض منها يسمى نفسا وكل بعض من الفلك يسمى فلكا فما كان يكون في ذلك ما يعترض به على أنها جسم كسائر الاجسام التى ذكرنا وبالله تعالى التوفيق وقالوا أيضا طبع ذات الجسم أن يكون غير متحرك والنفس متحركة فان كانت هذه الحركة التى فيها من قبل البارى تعالى فقد وجدنا لها حركات فاسدة فكيف يضاف ذاك الى البارى تعالى

(قال أبو محمد) وهذا الكلام فى غاية الفساد والهجنة ولقد كان ينبغى لمن ينتسب الى العلم ان كان يدري مقدار سقوط هذه الاعتراضات وسخفها أن يصون نفسه عن الاعتراض بها لرذالتها فكان الاولى به ان يتعلم قبل ان يتكلم فاما قوله ان طبع ذات الجسم ان تكون غير متحركة فقول ظاهر الكذب والمجاهرة لان للافلاك والكواكب اجساما وطبعها الحركة الدائمة المتصلة أبدا الى ان يحيلها خالقها عن ذلك يوم القيامة وان للعناصر دون الفلك اجساما وطبعها الحركة الى مقرها والسكون فى مقرها وأما النفس فلانها حية كان طبعها السكون الاختيارى والحركة الاختيارية حينا وحينا هذا كله لا يجهله أحد به ذوق وأما قولهم انها حركات ردية فكيف تضاف الى البارى تعالى فانما كان بعض حركات النفس رديا بمخالفة النفس أمر باريها فى تلك الحركات وانما أضيفت الى الباري تعالى لانه خلقها فقط على قولنا أولانه تعالى خالق تلك القوى التى بها كانت تلك الحركات فسقط الزامهم الفاسد والحمد لله رب العالمين , قالوا ايضا ان الاجسام من طبعها الاستحالة والتغير واحتمال الانقسام أبدا بلا غاية ليس شيء منها الا هكذا أبدا فهى محتاجة الى من يربطها ويشدها ويحفظها ويكون به تماسكها قالوا والفاعل لذلك النفس فلو كانت النفس جسما لكانت محتاجة الى من يربطها ويحلها فيلزم من ذلك أن تحتاج الى نفس أخرى والاخرى الى أخرى والاخرى كذلك الى مالا نهاية له وما لا نهاية له باطل

(قال أبو محمد) هذا أفسد من كل قول سبق من تشغيباتهم لان مقدمته مغشوشة فاسدة كاذبة أما قولهم

ان الاجسام فى طبعها الاستحالة والتغير على الاطلاق كذب لان الفلك جسم لا يقبل الاستحالة وانما تجب الاستحالة والتغير فى الاجسام المركبة من طبائع شتى بخلعها كيفياتها ولباسها كيفيات أخرى وبانحلالها الى عناصرها هكذا مدة ما أيضا ثم تبقى غير منحلة ولا مستحيلة وأما النفس فانها تقبل الاستحالة والتغيير فى أعراضها فيتغير وبستحيل من علم الى جهل ومن جهل الى علم ومن حرص الى قناعة ومن بخل الى جود ومن رحمة الى قسوة ومن لذة الى ألم هذا كله موجود محسوس واما ان تستحيل فى ذاتها فتصير ليست نفسا فلا وهذا الكوكب هو جسم ولا يصير غير كوكب والفلك لا يصير غير فلك وأما قوله ان الاجسام محتاجة الى مايشدها ويربطها ويمسكها فصحيح وأما قوله ان النفس هى الفاعلة لذلك فكذب ودعوى بلا دليل عليها اقناعى ولا برهانى بل هو تمويه مدلس ليجوز باطله على أهل الغفلة وهكذا قول الدهرية وليس كذلك بل النفس من جملة الاجسام المحتاجة الى ما يمسكها ويشدها ويقيمها وحاجتها الى ذلك كحاجة سائر الاجسام التى فى العالم ولا فرق والفاعل لكل ذلك فى النفس وفى سائر الاجسام والممسك لها والحافظ لجميعها والمحيل لما استحال منها فهو المبدى للنفس ولكل ماقى العالم من جسم أو عرض والمتمم لكل ذلك هو الله الخالق البارى المصور عز وجل فبعض أمسكها بطبائعها التى خلقها فيها وصرفها فضبطها لما هى فيه وبعض أمسكها بر باطات ظاهرة كالعصب والعروق والجلود لا فاعل لشىء من ذلك دون الله تعالى وقد قدمنا البراهين على كل ذلك فى صدر كتابنا هذا فاغنى عن ترداده والحمد لله رب العالمين * وقالوا أيضا كل جسم فهو اما ذو نفس واما لا ذو نفس فان كانت النفس جسما فهى متنفسة اى ذات نفس واما لا متنفسة اى لا ذات نفس فان كانت لا متنفسة فهذا خطأ لانه يجب من ذلك ان تكون النفس لا نفسا وان كانت متنفسة اى ذات نفس فهى محتاجة الى نفس وتلك النفس الى أخرى والاخرى الى أخرى وهذا يوجب مالا نهاية له وما لا نهاية له باطل

(قال أبو محمد) هذه مقدمة صحيحة ركبوا عليها نتيجة فاسدة ليست منتجة على تلك المقدمة وأما قولهم ان كل جسم فهو اما ذو نفس واما لا ذو نفس فصحيح وأما قولهم ان النفس ان كانت غير متنفسة وجب من ذلك أن تكون النفس لا نفسا فشغب فاسد بارد لا يلزم لان معنى القول بان الجسم ذو نفس انما هو ان بعض الاجسام أضيفت اليه نفس حية حساسة متحركة بارادة مدبرة لذلك الجسم الذى استضافت اليه ومعنى القول بان هذا الجسم غير ذى نفس انما هو انه لم يستضف اليه نفس فالنفس الحية هى المتحركة المدبرة وهى غير محتاجة الى جسم مدبرلها ولا محرك لها فلم يجب ان يحتاج الى نفس ولا ان تكون ليست نفسا ولا فرق بينهم فى قولهم هذا وبين من قال ان الجسم يحتاج الى جسم كما قالوا انه يجب ان تحتاج النفس الى نفس أو قال يجب ان يكون الجسم لا جسما كما قالوا يجب ان تكون النفس لا نفسا وهذا كله هوس وجهل والحمد لله رب العالمين وقالوا لو كانت النفس جسما لكان الجسم نفسا

(قال أبو محمد) وهذا من الجهل المفرط المظلم ولو كان القائل هذا الجنون أقل علم بحدود الكلام لم يأت بهذه الغثاثة لان الموجبة الكلية لا تنعكس البتة انعكاسا مطرداً الا موجبة جزئية لا كلية وكلامهم هذا بمنزلة من قال لما كان الانسان جسما وجب أن يكون الجسم انسانا ولما كان الكلب جسما وجب أن يكون الجسم كلبا وهذا غاية الحمق والقحة لكن صواب القول فى هذا ان يقول لما كانت النفس جسما كان بعض الاجسام نفسا ولما كان الكلب جسما وجب أن يكون بعض الاجسام كلبا وهذا هو العكس الصحيح المطرد اطرادا صحيحا أبدا وبالله تعالى التوفيق وقالوا أيضا ان كانت النفس جسما فهى بعض الاجسام واذا كانت كذلك فكلية الاجسام أعظم مساحة منها فيجب أن تكون أشرف منها

(قال أبو محمد) عن عدم الحياء والعقل لم يبال بما نطق به لسانه وهذه قضية في غاية الحمق لانها توجب ان الشرف انما هو بعظم الاجسام وكثرة المساحة ولو كان كذلك لكانت القضية والبلية وكان الحمار والبغل وكدس العذرة أشرف من الانسان النبلاء والفيلسوف لان كل ذلك أعظم مساحة منه ولكانت القرلة أشرف من ناظر العين والالية أشرف من القلب والكبد والدماغ والصخرة أشرف من اللؤلؤة وأف لكل علم ادى الى مثل هذا نعم فان كثيرا من الاجسام أعظم مساحة من النفس وليس ذلك موجبا أنها أشرف منها مع ان النفس الرذلة المضربة عما أوجبه التميز وعن طاعة ربها الى الكفر به فكل شيء في العالم اشرف منها ونعوذ بالله من الخذلان وقالوا ان كانت النفس جسما آخر مع الجسم فالجسم نفس وشيء آخر واذا كان كذلك فالجسم أتم واذا كان أتم فهو أشرف

(قال أبو محمد) وهذا جنون مردد لانه ليس بكثرة العدد يجب الفضل والشرف ولا بعموم اللفظ يجب الشرف بل قد يكون الاقل والاخص أشرف ولو كان ما قالوه لوجب ان تكون الاخلاق جملة أشرف من الفضائل خاصة لان الاخلاق فضائل وشيء آخر فهي اتم فهي على حملهم السخيف أشرف وهذا ما لا يقوله ذو عقل وهم يقرون ان النفس جوهر والجوهر نفس وجسم فالجوهر أشرف من النفس لانه نفس وشيء آخر وقد قالوا ان الحي يقع تحت النامي فيلزمهم ان النامي أشرف من الحي لانه حي وشيء آخر وهذا تخليط وحماقة ونعوذ بالله من الوسواس وقالوا أيضا كل جسم يتغذى والنفس لا تتغذى فهي غير جسم

(قال أبو محمد) ان كان هؤلاء السخفاء اذا اشتغلوا بهذه الحماقات كانوا سكارى بل سكر الجهل والسخف اعظم من سكر الخمر لان سكر الخمر سريع الافاقة وسكر الجهل والسخف بطيء الافاقة اتراهم اذ قالوا كل جسم فهو متغذ ألم يروا الماء والارض والهواء والكواكب والفلك وان كل هذه أجسام عظام لا تتغذى وانما يتغذي من الاجسام النوامي فقط وهي أجساد الحيوان السكان في الماء والارض والشجر والنبات فقط فاذا كان هؤلاء النوكى ما لا يتغذى ليس جسما فالارض والحجارة والكواكب والفلك والملائكة ليس كل ذلك جسما وكفى بهذا جنونا وخطا ونحمد الله على السلامة قالوا لو كانت النفس جسما لكانت لها حركة لان لكل جسم حركة ونحن لا نرى للنفس حركة فبطل ان تكون جسما

(قال أبو محمد) هذه دعوى كاذبة وقد تناقضوا أيضا فيها لانهم قد قالوا قبل هذا بنحو ورقة وفي بعض حججهم ان الاجسام غير متحركة والنفس متحركة وهنا قلبوا الامر فظهر جهلهم وضعف عقولهم وأما قولهم لا نرى لها حركة لمخرقة وليس كل ما لا يرى يجب ان ينكر اذا قام على صحته دليل ويلزمهم اذ أبطلوا حركة النفس لانهم لا يرونها ان يبطلوا النفس جملة لانهم ايضا لا يرونها ولا يسمعونها ولا يلمسونها ولا يذوقونها وحركة النفس معلومة بالبرهان وهو ان الحركة قسمان حركة اضطرار وحركة اختيار فحركة الاضطرار هي حركة كل جسم غير النفس هذا ما لا يشك فيه فبقيت حركة الاختيار وهي موجودة يقينا وليس في العالم شيء متحرك بها حاشا النفس فقط فصح ان النفس هي المتحركة بها فصح ضرورة أن للنفس حركة اختيارية معلومة بلا شك واذ لا شك في أن كل متحرك فهو جسم وقد صح ان النفس متحركة فالنفس جسم فهذا هو البرهان الضروري التام الصحيح لا تلك الوساوس والاهذار ونحمد الله على نعمه عز وجل وقالوا لو كانت النفس جسما لوجب ان يكون اتصالها بالجسم اما على سبيل المجاورة واما على سبيل المداخلة وهي الممازجة

(قال أبو محمد) فبعد هذا ماذا ونعم فان النفس متصلة بالجسم على سبيل المجاورة ولا يجوز سوى ذلك اذ لا يمكن ان يكون اتصال الجسمين الا بالمجاورة واما اتصال المداخلة فانما هي العرض والعرض والجسم والعرض على ما بينا قبل وقالوا أيضا ان كانت النفس جسما فكيف يعرف الجسم بمماسة أم غير مماسة

(قال

﴿قال أبو محمد﴾ الاجسام كلها حاش النفس موات لا علم لها ولا حس ولا تعلم شيئا وانما العلم والحس للنفس فقط فهى تعلم الاجسام والاعراض وخالق الاجسام والاعراض الذي هو خالقها ايضا بما فيها من صفة الفهم وطبيعة التمييز وقوة العلم التى وضعها فيها خالقها عز وجل و-ؤالهم نارد وقالوا أيضا ان كل جسم بدا في نشوة وغاية ينتهى اليها وأجود مايكون الجسم اذا انتهى الى غايته فاذا أخـذ فى النقص ضعف وليست الانفس كذلك لا ننا نرى أنفس المعمرين أ كثر ضياء وأنفذ فعلا ونجد أبدانهم اضعف من ابدان الاحداث فلو كانت النفس جسما لنقص فعلها بنقصان البدن فاذا كان هذا كما ذكرنا فليست النفس جسما

﴿قال ابو محمد﴾ هذه مقدمة فاسدة الترتيب اما قولهم ان الجسم اجود مايكون اذا انتهى الى غايته فخطأ اذا قيل على العموم وانما ذلك فى النوامى فقط وفى الاشياء التى تستحيل استحالة ذبولية فقط كالشجر واصناف أجساد الحيوان والنبات واما الجبال والحجارة والارض والبحار والهواء والماء والافلاك والكواكب فليس لها غاية اذا بلغتها اخذت فى الانحطاط وانما يستحيل بعض ما يستحيل من ذلك علي سبيل التفتت كحجر كسر ته فانكسر ولو ترك لبقى ولم يذبل ذبول الشجر والنبات وأجسام الحيوان وكذلك النفس لا تستحيل استحالة ذبول ولا استحالة تفتت وانما تستحيل اعراضها كما ذكرنا فقط ولا نماء له وكذلك الملائكة والفلك والكواكب والعناصر الاربعة لا نماء لها وكل باق على هيئته التى خلقه الله تعالى عليها اذ خلق كل ذلك والنفس كذلك منتقلة من عالم الابتداء الى عالم الانتهاء الى عالم البرزخ الى عالم الحساب الى عالم الجزاء فتخلد فيه أبدا بلانهاية وهي اذا تخلصت من رطوبات الجسد وكدره كانت أصفى نظرا وأصح علما كما كانت قبل حلولها فى الجسد نسال الله خير ذلك المنقلب بمنه آمين

﴿قال أبو محمد﴾ هذا ما هو به من كل نطيحة ومتردية قد تقصيناه لهم وبينا ان كله فساد وحماقات وتقصيناه بالبراهين الضرورية والحمد لله رب العالمين

(قال ابو محمد) فاذا بطل كل ماشغب به من يقول ان النفس ليست جسما وسقط هذا القول لتعريه عن الادلة جملة فنحن ان شاء الله تعالى نوضح بعون الله عز وجل وقوته البراهين الضرورية على انها جسم وبالله تعالى نتأيد وذلك بعد ان نبين بتاييد الله عز وجل شغبين يمكن ان يعترض بهما ان قال قائل اتنمو النفس فان قلتم لا قلنا نحن نجدها تنشا من صغر الى كبر وترتبط بالجسد بالغذاء واذا انقطع الغـذاء انحلت عن الجسد ونجدها تسوء أخلاقها ويقل صبرها بعدم الغـذاء فاذا تغذت اعتدلت اخلاقها وصلحت

﴿قال أبو محمد﴾ لا تتغذى ولا تنمو اما عدم غذائها فالبرهان القائم انها ليست مركبة من الطبائع الاربع وانها بخلاف الجسد هـذا هو البرهان على انها لا تتغذي وهو ان ماتركب من العناصر الاربعة فلا بدله من الغـذاء ليستخلف ذلك الجسد أو تلك الشجرة أو ذلك النبات من رطوبات ذلك الغـذاء أو أرضياته مثل ماتحلل من رطوباته بالهواء والحر وليست هـذه صفة النفس اذ لو كانت لها هـذه الصفة لكانت من الجسد او مثله ولو كانت من الجسد أو مثله لكانت مواتا كالجسد غير حساسة فاذ قد بطل ان تكون مركبة من طبائع العناصر بطل ان تكون متغذية نامية واما ارتباطها بالجسد من اجـل الغذاء فهو امر لا يعرف كيفيته الا خالقها عز وجـل الذى هو مدبرها الا انه معلوم انه كذلك فقط وهو كطحن المعدة للغذاء لا يدرى كيف هو وغير ذلك

مما يوجد الله عز وجل بعلمه ومن البرهان على ان النفس لا تتغذى ولا تنمو ان البرهان قد قام على انها
كانت قبل تركيب الجسد على آباد الدهور وانها باقية بعد انحلاله وليس هنالك فى ذينك العالمين غذاء
يولد نماء أصلا وأما ماظنوه من نشأتها من صغر الى كبر فخطا وانما هو عودة من النفس الى ذكرها
الذى سقط عنها باول ارتباطها بالجسد فان سال سائل اتموت النفس قلنا نعم لان الله تعالى نص على
ذلك فقال * كل نفس ذائقة الموت * وهذا الموت انما هو فراقها للجسد فقط برهان ذلك قول الله
تعالى * اخرجوا انفسكم اليوم تجزون عذاب الهون * وقوله تعالى * كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا
فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم * فصح ان الحياة المذكورة انما هى ضم الجسد الى النفس وهو نفخ الروح
فيه وأن الموت المذكور انما هو التفريق بين الجسد والنفس فقط وليس موت النفس مما يظنه أهل
الجهل وأهل الالحاد من انها تعدم جملة بل هى موجودة قائمة كما كانت قبل الموت وقبل الحياة
الاولى ولا انها يذهب حسها وعلمها بل حسها بعد الموت أصح ما كان وعلمها أتم ما كان وحياتها التى
هى الحس والحركة الارادية باقية بحسبها أكمل ما كانت قط قال عز وجل * وان الدار الاخرة لهى الحيوان
لو كانوا يعلمون * وهى راجعة الى البرزخ حيث رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة اسرى به عن
الميمنة من آدم عليه السلام ومشئمته الى ان تحيا ثانية بالجمع بينها و بين جسدها يوم القيامة وأما انفس
الجن وسائر الحيوان فحيث شاء الله تعالى ولا علم لنا الا ما علمنا ولا يحل لاحد ان يقول بغير علم وبالله
تعالى التوفيق

(قال أبو محمد) فلنذكر الآن البراهين الضرورية على ان النفس جسم من الاجسام فمن الدليل
على ان النفس جسم من الاجسام انقسامها على الاشخاص فنفس زيد غير نفس عمرو فلو كانت النفس
واحدة لا تنقسم على مايزعم الجاهلون القائلون انها جوهر لا جسم لوجب ضرورة ان تكون نفس المحب
هى نفس المبغض وهى نفس المحبوب وان تكون نفس الفاسق الجاهل هى نفس الفاضل الحكيم
العالم ولكانت نفس الخائف هى نفس المخوف منه ونفس القاتل هى نفس المقتول وهذا حمق لا خفاء
به فصح انها نفوس كثيرة متغايرة الاماكن مختلفة الصفات حاملة لاعراضها فصح انها جسم بيقين
لا شك فيه و برهان آخر هو ان العلم لا خلاف فى أنه من صفات النفس وخواصها لا مدخل للجسد فيه
أصلا ولا حظ فلو كانت النفس جوهرا واحدا لا تتجزي نفوسا لوجب ضرورة ان يكون علم كل أحد
مستويا لا تفاضل فيه لان النفس على قولهم واحدة وهى العالمة فكان يجب ان يكون كلما علمه زيد
يعلمه عمرو لان نفسها واحدة عندهم غير منقسمة ولا متجزئة فكان يلزم ولا بدان يعلم جميع أهل الارض
مايعلمه كل عالم فى الدنيا لان نفسهم واحدة لا تنقسم وهى العالمة وهذا مالا انفكاك منه البتة فقد صح
بماذكرنا ضرورة ان نفس كل احد غير نفس غيره وان انفس الناس أشخاص متغايرة تحت نوع نفس
الانسان وان نفس الانسان الكلية نوع تحت جنس النفس الكلية التى يقع تحتها أنفس جميع الحيوان واذ
هى أشخاص متغايرة ذات أمكنة متغايرة حاملة لصفات متغايرة فهى أجسام ولا يمكن غير ذلك
البتة وبالله تعالى التوفيق وأيضا فان العالم كله محدود معروف اجسام واعراض ولا مزيد فمن
ادعي ان ههنا جوهرا ليس جسما ولا عرضا فقد ادعى مالا دليل عليه البتة ولا يتشكل فى
العقل ولا يمكن توهمه وما كان هكذا فهو باطل مقطوع على بطلانه وبالله تعالى التوفيق وأيضا
فان النفس لا تخلو من أن تكون خارج الفلك أو داخل الفلك فان كانت خارج الفلك فهذا
باطل اذا قام البرهان على تناهي جرم العالم فليس وراء النهاية شيء ولو كان وراءها شيء لم تكن نهاية

فوجب ضرورة انه ليس خارج الفلك الذى هو نهاية العالم شيء لا خلاء ولا ملاء وان كانت فى الفلك فهى ضرورة أما ذات مكان وأما محمولة في ذي مكان لانه ليس فى العالم شيء غير هذين أصلا ومن ادعي ان فى العالم شيئا ثالثا فقد ادعى المحال والباطل وما لا دليل له عليه وهذا لا يعجز عنه أحد وما كان هكذا فهو باطل بيقين وقد قام الدليل على ان النفس ليست عرضا لانها عالمة حساسة والعرض ليس عالما ولا حساسا وصح انها حاملة لصفاتها لا محمولة فاذ هى حاملة متمكنة فهى جسم لا شك فيه اذ ليس الا جسم حامل أو عرض محمول وقد بطل ان تكون عرضا محمولا فهى جسم حامل وبالله تعالى التوفيق وأيضا فلا تخلو النفس من ان تكون واقعة تحت جنس أولا فان كانت لا واقعة تحت جنس فهى خارجة عن المقولات وليس فى العالم شيء خارج عنها ولا في الوجود شيء خارج عنها الا خالقها وحده لا شريك له وهم لا يقولون بهذا بل يوقعونها تحت جنس الجوهر فاذ هى واقعة تحت جنس الجوهر فانا نسالهم عن الجوهر الجامع للنفس وغيرها اله طبيعة أم لا فان قالوا لا وجب ان كل ما تحت الجوهر لا طبيعة له وهذا باطل وهم لا يقولون بهذا فان قالوا لا ندرى ما الطبيعة قلنا لهم اله صفة محمولة فيه لا يوجد دونها أم لا فلابد من نعم وهذا هو معنى الطبيعة وان قالوا بل له طبيعة وجب ضرورة ان يعطى كل ما تحته طبيعة لان الاعلى يعطى لكل ما تحته اسمه وحدوده عطاء صحيحا والنفس تحت الجوهر فالنفس ذات طبيعة بلا شك واذ صح ان لها طبيعة فكل ماله طبيعة فقد حصرته الطبيعة وما حصرته الطبيعة فهو ذو نهاية محدود وكل ذى نهاية فهو اما حامل واما محمول والنفس بلا شك حاملة لاعراضها من الاضداد كالعلم والجهل والذكاء والبلادة والنجدة والجبن والعدل والجور والقسوة والرحمة وغير ذلك وكل حامل فذو مكان وكل ذى مكان فهو جسم فالنفس جسم ضرورة وأيضا فكل ما كان واقعا تحت جنس فهو نوع من أنواع ذلك الجنس وكل نوع فهو مركب من جنسه الاعلى العام له من أنواعه ومركب أيضا مع ذلك من فصله الخاص به المميز له من سائر الانواع الواقعة معه تحت جنس واحد فانه موضوع وهو جنسه القابل لصورته وصورة غيره وله محمول وهو صورته التى خصته دون غيره فهو ذو موضوع ومحمول فهو مركب والنفس نوع للجوهر فهى مركبة من موضوع ومحمول وهى قائمة بنفسها فهي جسم ولابد

﴿قال أبو محمد﴾ وهذه براهين ضرورية حسية عقلية لا محيد عنها وبالله تعالى التوفيق وهذا قول جماعة من الاوائل ولم يقل ارسطاطاليس ان النفس ليست جسما على ما ظنه أهل الجهل وانما نفى أن تكون جسما كدرا وهو الذى لا يليق بكل ذى علم سواه ثم لو صح انه قالها لكانت وهلة ودعوى لا برهان عليها وخطأ لا يجب اتباعه عليه وهو يقول فى مواضع من كتبه اختلف أفلاطون والحق وكلاهما الينا حبيب غير ان الحق أحب الينا واذا جاز أن يختلف أفلاطون والحق فغير نكير ولا بديع أن يختلف ارسطاطاليس والحق وما عصم انسان من الخطأ فكيف وما صح قط انه قاله

﴿قال أبو محمد﴾ انما قال ان النفس جوهر لا جسم من ذهب الى انها هى الخالقة لما دون الله تعالى على ما ذهب اليه بعض الصابئين ومن كفى بها عن الله تعالى

﴿قال أبو محمد﴾ وكلا القولين سخف وباطل لان النفس والعقل لفظتان من لغة العرب موضوعتان فيها لمعنيين مختلفين فاحالتهما عن موضوعهما فى اللغة سفسطة وجهل وقلة حياء وتلبيس وتدليس

﴿قال أبو محمد﴾ وأما من ذهب الى ان النفس ليست جسما ممن ينتمى الى الاسلام بزعمه فقول يبطل بالقرآن والسنة واجماع الامة فاما القرآن فان الله عز وجل قال * هنالك تبلو كل نفس ما أسلفت * وقال تعالى * اليوم تجزى كل نفس ما كسبت لا ظلم اليوم * وقال تعالى * كل امرىء بما كسب رهين * فصح

ان النفس هي الفعالة الكاسبة المجزية المخطئة *وقال تعالى* ان النفس لامارة بالسوء* وقال تعالى* ويوم تقوم الساعة ادخلوا آل فرعون أشد العذاب* وقال تعالى* ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل احياء ولكن لا تشعرون *وقال تعالى* ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل احياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله* فصح ان الانفس منها ما يعرض على النار قبل يوم القيامة فيعذب ومنها ما يرزق و ينعم فرحا و يكون مسرورا قبل يوم القيامة ولا شك ان اجساد آل فرعون واجساد المقتولين في سبيل الله قد تقطعت اوصالها واكلتها السباع والطير وحيوان الماء فصح ان الانفس منقولة من مكان الى مكان ولا شك في ان العرض لا يلقى العذاب ولا يحس فليست عرضا وصح انها تنتقل في الاماكن قائمة بنفسها وهذه صفة الجسم لا صفة الجوهر عند القائل به فصح ضرورة انها جسم واما من السنن فقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ارواح الشهداء في حواصل طير خضر في الجنة وقوله صلى الله عليه وسلم انه رأى نسم بني آدم عند سماء الدنيا عن يمين آدم و يسار، فصح ان الانفس مرئية في اماكنها وقوله عليه السلام ان نفس المؤمن اذا قبضت عرج بها الى السماء وفعل بها كذا و نفس الكافر اذا قبضت فعل بها كذا فصح انها معذبة ومنعمة ومنقولة في الاماكن وهذه صفة الاجسام ضرورة واما من الاجماع فلا خلاف بين احد من اهل الاسلام في ان انفس العباد منقولة بعد خروجها عن الاجساد الى نعيم او الى صنوف ضيق وعذاب وهذه صفة الاجسام ومن خالف هذا فزعم ان الانفس تعدم او انها تنتقل الى اجسام أخر فهو كافر مشرك حلال الدم والمال بخرقه الاجماع ومخالفته القرآن والسنن ونعوذ بالله من الخذلان

(قال ابو محمد) وقد ذكرنا في باب عذاب القبر ان الروح والنفس شيء واحد ومعنى قول الله تعالى* و يسألونك عن الروح قل الروح من امر ربي* انما هو لان الجسد مخلوق من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة ثم عظاما ثم لحما ثم امشاجا وليس الروح كذلك وانما قال الله تعالى امرا له بالكون كن فكان فصح ان النفس والروح والنسمة اسماء مترادفة لمعنى واحد وقد يقع الروح ايضا على غير هذا فجبريل عليه السلام الروح الامين والقرآن روح من عند الله و بالله تعالى التوفيق فقد بطل قولهم في النفس وصح انها جسم ولم يبق الا الكلام في الجزء الذي ادعوا انه لا يتجزى

(قال ابو محمد) ذهب جمهور المتكلمين الى ان الاجسام تنحل الى اجزاء صغار لا يمكن البتة ان يكون لها جزء وان تلك الاجزاء جواهر لا اجسام لها وذهب النظام وكل من يحسن القول من الاوائل الى انه لا جزء وان دق الا وهو يحتمل التجزى ابدا بلا نهاية وانه ليس في العالم جزؤ ولا يتجزء وان كل جزء انقسم الجسم اليه فهو جسم ايضا وان دق ابدا

(قال ابو محمد) وعمدة القائلين بوجود الجزء الذي لا يتجزأ خمس مشاغب وكلها راجعة بحول الله وقوته عليهم ونحن ان شاء الله تعالى نذكرها كلها ونتقصي لهم كل ما موهوا به ونرى بعون الله عز وجل بطلان جميعها بالبراهين الضرورية ثم نرى بالبراهين الصحاح صحة القول بان كل جزء فهو يتجزأ ابدا وانه ليس في العالم جزؤ لا يتجزأ أصلا كافعلنا بسائر الاقوال والحمد لله رب العالمين

(قال ابو محمد) فاول مشاغبهم ان قالوا اخبرونا اذا قطع الماشي المسافة التي مشى فيها فهل قطع ذا نهاية او غير ذي نهاية فان قلتم قطع غير ذي نهاية فهذا محال وان قلتم قطع ذا نهاية فهذا قولنا

(قال ابو محمد) فجوابنا و بالله تعالى التوفيق ان القوم أتوا من احد وجهين اما انهم لم يفهموا قولنا فتكلموا بجهل وهذا لا يرضاه ذو ورع ولا ذو عقل ولا حياء واما انهم لما عجزوا عن معارضة الحق رجعوا الى التكذيب والمباهتة وهذه شر من الاولى وفي أحد هذين القسمين وجدنا كل من ناظرناه منهم في هذه

المسالة وهكذا عرض لنا سواء مع المخالفين لنا فى القياس المدعين لتصحيحه فانهم أيضا أحد رجلين اما جاهل بقولنا فهو يقولنا مالا نقوله ويتكلم فى غير مااختلفنا فيه واما مكابر ينسب الينا مالا نقوله مباهتة وجراءة على الكذب وعجزا عن معارضة الحق من اننا ننكر اشتباه الاشياء واننا ننكر قضايا العقول واننا ننكر استواء حكم الشيئين فيما اوجبه لهما مااشتبها فيه وهذا كله كذب علينا بل نقر بذلك كله ونقول به وانما ننكر ان نحكم فى الدين لشيئين بتحريم او ايجاب او تحليل من اجل انهما اشتبها فى صفة من صفاتهما فهذا هو الباطل البحت والحمد لله رب العالمين على عظيم نعمه * ونقول على هذا السؤال الذى سالونا عنه اننا لم نرفع النهاية عن الاجسام كلها من طريق المساحة بل نثبتها ونعرفها ونقطع على ان كل جسم فله مساحة ابدا محدودة ولله الحمد وانما نفينا النهاية عن قدرة الله تعالى على قسمة كل جزء وان دق واثبتنا قدرة الله تعالى على ذلك وهذا هو شىء غير المساحة ولم يتكلف القاطع بالمشى أو بالذرع او بالعمل قسمة ماقطع ولاتجزئته وانما تكلف عملا او مشى فى مساحة معدودة بالميل او بالذراع والشبر او الاصبع اوما اشبه ذلك وكل هذا له نهاية ظاهرة وهذا غير الذى نفينا وجود النهاية فيه فبطل الزامهم والحمد لله كثيرا ثم نعكس هذا الاعتراض عليهم فنقول لهم وبالله تعالى التوفيق نحن القائلون بان كل جسم فله طول وعرض وعمق وهو محتمل للانقسام والتجزىء وهذا هو اثبات النهاية لكل جزء انقسم الجسم اليه من طريق المساحة ضرورة وانتم تقولون ان الجسم ينقسم الى اجزاء ليس لشىء منها عرض ولاطول ولاعمق ولا مساحة ولايتجزأ وليست أجساما وان الجسم هو تلك الاجزاء نفسها ليس هو شىء غيرها اصلا وان تلك الاجزاء ليس لشىء منها مساحة فلزمكم ضرورة اذا الجسم هو تلك الاجزاء وليست اجساما وان الجسم هو تلك الاجزاء وليس هو غيرها وكل جزء من تلك الاجزاء لامساحة له ان الجسم لامساحة له وهذا امر يبطله العيان واذا لم تكن له مساحة والمساحة هى النهاية فى ذرع الاجسام فلا نهاية لما قطعه القاطع من الجسم على قولهم وهذا باطل والاعتراض الثانى ان قالوا لابد ان يلى الجرم من الجرم الذى يليه جزء ينقطع ذلك الجرم فيه قالوا وهذا اقرار بجزء لايتجزأ

﴿قال ابو محمد﴾ وهذا تمويه فاسد لاننا لم ندفع النهاية من طريق المساحة بل نقول ان لكل جرم نهاية وسطحا ينقطع تماديه عنده وان الذى ينقطع به الجرم اذا جزىء فهو متناه محدود ولكنه محتمل للتجزى أيضا وكل ماجزىء فذلك الجزء وهو الذى يلى الجرم الملاصق له بنهايته من جهته التى لاقاه منها لاما ظنوا من أن احد الجرم جزء منه وهو وحده الملاصق للجرم الذى يلاصقه بل هو باطل بما ذكرنا لكن الجزء وهو الملاصق للجرم بسطحه فاذا جزىء كان الجزء الملاصق للجرم بسطحه هو الملاصق حينئذ بسطحه لاالذى خرج عن ملاصقته وهكذا ابدا والكلام فى هذا كالكلام فى الذى قبله ولافرق والاعتراض الثالث ان قالوا هل الف اجزاء الجسم الا الله تعالى فلابد من نعم قالوا فهل يقدر الله على تفريق اجزاءه حتى لايكون فيها شىء من التاليف ولاتحتمل ذلك الاجزاء التجزىء أم لايقدر على ذلك قالوا فان قلتم لايقدر عجزتم ربكم تعالى وان قلتم يقدر فهذا اقرار منكم بالجزء الذى لايتجزأ

﴿قال أبو محمد﴾ هذا هو من اقوى شبههم التى شغبوا بها وهو حجة لنا عليهم والجواب اننا نقول لهم وبالله تعالى التوفيق ان سؤالكم سؤال فاسد وكلام فاسد ولم تكن قط اجزاء العالم متفرقة ثم جمعها الله عز وجل ولا كانت له اجزاء مجتمعة ثم فرقها الله عز وجل لكن الله عز وجل خلق العالم بكل ما فيه بان قال له كن فكان او بان قال لكل جرم منه اذا اراد خلقه كن فكان ذلك الجرم ثم ان الله تعالى

خلق جميع ما اراد جمعه من الاجرام التى خلقها مفترقة ثم جمعها وخلق تفريق كل جرم من الاجرام التى خلقها مجتمعة ثم فرقها فهذا هو الحق لا ذلك السؤال الفاسد الذي اجازموه واوهمتم به اهل الغفلة ان الله تعالى الف العالم من اجزاء خلقها متفرقة وهـذا باطل لانه دعوي بلا برهان عليها ولا فرق بين من قال ان الله تعالى الف اجزاء العالم وكانت متفرقة وبن من قال بل الله تعالى فرق العالم اجزاء وانمـا كان جزأ واحدا وكلاهما دعوى سـاقطة لا برهان عليها الا من نص ولا من عقل بل القرآن جاء بما قلناه نصا قال تعالى ﴿انمـا أمرنا لشيء اذا أردناه ان نقول له كن فيكون﴾ ولفظة شيء تقع على الجسم وعلى العرض فصح ان كل جسم صغر او كبر وكل عرض فى جسم فان الله تعالى اذا أراد خلقه قال له كن فـكان ولم يقل عز وجل قط انه الف كل جرء من أجزاء متفرقة فهذا هو الكذب على الله عز وجل حقا فبطل ما ظنوا انهم يلزمونا به ثم نقول لهم ان الله تعالى قادر على ان يخلق جسما لا ينقسم ولـكنه لم يخلقه فى بنية هذا العالم ولا يخلقه كما انه تعالى قادر على ان يخلق عرضاً قائما بنفسـه ولـكنه تعالى لم يخلقه فى بنية هذا العالم ولا يخلقه لانهما مما رتبه الله عز وجل محالا فى العقول والله تعالى قادر على كل ما يسال عنه لا نحاشى شيئا منها الا انه تعالى لا يفعل كل ما يقدر عليه وانما يفعل ما يشاء وما سبق في علمه انه يفعله فقط وبالله تعالى التوفيق * ثم نعطف هذا السؤال نفـسه عليهم فنقول لهم هل يقدر الله عز وجل على ان يقسم كل جزء وينقسم كل قسم من اقسام الجسم ابدا بلا نهاية ام لا فان قالوا لا يقدر على ذلك عجزوا ربهم حقا وكفروا وهو قولهم دون تاويل ولا الزام ولكنهم يخافون من أهل الاسلام فيملحون ضلالتهم باثبات الجزء الذى لا يتجزأ جملة * وان قالوا انه تعالى قادر على ذلك صدقوا ورجعوا الى الحق الذى هو نفس قولنا وخلاف قولهم جملة ونحن لا نخالفهم قط فى ان اجزاء طحين الدقيق لا يقدر مخلوق في العالم على تجزئة تلك الاجزاء وانما خالفناهم فى ان قلنا نحن ان الله تعالى قادر على ما لا نقدر نحن علية من ذلك وقالوا هم بل هو غير قادر على ذلك تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا وقولهم فى تناهى القدرة على قسمة الله تعالى الاجزاء هو القول بان الله تعالى يبلغ من الخلق الى مقدار ما ثم لا يقدر علي الزيادة عليه ويبقى حسيرا عاجزا تعالى الله عن هذا الـكفر ولعمري ان أبا الهزيل شيخ المثبتين للجزء الذى لا يتجزأ ليحن الى هذا المذهب حنينا شديدا وقد صرح بان لما يقدر الله علية كالا وآخرا لو خرج الى الفعل لم يكن الله تعالى قادرا بعده على تحريك سـاكن ولا تسكين متحرك ولا على فعل شيء أصلا ثم تدارك كفره فقال ولا يخرج ذلك الآخر أبدا الى حد الفعل

﴿قال أبو محمد﴾ فيقال له ما المانع من خروجه والنهاية حاصرة له والفصـل قائم فلا بد مع طول الزمان من البلوغ الى ذلك الآخر

﴿قال ابو محمد﴾ نعوذ بالله من الضلال والاعتراض الرابع هو ان قالوا أيمـا أكثر أجزاء الجبل أو أجزاء الخردلة وأيمـا أكثر أجزاء الخردلة أو أجزاء الخردلتين قالوا فان قلتم بل أجزاء الخردلتين وأجزاء الجبل صدقتم وأقررتم بتناهى التجزى وهو القول بالجزء الذي لا يتجزء وان قلتم ليس أجزاء الجبل أكثر من أجزاء الخردلة ولا أجزاء الخردلتين أكثر من أجزاء الخردلة كابرتم العيـان لا نه لا يحـدث فى الخردلة جزؤ الا ويحدث فى الخردلتين جزآن وفى الجبـل أجزاء وادعوا علينا اننا نقول ان فى كل جسم أجزاء لا نهـاية لعددها ولا آخر لها وان من قطع بالمشى مكانا ما أو قطع بالجلتـين شيئا فانمـا قطع ما لا نهاية لعدده وقالوا ان عمدة حجتكم على الدهرية هو هذا المعنى نفسه فى الزامكم اياهم وجوب القلة والـكثرة فى عدد الاشخاص وأوقات الزمان وايجابكم ان كل ما حصره العدد فذو نهاية وانكاركم علي الدهرية وجود أشخاص وازمان لا نهاية لعددها قالوا ثم نقضتم كل ذلك فى هذا المكان

﴿قال ابو محمد﴾ هو الذي قلنا انهم اما لم يفهموا كلامنا في هذه المسألة فقولونا ما لا نقوله بظنونهم الكاذبة واما
انهم عرفوا قولنا فحرفوه قلة حياء واستحلال الكذب وجراءة كل عمل الفضيحة لهم في كذبهم وعجزا منهم
عن كسر الحق ونصر الباطل فاعلموا ان كل ما نسبوه الينا من قولنا ان من قطع مكانا أو شيئا بالمشي أو بالجلمتين
فانما قطع ما لا نهاية له فباطل ما قلناه قط بل ما قطع الا ذا نهاية بمساحته وزمانه وأما احتجاجنا على الدهرية بما
ذكروا فصحيح هو حجتنا على الدهرية وأما ادعاؤهم انا نقضنا ذلك في هذا المكان فباطل والفرق بين ما قلناه من
ان كل جزء فهو يتجزأ أبدا بلا نهاية وبين ما احتججنا به على الدهرية من ايجاب النهاية بوجود القلة والكثرة
في اعداد الاشخاص والازمان وانكارنا عليهم وجود أشخاص وأزمان لا نهاية لها بل هو حكم واحد وباب
واحد وقول واحد ومعنى واحد وذلك ان الدهرية أثبتت وجود أشخاص قد خرجت الى الفعل لا نهاية لعددها
ووجود ازمان قد خرجت الى الفعل لا نهاية لها وهذا محال ممتنع وهكذا قلنا في كل جزء خرج الى حد الفعل
فانها متناهية العدد بلا شك ولم نقل قط ان اجزائه موجودة منقسمة لا نهاية لعددها بل هذا باطل محال ثم ان
الله تعالى قادر على الزيادة في الاشخاص وفي الازمان وفي قسمة الجزء ابدا بلا نهاية لكن كل ما خرج الى الفعل
او يخرج من الاشخاص او الازمان او تجزئة الاجزاء فكل ذلك متناه بعدده اذا خرج وهكذا ابدا واما ما لم
يخرج الى حد الفعل بعد من شخص او زمان او تجزي فليس شيئا ولا هو عددا ولا معدودا ولا يقع عليه عدد
ولا هو شخص بعد ولا زمان ولا جزء وكل ذلك عدم وانما يكون جزء اذا جزىء بقطع او برسم مميز لا قبل
ان يجزء وبهذا تتبين غثاثة سؤالهم في ايما اكثر اجزاء الخردلة او اجزاء الجبل او اجزاء الخردلتين لان الجبل
اذا لم يجزأ والخردلة اذا لم تجزأ والخردلتان اذا لم تجزآ فلا اجزاء لها اصلا بعد بل الخردلة جزء واحد والجبل جزء
واحد والخردلتان كل واحدة منهما جزء فاذا قسمت الخردلة على سبعة اجزاء وقسم الجبل جزاين وقسمت
الخردلتان جزئين جزئين فالخردلة الواحدة بيقين اكثر من اجزاء من الجبل والخردلتين لانها صارت سبعة
اجزاء ولم يصر الجبل والخردلتان الا ستة اجزاء فقط فلو قسمت الخردلة ستة اجزاء لكانت اجزاؤها واجزاء
الجبل والخردلتين سواء ولو قسمت الخردلة خمسة أجزاء وكانت اجزاء الجبل والخردلتين اكثر من اجزاء
الخردلة وهكذا في كل شيء فصح انه لا يقع التجزي في شيء الا اذا قسم لا قبل ذلك فان كانوا يريدون في ايهما
يمكننا التجزئة اكثر في الجبل والخردلتين ام في الخردلة الواحدة فهذا ما لا شك فيه ان التجزي امكن لنا في
الجبل وفي الخردلتين منه في الخردلة الواحدة لان الخردلة الواحدة عن قريب تصغر اجزاؤها حتى لا نقدر نحن على
قسمتها ويتمادى لنا الامر في الجبل كثيرا حتى انه يفنى عمر احدنا قبل ان يبلغ تجزئته الى اجزاء تدق عن قسمتنا واما
قدرة الله عز وجل على قسمة ما عجزنا نحن عن قسمته من ذلك فباقية غير متناهية وكل ذلك عليه هين سواء ليس بعضه
اسهل عليه من بعض بل هو قادر على قسمة الخردلة ابدا بلا نهاية وعلى قسمة الفلك كذلك ولا فرق وبالله تعالى التوفيق
ونزيد بيانا فنقول ان الشيء قبل ان يجزأ فليس متجزئا فاذا جزء بنصفين او جزئين فهو جزآن فقط فاذا جزء على ثلاثة
اجزاء فقط فهو ثلاثة اجزاء وهكذا ابدا واما من قال او ظن ان الشيء قبل ان ينقسم وقبل ان يتجزأ انه منقسم بعد
ومتجزىء بعد فوسواس وظن كاذب لكنه محتمل الانقسام والتجزي وكل ما قسم وجزئ فكل جزء ظهر منه فهو معدود
متناه وكذلك كل جسم فطوله وعرضه متناهيان بلا شك والله تعالى قادر على الزيادة فيهما
أبدا بلا نهاية الا ان كل ما زاده تعالى في ذلك واخرجه الى حد الفعل فهو متناه ومعدود ومحدود وهكذا
ابدا وكذلك الزيادة في أشخاص العالم وفي العدد فان كل ما خرج الى حد الفعل من الاشخاص ومن الاعداد
فذو نهاية والله تعالى قادر على الزيادة في الاشخاص ابدا بلا نهاية والزيادة في العدد ممكنة ابدا بلا نهاية الا
ان كل ما خرج من الاشخاص والاعداد الى الفعل صحبته النهاية ولا بد ثم نعكس هذا السؤال عليهم فنقول

لهم وبالله تعالى التوفيق انفضل عندكم قدرة الله تعالى على قسمة الجبل على قدرته على قسمة الخردلة وهل تاتى حال يكون الله فيها قادرا على قسمة أجزاء الجبل غير قادر على قسمة اجزاء الخردلة ام لا فان قالوا بل قدرة الله تعالى على قسمة الجبل اتم من قدرته على قسمة الخردلة واقروا بانه تاتي حال يكون الله تعالى فيها قادرا على قسمة اجزاء الجبل غير قادر على قسمة اجزاء الخردلة كفروا وعجزوا ربهم وجعلوا قدرته محدثة متفاضلة متناهية وهذا كفر مجرد وان ابوا من هذا وقالوا ان قدرة الله تعالى على قسمة الجبل والخردلة سواء وانه لا سبيل الى وجود حال يقدر الله تعالى فيها على تجزئة اجزاء الجبل ولا يقدر على تجزئة اجزاء الخردلة صدقوا ورجعوا الى قولنا الذى هو الحق وما عداه ضلال وباطل والحمد لله رب العالمين * والاعتراض الخامس هو ان قالوا هل لاجزاء الخردلة كل أم ليس لها كل وهل يعلم الله عدد اجزائها ام لا يعلمه * فان قلتم لا كل لها نفيتم النهاية عن المخلوقات الموجودات وهذا كفر وان قلتم ان الله تعالى لا يعلم عدد اجزائها كفرتم وان قلتم ان لها كلا وان الله تعالى يعلم اعداد اجزائها اقررتم بالجزء الذى لا يتجزأ (قال أبو محمد) وهذا تمويه لائح ينبغى التنبيه عليه لئلا يجوز على أهل الغفلة وهو أنهم أقحموا لفظة كل حيث لا يوجد كل وسالوا هل يعلم الله تعالى عدد مالا عدد له وهم فى ذلك كمن سال هل يعلم الله تعالى عدد شعر لحية الاحلس أم لا وهل يعلم جميع أولاد العقيم أم لا وهل كل حركات أهل الجنة والنار ام لا فهذه السؤالات كسؤالهم ولا فرق * وجوابنا فى ذلك كله ان الله عز وجل انما يعلم الاشياء على ما هي عليه لا على خلاف ما هى عليه لان من علم الشىء على ما هو عليه فقد علمه حقا وأما من علم الشىء على خلاف ما هو عليه فلم يعلمه بل جهله وحاشا لله من هذه الصفة فما لا كل له ولا عدد له فانما يعلمه الله عز وجل ان لا عدد له ولا كل وما علم الله عز وجل قط عددا ولا كلا الا لما له عدد وكل لا لما لا عدد له ولا كل وكذلك لم يعلم الله عز وجل قط عدد شعر لحية الاطلس ولا علم قط ولد العقيم فكيف ان يعرف لهم كلا وكذلك لم يعلم الله عز وجل قط عدد أجزاء الجبل ولا الخردلة قبل ان يجزآ لانهما لا اجزاء لهما قبل التجزئة وانما علمهما غير متجزئين وعلمهما محتملين للتجزى فاذا جزئا علمهما حينئذ متجزئين وعلم حينئذ عدد اجزائهما ولم يزل تعالى يعلم انه يجزىء كل ما لا يتجزء ولم يزل يعلم عدد الاجزاء التى لا تخرج فى المستانف الى حد الفعل ولم يزل يعلم عدد ما يخرج من الاشخاص بخلقه فى الابد الى حد الفعل او لم يزل يعلم انه لا أشخاص زائدة على ذلك ولا اجزاء لما لم ينقسم بعد وكذلك ليس للخردلة ولا للجبل قبل التجزى اجزاء اصلا واذ ذلك كذلك فلا كل هاهنا ولا بعض فهذا بطلان سؤالهم والحمد لله رب العالمين ثم نعكس عليهم هذا السؤال فنقول لهم وبالله تعالى التوفيق اخبرونا عن الشخص الفرد من خردلة او وبرة او شعرة او غير ذلك اذا جزآنا كل ذلك جزئين او اكثر متى حدثت الاجزاء احين جزئت ام قبل ان يجزء فان قالوا قبل ان يجزء ناقضوا اصح مناقضة لانهم اقروا بحدوث اجزاء كانت قبل حدوثها وهذا سخف وان قالوا انما حدثت لها الاجزاء حين جزئت لا قبل ذلك سالناهم متى علمها الله تعالى متجزئة حين حدث فيها التجزى ام قبل ان يحدث فيها التجزي فان قالوا بل حين حدث فيها التجزى صدقوا وأبطلوا قولهم فى أجزاء الخردلة وان قالوا بل علم انها متجزئة وان لها اجزاء قبل حدوث التجزى فيها جهلوا ربهم تعالى اذ اخبروا انه يعلم الشيء بخلاف ما هو عليه ويعلم اجزاء لما لا اجزاء له وهذا ضلال وبالله تعالى التوفيق

(قال ابو محمد) هذا كل ما موهوا به لم ندع لهم منه شيئا الا وقد اوردناه وبينا انه كله لا حجة لهم فى شىء منه وانه كله عائد عليهم وحجة لنا والحمد لله رب العالمين ثم نبتدىء بحول الله تعالى وقوته بايراد البراهين الضرورية على ان كل جسم فى العالم فانه متجزىء محتمل للتجزئة وكل جزء من جسم فهو أيضا جسم محتمل

للتجزى

للتجزى وهكذا ابدا و بالله تعالى تتأيد

(قال ابو محمد) يقال لهم و بالله تعالى نستعين اخبرونا عن هذا الجزء الذى قلتم انه لا يتجزى أهو فى العالم أم ليس فى العالم ولا سبيل الى قسم ثالث فان قالوا ليس هو فى العالم صدقوا و أبطلوه الا انهم يلزمهم قول فاحش وهو انهم يقولون ان جميع العالم مركب من اجزاء لا تتجزأ والكل ليس هو شيئا غير تلك الاجزاء فان كانت تلك الاجزاء ليست فى العالم فالعالم عدم ليس فى العالم وهذا تخليط كاترى وان قالوا بل هو فى العالم قلنا لهم لا يخلو ان كان فى كرة العالم من ان يكون اما قائما بنفسه حاملا واما ان يكون محمولا غير قائم بنفسه لا بد ضرورة من احد الامرين اذ ليس العالم كله الا على هذين القسمين فان كان محمولا غير قائم بنفسه فهو عرض من الاعراض وان كان حاملا قائما بنفسه ذا مكان فهو جسم وثم يقال لهم اخبرونا عن الجزء الذى ذكرتم انه لا يتجزأ وهو على قولكم فى مكان لانه بعض من ابعاض الجسم هل الملاقى منه للمشرق هو الملاقى للمغرب ام غيره وهل المحازى منه للسماء هو المحازي منه للارض أم هو غيره فان قالوا كل ذلك واحد والملاقى منه للمشرق هو الملاقى منه للمغرب والمحازى منه للسماء هو المحازى منه للارض أتوا باحدي العظائم وجعلوا جهة المشرق منه هي جهة المغرب وجعلوا السماء والارض منه فى جهة واحدة وهذا حمق لا يبلغه الا الموسوس ومكابرة للعيان لا يرضاها لنفسه سالم البنية وان قالوا بل الملاقى منه للمشرق هو غير الملاقى منه للمغرب وان السماء والارض منه فى جهتين متقابلتين فوق وأسفل صدقوا وهكذا جهة الجنوب والشمال فاذ ذلك كذلك بلا شك فقد صح انه ذو جهات ست متغايرة وهذا اقرار منهم بانه ذو اجزاء اذ قطعوا بان الملاقي منه للمغرب غير الملاقى منه للمشرق ومن للتبعيض وبطل قولهم من قرب والحمد لله رب العالمين

(قال ابو محمد) فان ارادوا الزامنا مثل هذا فى العرض قلنا ليس للعرض جهة ولا له مكان ولا يقوم بنفسه ولا يحاذى شيئا وانما يحاذى الاشياء حامل العرض لا العرض اذ لو ارتفع العرض لبقى حامله مالئا لمكانه كما كان محاذيا من جميع جهاته ما كان يحاذى حين حمله للعرض سواء سواء ولو ارتفع فى قولكم الجزأ الذى لا يتجزأ لبقى مكانه خاليا منه وقد اوضحنا ان عرضين واعراضا تكون فى جسم واحد فى جهة واحدة منه وهم لا يختلفون فى ان جزئين كل واحد منهما لا يتجزأ فلا يمكن البتة ان يكونا جميعا فى مكان واحد بل لكل واحد منهما عندهم مكانا غير مكان الآخر و برهان آخر وهو انهم يقولون ان الجزء الذى لا يتجزأ لا طول له ولا عرض ولا عمق فنقول لهم و بالله تعالى التوفيق اذا اضفتم الى الجزء الذى لا يتجزأ عندكم جزأ آخر مثله لا يتجزأ أليس قد حدث لهما طول فلا بد من قولهم نعم لا يختلفون فى ذلك ولو انهم قالوا لا يحدث لهما طول لزمهم مثل ذلك فى اضافة جزء ثالث ورابع وا كثر حتى يقولوا ان الاجسام العظام لا طول لها و يحصلوا فى مكابرة العيان فنقول لهم اذا قلتم ان جزأ لا يتجزأ لا طول له اذا ضم اليه جزء آخر لا يتجزأ ولا طول له فيهما يحدث له طول فقولوا لنا هل يخلو هذا الطول الحادث عندكم من احد الثلاثة اوجه لا رابع لها اما ان يكون هذا الطول لاحدهما دون الاخر اولا لواحد منهما او لكليهما فان قلتم ليس هذا الطول لهما ولا لواحد منهما فقد ارجبتم طولا لا لطويل وطولا قائما بنفسه والطول عرض والعرض لا يقوم بنفسه وصفة والصفة لا يمكن ان توجد الا فى موصوف بها ووجود طول لا لطويل بل مكابرة ومحال وان قلتم ان ذلك الطول هو لاحد الجزئين دون الاخر فقد احلتم واتيتم بما لا شك بالحس وضرورة العقل فى بطلانه ولزمكم ان الجزء الذى لا يتجزأ له طول واذا كان له طول فهو بلا شك يتجزأ وهذا ترك منكم لقولكم مع انه ايضا محال لانه يجب من هذا انه يتجزى ولا يتجزي وان قلتم ان ذلك الطول للجزئين معا صدقتم واقررتم بالحق فى ان كل جزء منهما فله حصته من الطول والحصة من الطول طول بلا شك واذا كان كل واحد منهما له طول فكل واحد منهما يتجزا وهذا خلاف قولكم انه لا يتجزى وهذا

الآخر وبالله تعالى التوفيق برهان آخر

برهان ضروري أيضاً لامحيد عنه وبالله تعالى التوفيق برهان آخر
(قال ابو محمد) ونقول لهم أيما أطول جزآن لايتجزأ كل واحد منهما وقد ضم أحدهما الى الآخر أم أحدهما غير مضموم الى الآخر فلايجوز ان يقول أحد الا ان الجزئين المضمومين أطول من أحدهما غير مضموم الى الآخر فاذ ذلك كذلك فن المحال الممتنع الباطل ان يقال في شيء هذا أطول من هذا الا وفي الآخر طول دون طول ماهو أطول منه وقد صح ضرورة ان الطول موجود لكل جزء قالوا فيه انه لايتجزأ واذا كان له طول فهو منقسم بلا خلاف من أحد مناومنهم وهكذا القول في عرضهما ان ضم أحدهما الى الآخر وفي عمقهما كذلك ولابد من ان يكون لكل واحد منهما حصة من العرض والعمق واذ ذلك كذلك ضرورة فكل جزء قالوا فيه انه لايتجزى فلابد من ان يكون له طول وعرض وعمق واذ ذلك كذلك فهو جسم يتجزأ ولا بد وهذا أيضا برهان ضروري لامحيد عنه وبالله تعالى التوفيق * وقد رام أبو الهذيل التخلص من هذا الالزام فبعد ذلك عليه لانه رام محالا فقال ان الطول الحادث للجزئين عند اجتماعهما انما هو كالاجتماع الحادث لهما ولم يكن لهما ولا لاحدهما اذ كانا منفردين

(قال ابو محمد) وهذا تمويه ظاهر لان الاجتماع هو ضم أحدهما الى الآخر نفسه ليس هو شيئا آخر ولم يكونا قبل الضم والجمع مضمومين ولامجتمعين وليس معنى الطول والعرض والعمق كذلك بل هو شيء آخر غير الضم والجمع وانما هو صفة للطويل مضموما كان الى غيره اوغير مضموم ولايوجب الجمع والضم طولا لم يكن واجبا قبل الضم والجمع فلم يزد ابو الهذيل على ان قال لما اجتمعا صارا مجتمعين وصارا طويلين وهذه دعوى فاسدة ونظر منحل لان قوله لما اجتمعا صارا مجتمعين صحيح لاشك فيه وقوله وصارا طويلين دعوى مجردة من الدليل جملة وماكان هكذا فهو باطل وأيضا فان الاجتماع لما حدث بينهما بطل معنى آخر كان موجوداً فيهما وهو الافتراق الذي هو ضد الاجتماع فاخبرونا اذا حدث الطول بزعمكم فاي شيء هو المعنى الذي ذهب بوجود الطول وعاقبة الطول ولاسبيل لهم الى وجوده فصح ان الطول كان موجودا في كل جزء على انفراده وكذلك العرض والعمق ثم لما اجتمعا زاد الطول والعرض والعمق وهكذا أبدا وبالله تعالى التوفيق وهذا هو الذي تشهد له الحواس والمشاهدة والعقل والحمد لله رب العالمين * وبرهان آخر وهو ان الجرم ان كان أحمر فكل جزؤ من أجزائه أحمر بلا شك فان قالوا ليس أحمر فله أخضر أو أصفر أو غير ذي لون وهذا عين المحال لان الكل قدبينا انه ليس هو شيئا غير أجزائه ولو كان لون أجزائه غير لونه كله لكان لونه غير لونه وهذا محال فاذ لاشك فيما ذكرنا فالجزؤ الذي يدعون انه لايتجزأ هو ذو لون بلاشك واذ هو ذو لون فهو جسم لا يعقل غير ذلك فهو يتجزى

(قال ابو محمد) وقالت الاشعرية ههنا كلاما ظريفا وهو انهم قالوا هو ذو لون واحد

(قال أبو محمد) كل ملون فهو ذو لون واحد لاذو ألوان كثيرة الا ان يكون أبلق اوموشى برهان آخر ان وجود شيء في العالم قائم بنفسه ليس جسما ولاعرضا ولا قابلا للتجزيء ولاطول له ولاعرض ولاعمق فهو محال ممتنع اذ هذا المذكور ليس شيئا غير الباري تعالى وجل تعالى ان يكون له في العالم شبه وبهذا بان عز وجل عن مخلوقاته ولم يكن له كفوا احد وليس كمثله شيء برهان اخر

(قال ابو محمد) كل شيء يحتمل ان يكون له اجزاء كثيرة فبالضرورة ندري انه يحتمل ان يجزأ الى اقل منها هذا مالا تختلف العقول والاحساس فيه كشيء احتمل ان يقسم على اربعة اقسام فلاشك انه يحتمل ان يقسم على ثلاثة وعلى اثنين وهكذا في كل عدد دون عدد فمن دافع في هذا فانما يدفع الضرورة ويكابر العقل والمواقت خطا من ثلاثة أجزاء كل جزء منها

لا يتجزأ على قولهم أو يعمل ذلك الخط من عشرة أجزاء وكذلك من الف جزء كذلك او مما زاد فانه لا يختلف احد فى ان الخط الذى هو من ثلاثة اجزاء فانه ينقسم اثلاثا فى موضعين وان الذى هو اربعة اجزاء فانه ينقسم ارباعا فى ثلاثة مواضع وان الذى من الف جزؤ فانه ينقسم اعشارا وبنصفين واذ لاشك فى هذا فبيقين لا محيد عنه يدرى كل ذي حس سليم ولو انه عالم اوجاهل ان ما انقسم اثلاثا فانه ينقسم نصفين مستويين وما انقسم ارباعا فانه ينقسم اثلاثا مستوية وان ما كان من الخطوط فله اعشار واخماس ونصف واثلاث واسداس واسباع متساوية فاذ لاشك فى هذا فان القسمة لابد ان تقع فى نصف جزء منها اوفي اقل من نصفه فصح ان كل جسم فهو يتجزأ ضرورة وان الجزء الذى لا يتجزء باطل معدوم من العالم وهذا مالا مخلص لهم منه وبالله تعالى التوفيق * برهان آخر

(قال أبو محمد) بلا شك نعلم ان الخطين المستقيمين المتوازيين لا يلتقيان أبدا ولو مدا عمر العالم ابدا بلا نهاية وانك ان مددت من الخط الاعلى الي الخط المقابل له خطين مستقيمين متوازيين قام منهما مربع بلاشك فاذا اخرجت من زاوية ذلك المربع خطا منحدرا من هنالك الى الخط الاسفل فان تلك الخطوط المخرجة من الضلع الذى ذكرنا وتلك الخطوط المخرجة من الزواية لا تمر مع الخط الاعلى ابدا لانها غير موازية له فاذ ذلك كذلك فذلك الضلع منقسم ابدا لابد ما اخرجت الخطوط بلانهاية * برهان آخر

(قال أبو محمد) وبالضرورة ندرى ان كل مربع متساوي الاضلاع فان الخط القاطع من الزاوية العليا الى الزاوية السفلي التى لا يوازيها يقوم منه فى المربع مثلثان متساويان وانه لاشك أطول من كل ضلع من أضلاع ذلك المربع على انفراده فنسألهم عن مائة جزء لا تتجزأ رتبت متلاصقة عشرة عشرة فبالضرورة نجد فيها ماذكرنا فبيقين نعلم حينئذ أن كل جزء من الاجزاء المذكورة لولا أن له طولا وعرضا لما كان الخط المار بها القاطع المربع القائم منها على مثلثين متساويين أطول من الخط المار بكل جهة من جهات ذلك المربع على استواء وموازاة للخطوط الاربعة المحيطة بذلك المربع وهو أطول منه بلاشك فصح ضرورة أن لكل جزء منها طولا وعرضا وأن ماله طول وعرض فهو متجزء بلاشك فصح أيضا بما ذكرنا أن كل جزء مر عليه الخط المذكور فقد انقسم * برهان آخر وأيضا فاننا لو اقمنا خطا من أجزاء لا تتجزأ على قولهم مستقيما ثم أدرناه حتى يلتقى طرفاه ويصير دائرة فبالضرورة يدري كل ذى حس سليم ان الخط اذا أدير حتى يلتقي طرفه فان ما قابل من أجزائه مركز الدائرة أضعف مما قابل منها خارج الدائرة فاذ ذلك كذلك فهذا لازم فى هذا الخط المدار بلاشك واذ لاشك فى هذا فقد فضل من أحد طرفي الجزء الذى لا يتجزأ عندهم فضلة على طرفه الآخر وهكذا كل جزء من تلك الاجزاء بلا شك فصح ضرورة أنه يحتمل الانقسام ولابد وبالله تعالى التوفيق * برهان آخر نسألهم عن دائرة قطرها أحد عشر جزءا لا يتجزأ كل واحد منها عندهم أو أى عدد شئت على الحساب فاذا أردنا أن نقسمها بنصفين على السواء ولا خلاف فى أن هذا ممكن فبالضرورة ندرى أن الخط القاطع على قطر الدائرة من المحيط الى ما قابله من المحيط مارا على مركزها لا يقع البتة الا فى انصاف تلك الاجزاء فصح ضرورة أنها تتجزأ ولو لم يمر ذلك الخط على أنصافها لما انقسمت الدائرة بنصفين وبالله تعالى التوفيق * وبرهان آخر وهو أن نسألهم عن الجزء الذى لا يتجزأ الذى يحققونه اذا وضع على سطح زجاجة ملساء مستوية هل له حجم زائد على سطحها أم لا حجم له زائد على سطحها فان قالوا لا حجم له زائد على سطحها أعدموه ولم يجعلوا له مكانا

ولا جعلوه متمكنا أصلا فنسألهم عن جزئين جملا كذلك فلا بد من قولهم ان لهما حجما فنسألهم عن ذلك الحجم ألهما معا أم لاحدهما في ذلك قالوا أثبتوا ولا بد الحجم لهما وللجزء الذي هو احدهما واذا كان للجزء الذي لا يتجزأ حجم زائد فالذي لا شك فيه أن له ظلا واذا صح يقينا ان له ظلا فلا شك في ان الظل يزيد وينقص ويمتد ويتقاص ويذهب اذا سامته الشمس فاذ ذلك كذلك فبيقين ندري ان ظله ينقص حتى يكون اقل من قدره واذ ذلك فقد ظهر ووجب ان له تجزيا ومقدارا متبعضا وبرهان آخر وهو اننا نسألهم عن جزؤ لا يتجزأ من الحديد أو من الذهب وجزؤ لا يتجزأ من خيط قطن هل تماثلا ووزنهما سواء أم الذي من الذهب أو الحديد أثقل من الذي من القطن فان قالوا تماثلا ووزنهما سواء كابروا لزومهم هذا في ألف جزؤ كذلك من الذهب انهما ليستا أثقل من ألف جزؤ من القطن مجتمعة كانت الاجزاء أو متفرقة وهذا جنون ومكابرة وان قالوا بل الذي من الذهب اوزن واثقل صدقوا وأوجبوا ان له تجزيا بتفاضل الوزن ضرورة ولا بد

﴿قال أبو محمد﴾ فهذه براهين ضرورية قاطعة بان كل جزء فهو يتجزأ ابدا بلا نهاية وان جزءا لا يتجزأ ليس في العالم اصلا ولا يمكن وجوده بل هو من المحال الممتنع وبالله تعالى التوفيق

﴿قال أبو محمد﴾ أما ابو الهذيل فخلط في هذا الباب وحق لمن رام نصر الباطل ان يخلط فقال ان الجزء الذي لا يتجزأ ذو حركة وسكون يتعاقبان عليه وانه يشغل مكانا لا يسع فيه معه غيره وانه اقرب الى السماء من مكانه الذي هو عليه من الارض وهذا غاية التناقص اذ ما كان هكذا فله مساحة بلا شك وهو ذو جهات ست المساحة أجزاء من نصف وثلث واقل وأكبر وما كان ذا جهات فالذي منه في كل جهة غير الذي منه في الجهة الاخرى بلا شك وما كان هذا فهو محتمل للتجزي بلا شك وما عدا هذا فوسواس نعوذ بالله منه

(قال أبو محمد) في تخليطهم هذا اختلافا ظريفا أيضا اجمعوا انه اذا ضم جزؤ ولا يتجزء الى جزؤ لا يتجزأ صار اثنين فقد حدث لهما طول ثم اختلفوا متى يصير جسما له طول وعرض وعمق فقال بعضهم اذا صار جزئين صار جسما وهو قول الاشعرية وقال بعضهم اذا صارا أربعة أجزاء وقال بعضهم بل اذا صارا ستة أجزاء واتفقوا على انه اذا صار ثمانية أجزاء فقد صار جسما له طول وعرض وعمق وكل هذا تخليط ناهيك به وجهل شديد كان الاولى باهله ان يتعلموا قبل ان يتكلموا بهذه الحماقات برهان ذلك أنهم لم يختلفوا أنهم اذا صفوا أربعة أجزاء لا يتجزأ وتحتها أربعة أجزاء لا يتجزأ فانه قد صار عندهم الجميع من هذه الاجزاء جسما طويلا عريضا عميقا

﴿قال أبو محمد﴾ وهذا الذي طبت نفوسهم عليه وأنست عقولهم اليه في الثمانية وسهل على بعضهم دون بعض في ثلاثة اجزاء تحتها ثلاثة أجزاء أو في جزئين تحتها جزآن ومنعوا كلهم من ذلك في جزؤ على جزؤ حاشا الاشعرية فانه بعينه موجود على اصولهم المخذولة واقوالهم المرذولة في جزؤ على جزؤ على جزؤ سواء سواء بعينه وذلك ان أربعة أجزاء على اربعة أجزاء فانما الحاصل منها جزء على جزء فقط من كل جهة فاذا جعلوا الاربعة على الاربعة طولا فانما جعلوه في جزؤ الى جنب جزؤ كذلك فعلوا في العرض وكذلك فعلوا في العمق واذا هو كذلك والطول عندهم يوجد في جزء الى جنب جزء والعرض يوجد جنب الطول لان العرض لا يكون أكثر من الطول أصلا والعمق موجود فيهما أيضا فظهر ان لكل جزء منها طولا وعرضا وعمقا ومكانا وجهات ووجب ضرورة بهذا انه يتجزأ ولاح جهلهم وخطبهم وبالله تعالى التوفيق

﴿قال أبو محمد﴾ فاذا قد بطل قولهم فى الجزء الذى لا يتجزأ وفى كل ما أوجبوه انه جوهر لا جسم ولا عرض فقد صح ان العالم كله حامل قائم بنفسه ومحمول لا يقوم بنفسه ولا يمكن وجود أحدهما متخليا فالمحمول هو العرض والحامل هو الجوهر وهو الجسم سمه كيف شئت ولا يمكن فى الوجود غيرهما وغير الخالق لهما تعالى وبالله تعالى التوفيق

﴿قال أبو محمد﴾ وقال هؤلاء الجهال ان العرض لا يبقى وقتين وانه لا يحمل عرضا

﴿قال أبو محمد﴾ وقد كلمناهم فى هذا وتقربنا كتبهم فما وجدنا لهم حجة فى هذا أصلا أكثر من ان بعضهم قال لو بقى وقتين لشغل مكانا

﴿قال أبو محمد﴾ وهذه حجة فقيرة الى حجة ودعوى كاذبة نصر بها دعوى كاذبة ولا عجب أكثر من هذا ثم لو صحت لهم للزمهم هذا بعينه فيما جوزوه من بقاء العرض وقتا واحدا ويقال لهم ما الفرق بينكم وبين من قال لو بقى العرض وقتا واحدا لشغل مكانا وبيقين يدرى كل ذى حس سليم انه لا فرق فى اقتضاء المكان بين بقاء وقت واحد وبين بقاء وقتين فصاعدا فان أبطلوا بقاءه وقتا لزمهم انه ليس باقيا أصلا واذا لم يكن باقيا فليس موجودا أصلا واذ لم يكن موجودا فهو معدوم فحصلوا من هذا التخليط على نفى الاعراض ومكابرة العيان ويقال لهم ما الفرق بينكم وبين من قال بل يبقى وقتين ولا يبقى ثلاثة أوقات اذ لو بقى ثلاثة أوقات لشغل مكانا وكل هذا هوس وليس من أجل البقاء وجب اقتضاء الباقي المكان لكن من أجل انه طويل عريض عميق فقط ولا مزيد وقد قال بعضهم ان الشيء فى حين خلق الله تعالى له ليس باقيا ولا فانيا وهذه دعوى فى الحمق كما سلف لهم ولا فرق وهى مع ذلك لا تعقل ولا يتمثل فى الوهم ان يكون فى الزمان أو فى العالم شيء موجود ليس باقيا ولا فانيا

﴿قال أبو محمد﴾ ولا عجب أعجب من حمق من قال ان بياض الثلج وسواد القار وخضرة البقل ليس شيء منها الذى كان آنفا بل يفنى فى كل حين ويستعيض ألف ألف بياض وأكثر وألف ألف خضرة وأكثر هذه دعوى عارية من الدليل الا انها جمعت السخف مع المكابرة

﴿قال أبو محمد﴾ والصحيح من هذا هو ما قلناه من قولنا ان الاعراض تنقسم أقساما فمنها ما لا يزول ولا يتوهم زواله لانفساد ما هو فيه لو أمكن ذلك كالصورة الكلية أو كالطول والعرض والعمق ومنها ما لا يزول ولا يتوهم زواله الا بانفساد حامله كالاسكار فى الخمر ونحو ذلك فانها ان لم تكن مسكرة لم تكن خمرا وهكذا كل صفة يحدها ما هى عليه ومنها ما لا يزول الا بفساد حامله الا انه لو توهم زائلا لم يفسد حامله كزرق الازرق وفطس الافطس فلو زالا لبقى الانسان انسانا بحسبه ومنها ما يبقى مددا طوالا وقصارا وربما زايل ما هو فيه كسواد الشعر وبعض الطعوم والخشونة والاملاس فى بعض الاشياء والطيب والنتن فى بعضها والسكون والعلم وكبعض الالوان التى تستحيل ومنها ما يسرع الزوال كحمرة الخجل وكدرة الهم وليس من الاعراض شيء يفنى بسرعة حتى لا يمكن ان يضبط مدة بقائه الا الحركة فقط على انها بضرورة العقل والحس ندرى ان حركة الجزء من الفلك التى تقطع الفلك بنصفين من شرق الى غرب أسرع من حركة الجزء منه الذى حوالى القطبين لان كل هذين الجزأين يرجع الى مكانه الذى بدأ منه فى أربع وعشرين ساعة وبين دائرتيهما فى الكبر ما لا يكون مساحة خط دائرة أو خط مستقيم أكثر منه فى العالم وبيقين يدرى ان حركة المذعورة في طيرانها أسرع من حركة السلحفاة فى مشيها وان حركة المنساب فى الحدور أسرع من حركة الماء الجارى في مسيل النهر وان حركة العصر في الجرى أسرع من حركة الماشى نصح يقينا ان خلال الحركات أيضا

بقاء اقامة يتفاضل فى مدته لان الحركات كلها انما هى نقلة من مكان الى مكان فلامتحرك مقابلة ولابد لكل جرم مر عليه ففى تلك المقابلات يكون التفاضل فى السرعة أوفي البطيء الا أنه لايحس أجزاؤه ولا تضبط دقائقه الا بالعقل فقط الذى به يعرف زيادة الظل والشمس ولايدرك ذلك بالحس الا اذا اجتمعت منه جملة ما فانه حينئذ يعرف بحس البصر كما لايدرك بالحواس نماء النامى الا اذا اجتمعت منه جملة ما وكما يعرف بالعقل لا بالحس ان لكل خردلة جزءاً من الانقال فلايحس الا اذا اجتمعت منه جملة ما وكذلك الشبع والري وكثير من أعراض العالم فتبارك خالق ذلك هو الله أحسن الخالقين وأما قولهم ان العرض لا يحمل العرض فكلام فاسد مخالف للشريعة وللطبيعة وللعقل وللحواس ولاجماع جميع ولد آدم لاننا لا نختلف فى أن نقول حركة سريعة وحركة بطيئة وحمرة مشرقة وخضرة أشد من خضرة وخلق حسن وخلق مسيء وقال تعالى * ان كيدهن عظيم * وقال تعالى * فصبر جميل * وحسبك فسادا بقول أدى الى هذا ومن أحال على العيان والحس والمعقول وكلام الله تعالى فقد فاز قدحه وخسرت صفقة من خالفه

(قال أبو محمد) ولسنا نقول ان عرضا يحمل عرضا الى ما لانهاية له بل هذا باطل ولكن كما وجد وكما خلق البارى تعالى ماخلق ، لامزيد وما عدا هذا فرقة دين وضعف عقل وقلة حياء ونعوذ بالله من هذه الثلاث وحسبنا الله ونعم الوكيل ولاحول ولاقوة الا بالله العلى العظيم

﴿ الكلام فى المعارف ﴾

(قال أبو محمد) اختلف الناس فى المعارف فقال قائلون المعارف كلها باضطرار اليها وقال آخرون المعارف كلها باكتساب لها وقال آخرون بعضها باضطرار و بعضها باكتساب

(قال أبو محمد) والصحيح فى هذا الباب ان الانسان يخرج الى الدنيا ليس عاقلا لامعرفة له بشيء كما قال عز وجل * والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لاتعلمون شيئا

(قال أبو محمد) فحركاته كلها طبيعية كأخذه الثديين حين ولادته وتصرفه، تصرف البهائم على حسبها فى تألمها وطربها حتى اذا كبر وعقل وتقوت نفسه الناطقة وأنست بما صارت فيه وسكنت اليه وبدت رطوباته تجف بدأت بتمييز الامور فى الدار التى صارت فيها فيحدث الله تعالى لها قوة على التفكر واستعمال الحواس في الاستدلال وأحدث الله تعالى لها الفهم بما تشاهد وماتخبر به فطريقه الى بعض المعارف اكتساب فى أول توصله اليها لانه باول فهمه ومعرفته عرف ان الكل أكثر من الجزء وان جسما واحدا لا يكون فى مكانين وانه لا يكون قاعداً قائما معا وهو ان لم يحسن العبارة عن ذلك فان أحواله كلها تقتضى تيقنه كل ماذكرنا وعرف أولا صحة ماأدرك بحواسه ثم انتجت له بعد ذلك سائر المعارف بمقدمات راجعة الى ماذكرنا من قرب أو بعد فكل ماثبت عندنا ببرهان وان كان بعيد الرجوع الى ماذكرنا فمعرفة النفس به اضطرارية لانه لورام جهده أن يزيل عن نفسه المعرفة بما ثبت عنده هذا الثبات لم يقدر فاذ هذا لاشك فيه فالمعارف كلها باضطرار اذ مالم يعرف بيقين فانما يعرف بظن وماعرف ظنا فليس علماً ولامعرفة هذا مالاشك فيه الا ان يتطرق الى طلب البرهان بطلب وهذا الطلب هو الاستدلال ولوشاء أن لا يستدل لقدر على ذلك فهذا الطلب وحده هو الاكتساب فقط وأما ما كان مدركا باول العقل وبالحواس فليس عليه استدلال أصلا بل من قبل هذه الجهات يهتدى كل أحد بالاستدلال وبالرد الى ذلك فيصح استدلاله أو يبطل وحد العلم بالشيء وهو المعرفة به أن نقول العلم والمعرفة اسمان واقعان على معنى واحد وهو اعتقاد الشيء

على

على ماهو عليه وتيقنه به وارتفاع الشكوك عنه ويكون ذلك امابشهادة الحواس وأول العقل واما ببرهان راجع من قرب أو من بعد الى شهادة الحواس أو أول العقل واما باتفاق وقع له فى مصادفة اعتقاد الحق خاصة بتصديق ما افترض الله عز وجل عليه اتباعه خاصة دون استدلال وأما علم الله تعالى فليس محدودا أصلا ولا يجمعه مع علم الخالق حد فلا جنس ولا شيء أصلا وذهبت الاشعرية الى أن علم الله تعالى واقع مع علمنا تحت حد واحد

(قال أبو محمد) وهذا خطأ فاحش اذمن الباطل أن يقع مالم تزل النهايات وعلم الله تعالى ليس هو غير الله تعالى على ما بينا قبل وبالله تعالى التوفيق

(قال أبو محمد) قالت طوائف منهم الاشعرية وغيرهم من اتفق له اعتقاد شيء على ماهو به عن غير دليل لكن بتقليد او تميل بارادته فليس عالما به ولا عارفا به ولكنه معتقد له وقالوا كل علم ومعرفة اعتقاد وليس كل اعتقاد علما ولا معرفة لان العلم والمعرفة بالشيء انما يعبر بهما عن تيقن صحته قالوا وتيقن الصحة لايكون الا ببرهان قالوا وما كان بخلاف ذلك فانما هو ظن ودعوى لا تيقن بها اذ لوجاز ان يصدق قول بلا دليل لما كان قول اولى من قول ولكانت الاقوال كلها صحيحة على تضادها ولو كان ذلك لبطلت الاقوال ولبطلت الحقائق كلها لان كل قول يبطل كل قول سواه فلو صحت الاقوال كلها ابطلت كلها لانه لو كان يكون كل قول صادقا فى ابطاله ماعداه

(قال أبو محمد) فنقول وبالله تعالى التوفيق ان التسمية والحكم ليس الينا وانما هما الى خالق اللغات وخالق الناطقين بها وخالق الاشياء ومرتبها كما شاء لا اله الا هو قال عز وجل منكرا على من سمي من قبل نفسه ﴿ ان هى الا أسماء سميتموها انتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان ﴾ وقال تعالى ﴿ ولا تقف ما ليس لك به علم ﴾ فنهى الله عز وجل كل أحد عن أن يقول ما ليس له به علم ووجدناه عز وجل يقول فى غير موضع من القرآن ﴿ يا أيها الذين آمنوا ﴾ وقال تعالى ﴿ وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا ﴾ وقال تعالى ﴿ فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فاخوانكم فى الدين ﴾ فخاطب الله تعالى بهذه النصوص وبغيرها وكذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم كل مؤمن في العالم الى يوم القيامة وبيقين ندرى انه قد كان فى المؤمنين على عهده عليه السلام ثم من بعده عصرا عصرا الى يوم القيامة المستدل وهم الاقل وغير المستدل كمن اسلم من الزنج ومن الروم والفرس والاماء وضعفة النساء والرعاة ومن نشأ على الاسلام بتعليم أبيه او سيده اياه وهم الاكثر والجمهور فسماهم عز وجل مؤمنين وحكم لهم بحكم الاسلام وهذا كله معروف بالمشاهدة والضرورة وقال تعالى ﴿ آمنوا بالله ورسوله ﴾ وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم امرت ان أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا اله الا الله وانى رسول الله ويؤمنوا بما أرسلت به فصح يقينا انهم كلهم مامورون بالقول بجميع ماجاء به النبي صلى الله عليه وسلم وان كل من صدعنه فهو كافر حلال دمه وماله فلو لم يؤمن بالقول بالايمان الا من عرفه من طريق الاستدلال لكان كل من لم يستدل ممن ذكرنا منهيا عن اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم وعن القول بتصديقه لانه عند هؤلاء القول ليسوا عالمين بذلك وهذا خلاف القران وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم واجماع الامة المتيقن أما القران والسنة فقد ذكرناهما وأما اجماع الامة فمن الباطل المتيقن أن يكون الاستدلال فرضا لا يصح ان يكون احد مسلما الا به ثم يغفل الله عز وجل ان يقول لا تقبلوا من أحد انه مسلم حتى يستدل انراه نسى تعالى ذلك او تعمد عز وجل ترك ذكر ذلك اضلالا لعباده و بترك ذلك رسوله صلى الله عليه وسلم اما عمدا أو قصدا الى الضلال والاضلال او نسيانا لمن اهتدى لهؤلاء ونبهوا اليه وهم من هم بلادة وجهلا

وسقوطا هـذا لا يظنه الا كافر ولا يحققه الا مشرك فما قال قط رسول الله صلى الله عليه وسلم لاهل قرية او حلة اوحى ولا لراع ولا لراعية ولا للزنج ولا للنساء لا اقبل اسلامكم حتى اعلم المستدل من غيره فاذا لم يقل عليه السلام ذلك فالقول به واعتقاده افك وضلال وكذلك اجمع جميع الصحابة رضى الله عنهم على الدعاء الى الاسلام وقبوله من كل واحد دون ذكر استدلال ثم هكذا جيلا فجيلا حتى حدث من لاقدر له فان قالوا قد قال الله عز وجل ﴿ قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين ﴾ قلنا نعم وهذا حق وانما قاله الله عز وجل ان خالف الحق الذي امر عز وجل الجن والانس باتباعه وهكذا القول ان كل من قال قولا خالف فيه ما امر الله عز وجل باتباعه فسواء استدل بزعمه ولم يستدل هذا مبطل غير معذور الا من عذره الله عز وجل فيما عذره فيه كالمجتهدين من المسلمين يخطئا قاصدا الى الحق فقط مالم يقم عليه الحجة فيعاند واما من اتبع الحق فما كلفه الله عز وجل قط برهانا والبرهان قد ثبت بصحة كل ما امر الله تعالى به فسواء علمه قيم الرسول صلى الله عليه وسلم بعلمه حسبه أنه عالم بالحق معتقد له موقن به وان جهل برهانه الذي قد علمه غيره وهذا خلق الله عز وجل الايمان والعلم فى نفسه كما خلقه في نفس المستدل ولافرق قال تعالى ﴿ اذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله افواجا ﴾ فسماهم داخلين في دينه وان كانوا افواجا وما شرط الله عز وجل قط اولا رسوله صلى الله عليه وسلم ان يكون ذلك باستدلال بل هـذا شرط من شرط ذلك ممن قذفه ابليس فى قلبه وعلى لسانه ليخرجه الى تكفير الامة ولا عجب أعجب من اطباق هذه الطائفة الضالة المخذولة على انه لا يصح لاحد ايمان حتى يستدل على ذلك ولا يصح لاحد استدلال حتى يكون شاكا في نبوة محمد صلى الله عليه وسلم غير مصدق بها فاذا كان ذلك صح له الاستدلال والا فليس مؤمنا فهل سمع باحمق أو ادخل فى الحمق والكفر من قول من قال لا يؤمن احد حتى يكفر بالله تعالى و بالرسول صلى الله عليه وسلم وان من آمن بهما ولم يكفر بهما قط فهو كافر مشرك نبرأ الى الله تعالى من كل من قال بهذا

﴿ قال ابو محمد ﴾ فهذان طريقان لاثالث لهما كل طريق منها تنقسم قسمين أحدها من اتبع الذى امره الله عز وجل باتباعه وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم فهذا مؤمن عالم حقا سواء استدل او لم يستدل لانه فعل ما امره الله تعالى به ثم ينقسم هؤلاء قسمين احدهما من لم يتبع قط غيره عليه الصلاة والسلام ووافق الحق بتوفيق الله عز وجل فهذا فى كل عقد اعتقده اجران واما ان يكون حرم موافقة الحق وهو مريد فى امره ذلك اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم فهذا معذور ماجور اجرا واحدا مالم تقم عليه الحجة فيعاندها وهـذا نص قوله عليه السلام فى الحاكم المجتهد المصيب والمخطى والطريق الثانية من اتبع غير الذي امره الله باتباعه فهذا سواء استدل أو لم يستدل هو مخطى ظالم عاص لله تعالى وكافر على حسب ما جاءت به الديانة فى امره ثم ينقسم هؤلاء قسمين أحدهما أصاب ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو غير قاصد الى اتباعه عليه الصلاة والسلام فيه والآخر لم يصبه فكلاهما لاخير فيه وكلاهما آثم غير ماجور وكلاهما عاص لله عز وجل أو كافر على حسب ماجاءت به الديانة من أمره لانهما جميعا تعديا حدود الله عز وجل فيما أمرهم به من اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال تعالى ﴿ ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه ﴾ ولا ينتفع باصابته الحق اذلم يصبه من الطريق التى لم يجعل الله طلب الحق وأخذه الا من قبلها وقد علمنا ان اليهود والنصارى يوافقون الحق فى كثير كاقرارهم بنبوة موسى عليه السلام وكتوحيد بعضهم لله تعالى فما انتفعوا بذلك اذلم يعتقدوه اتباعا لرسول الله صلى الله عليه

وسلم

وسلم وكذلك من قلد فقيها فاضلا دون رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان عقده أنه لا يتبع رسول الله صلى الله صلى الله عليه وسلم الا ان وافق قوله قول ذلك الفقيه فهذا فاسق بلا شك ان فعله غير معتقد له وهو كافر بلا شك ان اعتقده بقلبه أو نطق به بلسان لمخالفته قول الله تعالى * فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما * فنفى الله عز وجل عن أهل هذه الصفة الايمان واقسم على ذلك ونحن ننفى مانفى الله عز وجل عمن نفاه عنه وقسم على ذلك ونوقن أننا على الحق في ذلك وأما من قلد فقيها فاضلا وقال انما اتبعه لانه اتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم فهذا مخطىء لانه فعل من ذلك مالم يامره الله تعالى به ولا يكفر لانه قاصد الى اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم مخطي للطريق في ذلك ولعله ماجور بنيته أجرا واحدا مالم تقم الحجة عليه بخطاء فعله فان ذكروا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث فتنة القبر وأما المنافق أو المرتاب فانه يقال له ماقولك في هذا الرجل يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول لا ادرى سمعت الناس يقولون شيئا فقلته

﴿قال أبو محمد﴾ هذا حق على ظاهره كما أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه لا يقول هذا الا المنافق أو المرتاب لا المؤمن الموقن بل المؤمن الموقن ذكر في هذا الحديث أنه يقول هو عبد الله ورسوله أتانا بالهدى والنور أو كلاما هذا معناه أو اخبر فانما أخبر عليه السلام عن موقن ومرتاب لا عن مستدل وغير مستدل وكذلك نقول أن من قال في نفسه أو بلسانه لولا انى نشأت بين المسلمين لم أكن مسلما وانما اتبعت من نشأت بينهم فهذا ليس مؤمنا ولا موقنا ولا متبعاً لمن أمره الله تعالي باتباعه بل هو كافر

(قال أبو محمد) واذا كان قد يستدل دهره كله من لا يوفقه الله تعالى للحق وقد يوفق من لا يستدل يقينا لو علم ان أباه أو أمه أو ابنه أو امرأته أو أهل الارض يخالفونه فيه لاستحل دماءهم كلهم ولو خير بين أن يلقى فى النار وبين أن يفارق الاسلام لاختار أن يحرق بالنار على أن يقول مثل هذا قلنا فاذ هو موجود فقد صح ان الاستدلال لا معنى له وانما المدار على اليقين والعقد فقط وبالله تعالى التوفيق

(قال أبو محمد) وانما يضطر الى الاستدلال من نازعته نفسه اليه ولم يسكن قلبه الى اعتقاد مالم يعرف برهانه فهذا يلزمه طلب البرهان حينئذ ليقى نفسه نارا وقودها الناس والحجارة فان مات شاكا قبل أن يصح عنده البرهان مات كافر أمخلدا فى النار أبدا

(قال أبو محمد) ثم نرجع الى ما كنا فيه هل المعارف باضطرار ام باكتساب فنقول وبالله تعالى التوفيق أن المعلومات قسم واحد وهو ماعقد عليه المرء قلبه وتيقنه ثم هذا ينقسم قسمين أحدهما حق فى ذاته قد قام البرهان على صحته والثانى لم يقم على صحته برهان وأما مالم يتيقن المرء صحته فى ذاته فليس علما به ولا له به علم وانما هو ظان له واما كل ماعلمه المرء ببرهان صحيح فهو مضطر الى علمه به لانه لا مجال للشك فيه عنده وهذه صفة الضرورة واما الاختيار فهو الذى ان شاء المرء فعله وان شاء تركه

(قال أبو محمد) فعلمنا بحدوث العالم وان له بكل مافيه خالقا واحدا لم يزل لا يشبهه شىء من خلقه فى شىء من الاشياء والعلم بصحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وصحة كل ما أتى به مما نقله الينا الصحابة كلهم رضى الله عنهم ونقله عنهم الكواف كافة بعد كافة حتى بلغ الينا أو نقله المتفق على عدالته عن مثله وهكذا حتى بلغ الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو كله علم حق متيقن مقطوع على صحته عند الله تعالى لان الاخذ بالظن فى شىء من الدين لا يحل قال

الله تعالى * ان الظن لا يغني من الحق شيئاً * وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اياكم والظن فان الظن اكذب الحديث وقال تعالى * انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون * فصح ان الدين محفوظ لما ضمن الله عز وجل حفظه فنحن على يقين انه لا يجوز أن يكون فيه شك وقد أمر الله تعالى بقبول خبر الواحد العدل ومن المحال ان يأمر الله عز وجل بان نقول عليه ما لم يقل وهو قد حرم ذلك أو ان نقول عليه مالا نعلم انه تعالى قد حرم ذلك بقوله * وان تقولوا على الله ما لا تعلمون * فكل ما أمرنا الله عز وجل بالقول به فنحن على يقين من انه من الدين وان الله تعالى قد حماه من كل دخل وكذلك أخذنا بالزايد من الاثنين المتعارضين ومن الخبرين الثابتين المتعارضين وقد علمنا صحة ان الحق في فعلنا ذلك علم ضرورة متيقن ولا أعجب ممن يقول ان خبر الواحد لا يوجب العلم وانما هو غالب ظن ثم نقطع به وقول انه قد دخلت في الدين دواخل لا تميز من الحق وانه لا سبيل الى تمييز ما أمر الله تعالى به في الدين مما شرعه الكذابون هذا أمر نعوذ بالله منه ومن الرضاء به

(قال أبو محمد) وأما ما اجتمعت عليه الجماعات العظيمة من آرائهم مما لم يأت به نص عن الله عز وجل ولا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو باطل عند الله بيقين لانه شرع في الدين ما لم يأذن به الله عز وجل وقال على الله تعالى ما لم يقله وبرهان ذلك انه قد يعارض ذلك قول آخر قالته جماعات مثل هذه والحق لا يتعارض والبرهان لا يناقضه برهان آخر وقد تقصينا هذا في كتابنا المرسوم بكتاب الاحكام في أصول الاحكام فاغنى عن ترداده والحمد لله رب العالمين

(قال أبو محمد) وكل من كان من أهل الملل المخالفة فبلغته معجزات النبي صلى الله عليه وسلم وقامت عليه البراهين في التوحيد فهو مضطر الى الاقرار بالله تعالى وبنبوة محمد صلى الله عليه وسلم وكذلك كل من قام على شيء ما أي شيء كان عنده برهان ضروري صحيح وفهمه فهو مضطر الى التصديق به سواء كانت من الملل أو من النحل أو من غير ذلك وانما أنكر الحق في ذلك أحد ثلاثة أما غافل معرض عما صح عنده من ذلك مشتغل عنه بطلب معاشه أو بالتزيد من مال أو جاه أو صوت أو لذة أو عمل يظنه صلاحا أو ايثارا للشغل بما يتبين له من ذلك عجزا وضعف عقل وقلة تمييز لفضل الاقرار بالحق أو مسوف نفسه بالنظر كحال كل طبقة من الطبقات الذين نشاهدهم في كل مكان وكل زمان واما مقلد لسلافه أو لمن نشا بينهم قد شغله حسن الظن بمن قلد او استحسانه لما قلد فيه وغمر الهوى عقله عن التفكر فيما فهم من البرهان قد حال ما ذكرناه بينه وبين الرجوع الى الحق وصرف الهوى ناظر قلبه عن التفكر فيما يتبين له من البرهان ونفر عنه وأوحشه منه فهو اذا سمع برهانا ظاهرا لا مدفع فيه عنده ظنه من الشيطان وغالب نفسه حتى يعرض عنه وقالت له نفسه لا بد ان هاهنا برهانا يبطل به هذا البرهان الذي أسمع وان كنت أنا لا أدريه وهل خفي هذا علي جميع أهل ملتي وأهل نحلتي أو مذهبي أو على فلان وفلان وفلان ولا بد انه قد كان عندهم ما يبطلون به هذا

(قال أبو محمد) وهذا عام في أكثر من يظن انه عالم في كل ملة وكل نحلة وكل مذهب وليس واحد من هاتين الطائفتين الا والحجة قد لزمته وبهرته ولكنه غلب وساوس نفسه وحماقتها على الحقايق اللايحة له وقصر ظنه الفاسد على يقين قلبه الثابت ولاعب الشيطان به وسخر منه فاوهمه لشهوته لما هو فيه ان ها هنا دليلا يبطل به هذا البرهان وانه لو كان فلان حيا أو حاضرا لابطل هذا البرهان وهذا أعظم ما يكون من السخافة لما لا يدرى ولا سمع

به وتكذيب لما صح عنده وظهر اليه ونعوذ بالله من الخذلان والثالث منكر بلسانه ما قد تيقن صحته بقلبه اما استدامة لرياسة أو استدرار مكسب أو طمعا في أحدهما لعله يتم له أو لا يتم ولو تم له لكان خاسر الصفقة فى ذلك أو آثر غرورا ذاهبا عن قريب على فوز الابد أو يدخل ذلك خوف أذى أو عصبة لمن خالف ما قد قام البرهان عنده أوعداوة لقائل ذلك القول الذى قام به عنده البرهان وهذا كله موجود فى جمهور الناس من اهل كل ملة وكل نحلة واهل كل رأى بل هو الغالب عليهم وهذا أمر يجدونه من انفسهم فهم يغالبونها

﴿قال أبو محمد﴾ ويقال لمن قال ممن ينتمى الى الاسلام ان المعارف ليست باضطرار وان الكفار ليسوا مضطرين الى معرفة الحق في الربوبية والنبوة اخبرونا عن معجزات الانبياء عليهم السلام هل رفعت الشك جملة عن كل من شاهدها وحسمت عللها وفصلت بين الحق والباطل فصلا تاما آم لا فان قالوا نعم أقروا بان كل من شاهدها مضطر الى المعرفة بانها من عند الله تعالى حق شاهد بصدق من أتى بها ورجعوا الى الحق الذى هو قولنا ولله الحمد وان قالوا لا بل الشك باق فيها ويمكن ان تكون غير شاهدة بانهم محقون قطع بان الانبياء عليهم السلام لم يأتوا ببرهان وان الشك باق فى أمرهم وان حجة الله تعالى لم تقع على الكفار ولا لزمهم قطله تعالى حجة وان الانبياء عليهم السلام انما أتوا بشىء ربما قام فى الظن انه حق وربما لم يقم وهذا كفر مجرد من دان به أو قاله وهكذا نسالهم فى البراهين العقلية على آيات التوحيد وفى الكواف الناقلة اعلام الانبياء عليهم السلام حتى يقروا بالحق بان حجج الله تعالى بكل ما ظهرت وبهرت واضطرت الكفار كلهم الى تصديقها والمعرفة بانها حق او يقولوا انه لم تقم لله حجة على احد ولا تبين قط لاحد تعين صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وانما نحن فى الاقرار بذلك على ظن الا انه من الظنون قوى وقد يمكن ان يكون بخلاف ذلك ومن قال بهذا فهو كفر مجرد محض شرك لا خفاء به ونعوذ بالله من الخذلان

﴿قال ابو محمد﴾ ومن انكر ان يكون الكفار وكل مبطل مضطرين الى تصديق كل ما قام به برهان بعد بلوغه اليهم وقال ان ما اضطر المرء الى معرفته فلا سبيل له الى انكاره اريناه كذب قوله فى تكوين الارض والافلاك ومدار الشمس والقمر والنجوم وتناهي مسافة كل ذلك وا كثر الناس على انكار هذا ودفعه الحق فى ذلك وكذلك من دان بالقياس والرأى او دليل الخطاب وسمع البراهين في ابطالها فهو مضطر الى معرفة بطلان ما هو عليه مكابر لعقله في ذلك مغالط لنفسه مغالب ليقينه مغلب لظنونه

﴿قال ابو محمد﴾ وعلم الملائكة عليهم السلام وعلم النبيين عليهم السلام بصحة ما جاءتهم به الملائكة واوحى اليهم به واروه فى منامهم علم ضرورى كسائر ما ادركوه بحواسهم واوايل عقولهم وكعلمهم بان اربعة اكثر من اثنين وان النار حارة والبقل اخضر وصوت الرعد وحلاوة العسل ونتن الحلتيت وخشونة القنفذ وغير ذلك ولو لم يكن الامر كذلك لكان عند الملائكة والنبيين شكا فى امرهم وهذا كفر ممن اجازه الا ان الملائكة لا علم لهم بشىء الا هكذا ولا ظن لهم اصلا لانهم لا يخطئون ولا ركبوا من طبايع متخالفة كما ركب الانسان فان قال قائل فاذا العلم كله باضطرار والاضطرار فعل الله تعالى فى النفوس فكيف يوجر الانسان او يعذب على فعل الله تعالى فيه قلنا نعم لا شىء فى العالم الا خلق الله تعالى وقد صح البرهان بذلك على ما اوردنا فى كلامنا فى خلق الافعال فى ديواننا والحمد لله رب العالمين وما نقل حافظ نصا ولا برهان عقل بالمنع من ان يعذبنا الله تعالى ويؤجرنا على ما خلق فينا والله تعالى يفعل ما يشاء لا يسأل عما يفعل وهم يسألون

(قال أبو محمد) وكيف ينكر اهل الغفلة ان يكون قوم يخالفون ماهم الى المعرفة به مضطرون وهم يشاهدون السوفسطائية الذين يبطلون الحقائق جملة وكما يعتقد النصارى وهم أمم لا يحصى عددهم الا خالقهم ورازقهم ومضلهم لا اله الا هو وفيهم علماء بعلوم كثيرة وملوك لهم التدابير الصائبة والسياسات المعجبة والاراء المحكمة والفطنة فى دقائق الامور و بصر بغوامضها وهم مع ذلك يقولون ان واحدا ثلاثة وثلاثة واحد وان احد الثلاثة اب والثانى ابن والثالث روح وان الاب هو الابن وليس هو الابن والانسان هو الاله وهو غير اله وان المسيح اله تام وانسان تام وهو غيره وان الاول الذى لم يزل هو المحدث الذى لم يكن ولاهو هو

(قال أبو محمد) وليس فى الجنون أكثر من هذا واليعقوبية منهم وهم مئين ألوف يعتقدون ان البارى تعالى عن كفرهم ضرب بالسياط واللطام وصلب ونحروه وسقي الحنظل وبقى العالم ثلاثة أيام بلا مدبر وكاصحاب الحلول وغالية الرافضة الذين يعتقدون فى رجل جالس معهم كالحلاج وابن أبي العزاقر انه الله والاله عندهم قد يبول و يسلح و يجوع فيأكل ويعطش فيشرب ويمرض فيسوقون اليه الطبيب و يقلع ضرسه اذا ضرب عليه ويتضرر اذا أصابه دمل ويجامع ويحتجم و يعتقد وهو الله الذى لم يزل ولا يزال خالق هذا العالم كله ورازقه ومحصيه ومدبره ومدبر الافلاك المميت المحيي العالم بما فى الصدور ويصبرون فى جنب هذا الاعتقاد على السجون والمطابق وضرب السياط وقطع الايدى والارجل والقتل والصلب وهتك الحريم وفيهم قضاه وكتاب ونجاروهم اليوم الوف وكما يدعى طوائف اليهود وطوائف من المسلمين ان ربهم تعالى جسد فى صورة الانسان لحم ودم يمشى و يقعد كالاشعرية الذين يقولون ان ههنا احوالا لا مخلوقة ولا غير مخلوقة ولا معلومة ولا مجهولة ولا حق ولا باطل وان النار ليست حارة والثلج ليس باردا وكما يقول بعض الفقهاء واتباعه ان رجلا واحدا يكون ابن رجلين وابن امرأتين كل واحدا منهما امه وهو ابنها بالولادة

(قال أبو محمد) اترى كل من ذكرنا لا تشهد نفسه وحسه ولا يقر عقله بان كل هذا باطل بلى والذى خلقهم ولكن العوارض التى ذكرنا قبل سهلت عليهم هذا الاختلاط وكرهت عليهم الرجوع الى الحق والا دعان له

(قال أبو محمد) وأما العناد فقد شاهدناه من كل رأيناه فى المناظرة فى الدين وفى المعاملات فى الدنيا أكثر من أن يحصى ممن يعلم الحق يقينا و يكابر على خلافه ونعوذ بالله من الخذلان ونسأله الهدى والعصمة

(قال أبو محمد) لا يدرك الحق من طريق البرهان الا من صفى عقله ونفسه من الشواغل التى قدمنا ونظر من الاقوال كلها نظرا واحدا واستوت عنده جميع الاقوال ثم نظر فيها طالبا لما شهدت البراهين الراجعة رجوعا صحيحا غيره مموه ضروريا الى مقدمات ماخوذة من اوايل العقل والحواس غير مسامح فى شىء من ذلك فهذا مضمون له بعون الله عز وجل الوقوف على الحقائق والخلاص من ظلمة الجهل وبالله تعالى التوفيق * واما نقله اثنان فصاعدا نوقن انهما لم يجتمعا ولا تساررا فاخبرا بخبر واحد راجع الى ما ادركه بالحواس من أى شىء كان فهو حق بلاشك مقطوع على حينه والنفس مضطرة الى تصديقه وهذا قول احد الكافة واولها اذ لا يمكن البتة اتفاق اثنين فى توليد حديث واحد لا يختلفان فيه عن غير تواطؤ واما اذا تواطأت الجماعة العظيمة فقد تجتمع على الكذب وقد شاهدنا جماعات يشكرون ولاتهم وهم كاذبون الا ان هذا لا يمكن ان يتفقوا على طمه ابدا ومن انكر ما تنقله الكافة لزمه ان لا يصدق انه كان فى الدنيا احد قبله لانه لا يعرف كون الناس الا بالخبر

﴿ قال ابو محمد ﴾ وقد يضطر خبر الواحد في بعض الاوقات الى التصديق يعرف ذلك من تدبر امور نفسه كمتنذر بموت انسان لدفنه وكرسالة من عند السلطان يأتي بها بريد وككتاب وارد من صديق بديهة وكمخبر يخبرك ان هذا دار فلان وكمنذر بعرس عند فلان وكرسول من عند القاضي والحاكم وسائر ذلك من أخبار بان هذا فلان بن فلان ومثل هذا كثير جدا وهذا لا ينضبط باكثر مما يسمع ومن راعى هذا المعنى لم يمض له يوم واحد قطعا حتى يشاهد في منزله وخارج منزله من خبر واحد مايضطر الى تصديقه ولا بد كثيرا جدا وأما في الشريعة فخبر الواحد الثقة موجب للعلم وبرهان شرعي قد ذكرناه في كتابنا الاحكام لاصول الاحكام وقد ادعى المخالفون ان مااتفقت عليه أمتنا بارائها فهي معصومة بخلاف سائر الامم ولا برهان على هذا وقال النظام ان خبر التواتر لا يضطر لان كل واحد منهم يجوز عليه الغلط والكذب وكذلك يجوز على جميعهم ومن المحال ان يجتمع ممن يجوز عليه الكذب وممن يجوز عليه الكذب من لا يجوز عليه الكذب ونظر ذلك باعمى وأعمى واعمى فلا يجوز ان يجتمع مبصرون

﴿ قال أبو محمد ﴾ وهذا تنظير فاسد لان الاعمى ليس فيه شيء من صحة البصر وليس كذلك المخبرون لان كل واحد منهم كما يجوز عليه الكذب كذلك يجوز عليه الصدق ويقع منه وقد علم بضرورة العقل ان اثنين فصاعدا اذا فرق بينهما لم يمكن البتة منهما ان يتفقا على توليد خبر كاذب يتفقان في الفاظه ومعناه فصح انهما اذا اخبرا بخبر فاتفقا فيه انهما اخبرا عن علم صحيح موجود عندهما ومن انكر هذا لزمه ان لا يصدق بشيء من البلاد الغائبة عنه ولا بالملوك السالفين ولا بالانبياء وهذا خروج الى الجنون بلا شك او الى المكابرة في الحس وبالله تعالى التوفيق فان قال قائل كيف اجزتم ههنا اطلاق اسم الضرورة والاضطرار ومنعتم من ذلك في افعال الفاعلين عند ذكركم الاستطاعة وخلق الله تعالى افعال العباد وكل ذلك عندكم خلق الله تعالى في عباده قلنا ان الفرق بين الامرين في ذلك لائح وهو ان الفاعل متوهم منه ترك فعله لو اختار تركه وممكن منه ذلك وليس ممكنا منه اعتقاد خلاف ماتيقنه بان يرفع عن نفسه تحقيق ماعرف انه احق فهكذا او قعنا ههنا اسم الاضطرار ومنعنا منه هنالك وبالله تعالى نتأيد

﴿ الكلام على من قال بتكافؤ الادلة ﴾

﴿ قال أبو محمد ﴾ ذهب قوم الى القول بتكافؤ الادلة ومعنى هذا انه لا يمكن نصر مذهب على مذهب ولا تغليب مقالة على مقالة حتى يلوح الحق من الباطل ظاهر بينا لا اشكال فيه بل دلائل كل مقالة فهي مكافئة لدلائل سائر المقالات وقالوا كما ثبت بالجدل فانه بالجدل ينقض وانقسم هؤلاء الى أقسام ثلاثة فيما أنتجه لهم هذا الاصل فطائفة قالت بتكافؤ الادلة جملة في كل مااختلف فيه فلم تحقق البارى تعالى ولا أبطلته ولا أثبتت النبوة ولا أبطلتها وهكذا في جميع الاديان والاهواء لم تثبت شيئا من ذلك ولا ابطلته الا انهم قالوا اننا نوقن ان الحق في احد هذه الاقوال بلا شك الا انه غير بين الى احد البتة ولا ظاهر ولا متميز اصلا

﴿ قال ابو محمد ﴾ وكان اسمعيل بن يونس الاعور الطبيب اليهودى تدل اقواله ومناظراته انه دلالة صحيحة على انه كان يذهب الى هذا القول لاجتهاده في نصر هذه المقالة ان كان غير مصرح بانه يعتقدها وقالت طائفة اخرى بتكافؤ الادلة فيما دون البارى تعالى فاثبتت الخالق تعالى وقطعت بانه حق خالق لكل مادونه بيقين لا شك فيه ثم لم تحقق النبوة ولا ابطلتها ولا حققت دين ملة ولا ابطلته لكن قالت ان في هذه الاقوال قولا صحيحا بلا شك الا

انه غير ظاهر الى أحد ولا بين ولا كلفه الله تعالى أحدا وكان اسمعيل بن القراد الطبيب اليهودى يذهب الى هذا القول يقينا وقد ناظرنا عليه مصرحا به وكان يقول اذا دعوناه الى الاسلام وحسمنا شكوكه ونقضنا علله الانتقال فى الملل تلاعب

(قال أبو محمد) وقد ذكر لنا عن قوم من أهل النظر والرياسة فى العلم هذا القول الا انا لم يثبت ذلك عندنا عنهم وطائفة قالت بتكافؤ الادلة فيما دون البارى عز وجل ودون النبوة فقطعت ان الله عز وجل حق وانه خالق الخلق وان النبوة حق وأن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم حق ثم لم يغلب قولا من اقوال اهل القبلة على قول بل قالوا ان فيها قولا هو الحق بلا شك الا انه غير بين الى أحد ولا ظاهر وأما الاقوال التى صاروا اليها فيما يثبتوا عليها منها وطائفة لزمت الحيرة وقالت لاندرى ما نعتقد ولا يمكننا أخذ مقالة لم يصح عندنا دون غيرها فالطعن لانفسنا مكا رين لمقرانا لكنا لا ننكر شيئا من ذلك ولا نثبته وجمهور هذه الطائفة مالت الى اللذات وأم اح النفوس فى الشهوات كيف ما مالت اليه بطبايعها وطائفة قالت على المرء فرض ان حب العقل الايكون سدا بل يلزمه ولابد ان يكون له دين يردجر به عن الظلم والقبائح وقالوا من لادين له فهو غير مامور فى هذا العالم على الافساد وقتل النفوس غيلة وجهرا وأخذ الاموال خيانة وعصيا والتعدى على الفروج تحيلا وعلانية وفى هذا هلاك العالم بأسره وفساد البنية وانحلال النظام وبطلان العلوم والفضايل كلها التى تقتضى العلوم بلزومها وهذا هو الفساد الذى توجب العقول التحرز منه واجتنابه قالوا فمن لادين له فواجب على كل من قدر على قتله أن يسارع الى قتله واراحة العالم منه وتعجيل استكفاف ضره لانه كالافعى والعقرب أو أضر منهما ثم انقسم هؤلاء قسمين فطائفة قالت فاذا الامر كذلك فوجب على الانسان لزوم الدين الذى نشأ عليه أوولد عليه لانه هو الدين الذى تخيره الله له فى مبدأ خلقه ومبدأ نشئه بيقين وهو الذى أثبته الله عليه فلا يحل له الخروج عما رتبه الله تعالى فيه وابتداه عليه أى دين كان وهذا كان قول اسماعيل بن القداد وكان يقول من خرج من دين الى دين فهو وقاح متلاعب بالاديان عاص لله عز وجل المتعبد له بذلك الدين وكان يقول بالمسألة المكانية ومعنى ذلك الايبقى أحد دون دين يعتقده على ماذكرنا آنفا وقالت طائفة لاعذر للمرء فى لزوم دين أبيه وجده أوسيده وجاره ولاحجة فيه لكن الواجب على كل أحد أن يلزم ما اجتمعت الديانات بأسرها والعقول بكليتها على صحته وتفضيله فلا يقتل أحدا ولا يزنى ولا يلوط ولا يبغ به ولا يسع فى افساد حرمة أحد ولا يسرق ولا يغصب ولا يظلم ولا يجر ولا يخن ولا يغش ولا يغتب ولا ينم ولا يسفه ولا يضرب أحدا ولا يستطيل عليه ولكن يرحم الناس ويتصدق ويؤدى الامانة ويؤمن الناس شره ويعين المظلوم ويمنع منه فهذا هو الحق بلا شك لانه المتفق عليه من الديانات كلها ويتوقف عما اختلفوا فيه ليس علينا غير هذا لانه لم يلح لنا الحق فى شيء منه دون غيره

(قال أبو محمد) فهذه أصولهم ومعاقدهم وأما احتجاجهم فى ذلك فهو انهم قالوا وجدنا الديانات والاراء والمقالات كل طائفة تدعى انها انما اعتقدته ما اعتقدته عن الاوايل وبراهين باهرة وكل طائفة منها تناظر الاخرى فتنتصف منها وربما غلبت هذه فى مجلس ثم غلبتها الاخرى فى مجلس آخر على حسب قوة نظر المناظر وقدرته على البيان والتحال والتشعب لهم فى ذلك كالمتحاربين يكون الظفر سجالا بينهم قالوا فصح انه ليس هاهنا قول ظاهر الغلبة ولو كان لما أشكل على احد ولم يختلف الناس فى ذلك كما لم يختلفوا فيما ادركوه بحواسهم وبداية عقولهم وكما لم يختلفوا فى الحساب وفى كل شيء عليه برهان لايح قالوا ومن المحال أن يبدو الحق الى الناس

فعاندوه بلا معنى ويرضوا بالهلاك فى الدنيا والاخرة بلا سبب قالوا فلما بطل هذا صح ان كل طائفة انما تتبع اماما نشات عليه واماما يخيل لاحدهم انه الحق دون تثبيت ولا يقين قالوا وهذا مشاهد من أهل كل ملة وان كان فيها ما لاشك فى سخافته و بطلانه وقالوا أيضا انا نري الجماعة الكثيرة قد طلبوا علم الفلسفة وتبحروا ووسموا أنفسهم بالوقوف على الحقائق و بالخروج عن جملة العامة و بانهم قد أشرفوا على الصحيح بالبراهين وميزوه من الشغب والاقناع ونجد آخرين قد تمهروا في علم الكلام وافنوا فيه دهرهم ورسخوا فيه وفخروا بانهم قد وقفوا على الدلايل الصحاح وميزوها من الفاسدة وانهم قد لاح لهم الفرق بين الحق والباطل الحجج الانصاف ثم نجدهم كلهم يعنى جميع هاتين الطائفتين فلسفيهم وكلاميهم فى أديانهم التى يقرون انها نجاتهم اوهلكتهم مختلفين كاختلاف العامة واهل الجهل بل أشد اختلافا فمن يهودى يموت على يهوديته ونصرانى يتهالك على نصرانيته وتثليثه ومجوسى يستميت على مجوسيته ومسلم يستقتل فى اسلامه ومنانى يستهلك فى مانويته ودهرى ينقطع فى دهريته قد استوى العامى المقلد من كل طائفة في ذلك مع المتكلم الماهر المستدل بزعمه ثم نجد أهل هذه الاديان فى فرقهم أيضا كذلك سواء سواء فان كان يهوديا فاما رباني يتقد غيظا على سائر فرق دينه وأما صابى يلعن سائر فرق دينه وأما عيسوى يسخر من سائر فرق دينه وأما سامرى يبرأ من سائر فرق دينه وان كان نصرانيا فاما ملكى يتهالك غيظا على سائر فرق دينه وأما نسطورى يقدا سنا على سائر فرق دينه وأما يعقوبي يسخط على سائر فرق دينه وان كان مسلما فاما خارجى يستحل دماء سائر اهل ملته وأما معتزلى يكفر سائر فرق ملته وأما شيعى لا يتولى سائر فرق ملته وأما مرجئى لا يرضى عن سائر فرق ملته وأما سنى ينافر فرق ملته قد استوي فى ذلك العامى والمقلد الجاهل والمتكلم بزعمه المستدل وكل امرىء من متكلمى الفرق التى ذكرنا يدعى انه انما أخذ ما أخذ وترك ما ترك ببرهان واضح ثم هكذا نجدهم حتى فى الفتيا اما حنيفى يجادل عن حنيفيته واما مالكى يقاتل عن مالكيته واما شافعى يناضل عن شافعيته واما حنبلى يضارب عن حنبليته واما ظاهرى يحارب ظاهريته واما متخير مستدل فهنا لك جاء التجاذب حتى لا يتفق اثنان منهم على مائة مسألة الا فى الندرة وكل امرىء ممن ذكرنا يزرى على الاخرين وكلهم يدعى انه أشرف على الحقيقة وهكذا القائلون بالدهر أيضا متباينون متنابذون مختلفون فيما بينهم فمن موجب ان العالم لم يزل وان له فاعلا لم يزل ومن موجب أزلية الفاعل واشياء أخرى وان سائر العالم محدوث ومن موجب أزلية الفاعل وحدوث العالم مبطل للنبوات كلها كما اختلف سائر أهل النحل اولا فرق قالوا فصح ان جميعهم اما متبع للذى نشا عليه والنحلة التى تربي عليها واما متبع لهواه قد تخيل له انه الحق فهم على ما ذكرنا دون تحقيق قالوا فلو كان للبرهان حقيقة لما اختلفوا فيه هذا الاختلاف ولبان على طول الايام وكرور الزمان ومرور الدهور وتداول الاجيال له وشدة البحث وكثرة ملاقاة الخصوم ومناظراتهم وافنائهم الاوقات وتسويدهم القراطيس واستنفاذ وسعهم وجهدهم أين الحق فيرتفع الاشكال بل الامر واقف بحسبه أو متزيد فى الاختلاف وحدوث التجاذب والفرق قالوا وأيضا فانا نرى المرء الفهم العالم النبيل المتمكن في علوم الفلسفة والكلام والحجاج المستنفد لعمره فى طلب الحقائق المؤثر للبحث عن البرهان على كل ماسواه من لذة أو مال أو جاه المستفرغ لقوته في ذلك النافر عن التقليد يعتقد مقالة ما ويناظر عنها ويحاجج دونها ويدافع امامها ويعادى من خالفها مجدا فى ذلك موقنا بصوابه وخطا من خالفه منافرا له مضللا أو مكفرا فيبقى كذلك الدهر الطويل

كان ينصر ولا هل تلك المقالة التى والاعوام الجمة ثم انه تبدوله بادية عنها فيرجع أشد ما كان عداوة لما كان ينصر ولا هل تلك المقالة التى كان يدين بصحتها وينصرف يتاتل فى ابطالها ويناظر فى افسادها و يعتقد من ضلالها وضلال أهلها الذى كان يعتقد من صحتها و يعجب الآن من نفسه أمس وربما عاد الى ما كان عليه أو خرج الى قول ثالث قالوا فدل هذا على فساد الادلة وعلى تكافؤها جملة وان كل دليل فهو هادم الآخر كلاهما يهدم صاحبه وقالوا أيضا لايخلو من حقق شيئاً من هذه الديانات او المقالات من ان يكون صح له أو لم يصح له ولا سبيل الى قسم ثالث قالوا فان كان لم يصح له باكثر من دعواه أو من تقليده مدعيا فليس هو أولى من غيره بالصواب وان كان صح له فلا يخلو من ان يكون صح له بالحواس أو بعضها أو بضرورة العقل و بديهته أو صح له بدليل ماغير هذين ولاسبيل الى قسم رابع فان كان صح له بالحواس أو بعضها أو بضرورة العقل و بديهته فيجب ان لا يختلف فى ذلك أحد كما لم يختلفوا فيما أدرك بالحواس وبديهة العقل من أن ثلثه أكثر من اثنين وانه لايكون المرء قاعدا قائما معا بالعقل فلم يبق الان يقولوا انه صح لنا بدليل غير الحواس فنسالهم عن ذلك الدليل بماذا صح عندكم بالدعوى فلستم باولى من غيركم في دعواه أم بالحواس وبديهة العقل فكيف خولفتم فيه هذا ولايختلف فى مدركاته أحد ام بدليل غير ذلك وهكذا ابدا الى مالا نهاية له قالوا وهذا مالا مخلص لهم منه قالوا ونسالهم ايضا عن علمهم بصحة ماهم عليه ايعلمون انهم يعلمون ذلك املا فان قالوا لانعلم ذلك أحالوا وسقط قولهم وكفونا مؤونتهم لانهم يقرون انهم لايعلمون أنهم يعلمون ماعلموا وهذا هوس وافساد لما يعتقدونه وان قالوا بل نعلم ذلك سالناهم ابعلم علموا ذلك ام بغير علم وهكذا ابدا وهذا يقتضي ان يكون للعلم علم وللعلم العلم علم الى مالانهاية له وهذا عندهم محال

﴿قال أبو محمد﴾ هذا كل ماموهوا به مانعلم لهم شغبا غير ماذكرنا ولهم متعلق سواه اصلا بل قد زدناهم فيما رأينا لهم وتقصيناه لهم بغاية الجهد كما فعلنا باهل كل مقالة

﴿قال أبو محمد﴾ وكل هذا الذى موهوا به منحل بيقين ومنتقض بابين برهان بلا كثير كلفة ولم نجد احدا من المتكلمين السالفين اورد بابا خالصا فى النقض على هذه المقالة ونحن ان شاء الله تعالى ننقض كل ماموهوا به بالبراهين الواضحة وبالله تعالى التوفيق وذلك بعد ان نبين فساد معاقد هذه الطوائف المذكورة ان شاء الله عز وجل

﴿قال أبو محمد﴾ فنقول وبالله تعالى نتايد اما الطائفة المتحيرة فقد شهدت على انفسها بالجهل وكفت خصومها مؤنتها في ذلك وليس جهل من جهل حجة على علم من علم ولا من لم يتبين له الشيء غيارا على من تبين له بل من علم فهو الحجة على من جهل هذا هو الذى لايشك احد فيه فى جميع العلوم والصناعات وكل معلوم يعلمه قوم ويجهله قوم ولا احمق ممن يقول لما جهلت انا امر كذا ولم اعرفه علمت ان كل احد جاهل به كجهلي وهذه صفة هؤلاء القوم نفسها ولو ساغ هذا لاحد لبطلت الحقائق وجميع المعارف وجميع الصناعات اذ لكل شيء منها من يجهله من الناس نعم ومن لا يتحجج فيه ولايفهمه وان طلبه هذا امر مشاهد بالحواس فهم قد اقروا بالجهل وندعي نحن العلم بحقيقة مااعترفوا بجهلهم به فالواجب عليهم ان ينظروا فى براهين المدعين للمعرفة بما جهلوه نظرا صحيحا متقصى بغير هوى فلا بد يقينا من ان يلوح حقيقة قول المحق وبطلان قول المبطل فتزول عنهم الحيرة والجهل حينئذ فسقطت هذه المقالة بيقين والحمد لله رب العالمين * واما من قطع بان ليس ها هنا مذهب صحيح اصلا فان قوله ظاهر الفساد بيقين لااشكال فيه لانهم اثبتوا حقيقة وجود العالم بما فيه وحقيقة

ما يدرك بالحواس وباول العقل وبديهته ثم لم يصححوا حدوثه ولا أزليته ولا ابطلوا حدوثه وازليته
معا ولم يصححوا ان له خالقا ولا انه لا خالق له وأبطلوا كلا الامرين وأبطلوا النبوة وابطلوا ابطالها
فقد خرجوا يقينا الى المحال والى اقبح قول السوفسطائية وفارقوا بديهة العقل وضرورته التى قد
حققوها وصدقوا موجبها اذ لا خلاف بين أحد له مسكة عقل فى ان كل مالم يكن حقا فهو باطل ومالم
يكن باطلا فانه حق وان اثنين قال أحدهما فى قضية واحدة فى حكم واحد قال نعم والآخر لا فاحدهما
صادق بلا شك والآخر كاذب بلا شك هذا يعلم بضرورة العقل وبديهته واما قول قائل هذا حق باطل
معا من وجه واحد فى وقت واحد وقول من قال لا حق ولا باطل فهو بين باطل معلوم بضرورة العقل
وبديهته فواجب باقرارهم ان من قال ان العالم لم يزل وقال الآخر هو محدث ان احدهما صادق بلا شك
وكذلك من أثبت النبوة ومن نفاها فظهر بيقين وضرورة العقل يقينا فساد هذه المقالة الا ان يبطلوا
الحقائق ويلحقوا بالسوفسطائية فيكلمون حينئذ بما تكلم به السوفسطائية مما ذكرناه من قبل وبالله تعالى
التوفيق وأما من مال الى اللذات جملة فانه ان كان من احدى هاتين الطائفتين فقد بطل عقده وصح يقينا
انه علي ضلال وخطا وباطل وفساد فى اصل معتقده الذى أداه الى الانهماك واذا بطل شيء بيقين قد
بطل ما تولد منه وان مال الى احد الاقوال الاخر فكلها مبطل للزوم اللذات والانهماك فصح ضرورة
بطلان هذه الطريقة وان صار الى تحقيق الدهرية كلم بما تكلم به الدهرية مما قد أوضحناه والحمد لله
واما من قال بالزام المرء دين سلفه والدين الذى نشأ عليه فخطا لا خفاء به لاننا نقول لمن قال بوجوب
ذلك ولزومه اخبرنا من اوجبه ومن ألزمه فالايجاب والالزام يقتضى فاعلا ضرورة ولابد منها فمن
الزم ما ذكرتم من ان يلزم المرء دين سلفه أو الدين الذى نشا عليه الله ألزم ذلك جميع عباده أم غير الله
تعالى أوجب ذلك اما انسان واما عقل واما دليل فان قال بل ما ألزم ذلك الا من دون الله تعالى قيل
له ان من دون الله تعالى معصى مخالف مرفوض لا حق له ولا طاعة الا من اوجب الله عز وجل له
فيلزم طاعته لان الله اوجبها لا لانها واجبة بذاتها وليس من أوجب شيئا دون الله تعالى باولى من آخر
ابطل ما اوجب هذا وأوجب بطلانه وفى هذا كفاية لمن عقل ولا ينقاد للزوم من دون الله تعالى الا
جاهل مغرور كالبهيمة تقاد فتنقاد ولا فرق وان قال ان العقل الزم ذلك قيل له انك تدعى الباطل على
العقل اذا دعيت عليه ماليس فى بنيته لان العقل لايوجب شيئا وانما العقل قوة تميز النفس بها الاشياء على
ماهى عليه فقط ويعرف ماصح وجوبه مما اوجبه من تلزم طاعته مما لم يصح وجوبه مما لم يوجبه من
يجب عليه طاعته ليس فى العقل المراد به المتميز شيء غير هذا أصلا وايضا فان قائل هذا مجاهر
بالباطل لانه لا يخلو ان يكون يزعم أن العقل اوجب ذلك ببديهته أو ببرهان راجع الى البديهة من
قرب أو من بعد فان ادعى ان العقل يوجب ذلك ببديهته كابر الحس ولم ينتفع بهذا ايضا لانه
لا يعجز عن التوقع بمثل هذه الدعوى احد في اى شيء شاء وان ادعى انه اوجب ذلك برهان
راجع الى العقل كاف المجيء به ولا سبيل اليه ابدا فان قال ان الله عز وجل اوجب ذلك سئل
الدليل على صحة هذه الدعوى التى اضافها الى البارى عز وجل وهذا ما لا سبيل اليه لان
ما عند الله عز وجل من الزام لا يعرف البتة الا بوحى من عنده تعالى الى رسول من خلقه
يشهد له تعالى بالمعجزات واما بما يضعه الله عز وجل فى العقول وليس في شيء من هذين
دليل على صحة دعوى هذا المدعي واما احتجاجه بانه هو الدين الذي اختاره الله عز وجل
لكل احد وانشاه عليه فلا حجة له فى هذا لاننا لم نخالفه فى ان هذا درب على هذا الدين

وخلقه الله عز وجل فيه من دربه عليه بل نقر بهذا كما نقر بان الله خلقنا في مكان ما في صناعة ما وعلي معاش
ما وعلى خلق ما وليس في ذلك دليل عند احد من العالم على انه لايجوزله فراق ذلك الخلق الى ما هو خير
منه ولا على انه لزمه لزوم المكان الذى خلق فيه والصناعة التى نشأ عليه والقوت الذى كبر عليه بل لا يختلف
اثنان في ان له مفارقة ذلك المكان وتلك الصناعة وذلك المعاش الى غيره وان فرضا عليه الزوال عن كل
ذلك اذ كان مذموما الى المحمود من كل ذلك وأيضا فان جميع الاديان التى أوجبها كلها هذا القائل وحقق
جميعها فكل دين منها فيه انكار غيره منها واهل كل دين منها تكفر سائر اهل تلك الاديان
وكلهم يكذب بعضهم بعضا وفى كل دين منها تحريم التزام غيره على كل احد فلوكان كل دين منهم الازمان
يعتقده من نشاء عليه لكان كل دين منها حقا واذا كان كل دين منها حقا منها يبطل سائرها وكل
ما ابطله الحق فهو باطل بلا شك فكل دين منها باطل بلا شك فوجب ضرورة على قول هذا القائل ان جميع
الاديان باطل وان جميعها حق فجميعها حق باطل معا فبطل هذا القول بيقين لاشك فيه والحمدلله رب
العالمين واما من قال اني الزم فعل الخير الذي اتفقت الديانات والعقول على انه فضل واجتنب ما اتفقت
الديانات والعقول علي أنه قبيح فقول فاسد مموه مضمحل أول ذلك انه كذب ولا اتفقت الديانات
ولا العقول علي شيء من ذلك بل جميع الديانات الا الاقل منهم مجموعون علي قتل من خالفهم واخذ اموالهم
وكل دين منها لا يحاشي دينا قائل باحكام هى عند سائرها ظلم وأما المنانية فانها وان لم تقل بالقتل فانها
تقول بترك النكاح الذي هو مباح عند سائر الديانات ويقولون باباحة اللياطة والسحق وسائر الديانات محرمة
لذلك فما اتفقت الديانات علي شيء أصلا ولا علي التوحيد ولا علي ابطاله لكن اتفقت الديانات على تخطئته
وتكفيره والبراءة منه اذا لم يعتقد دينا فبيناه بطلب موافقة جميع الديانات حصل علي مخالفة جميعها
وهكذا فليكن السعى المضلل وكذلك طبائع جميع الناس مؤثرة للذات كارهة لما يلتزمه أهل
الشرائع والفلاسفة فبطل تعلقهم بشيء مجمع عليه ولم يحصل الا على طمع خائب مخالفا لجميع الديانات
غير متعلق بدليل لاعقلي ولا سمعي وقد قدمنا أن العقول لا توجب شيئا ولا تقبحه ولا تحسنه وبرهان ذلك
أن جميع أهل العقول الا يسيرا فانهم أصحاب شرائع وقد جاءت الشرائع بالقتل وأخذ المال
وضرب الانسان وذبح الحيوان فما قال قط أصحاب العقول أنها جاءت بخلاف ما في العقول ولا
ادعى ذلك الا أقل الناس ومن ليس عقله عيارا علي عقل غيره ولو كان ذلك واجبا فى العقول
لوجده سائر أهل العقول كما قالوا هم سواء بسواء فصح ان دعواهم علي العقول كاذبة فى باب التقبيح
والتحسين جملة وهذا أكسر عام لنفس أقوالهم والحمد لله رب العالمين * ثم نذكر ان شاء الله تعالى البراهين
علي ابطال حججهم الشغبية المموه بها وبالله تعالى نتأيد

﴿ قال ابو محمد ﴾ أما احتجاجهم بان قالوا وجدنا أهل الديانات والاراء والمقالات كل طائفة
تناظر الاخرى فتنتصف منها وربما غلبت هذه فى مجلس ثم غلبتها الاخرى فى مجلس آخر
على حسب قوة المناظر وقدرته على البيان والتحيل والشغب فهم في ذلك كالمتحاربين يكون
الظفر سجالا بينهم فصح أنه ليس ههنا قول ظاهر الغلبة ولو كان ذلك لما أشكل على أحد
ولا اختلاف الناس فيه كما لم يختلفوا فيما أدركوا بحواسهم وبداية عقولهم وكما هم يختلفوا فى
الحساب وفى كل شيء عليه برهان لائح واللائح الحق على مرور الزمان وكثرة البحث
وطول المناظرات قالوا ومن المحال أن يبدو الحق الى الناس ظاهرا فيعاندوه بلا معنى
ويرضوا بالهلاك فى الدنيا والآخرة بلا سبب قالوا فلما بطل هذا صح ان كل طائفة تتبع أما

مانشات عليه وأما مايخيل لاحدهم انه الحق دون تثبت ولا يقين قالوا وهذا مشاهد من كل ملة ونحلة
وان كان فيها مالا يشك فى بطلانه وسخافته

(قال أبو محمد) هذه جمل نحن نبين كل عقدة منها ونوفيها حقا من البيان بتصحيح أو افساد بما
لا يخفى على أحد صحته وبالله تعالى التوفيق أما قولهم ان كل طائفة من أهل الديانات والاراء
يناظر فينتصف وربما غلبت هذه فى مجلس ثم غلبتها الاخرى فى مجلس آخر على قدر قوة المناظر وقدرته
على البيان والتحيل والشغب والتمويه فقول صحيح الا أنه لا حجة لهم فيه على ما دعوه من تكافؤ الادلة
أصلا لان غلبة الوقت ليست حجة ولا يقنع بها عالم محقق وان كانت له ولا يلتفت اليها وان كانت عليه
وانما تحتج بها ويغضب منها أهل المحرفة والجهال وأهل الصياح والتهويل والتشنيع القانعون بان يقال
غلب فلان فلانا وان فلانا لنظار جدال ولا يبالون بتحقيق حقيقة ولا بابطال باطل فصح ان تغالب
المتناظرين لا معني له ولا يجب ان يعتد به لاسيما تجادل اهل زماننا الذين أمامهم نوب معدودة لا يتجاوزونها
بكلمة واما ان يغلب الصليب الرأس بكثرة الصياح والتوقح والتشنيع والجهات واما كثير الهدر قوى على
أن يملأ المجلس كلاما لا يتحصل منه معنى وأما الذى يعتقده أهل التحقيق الطالبون معرفة الامور على
ماهى عليه فهو أن يبحثوا فيما يطلبون معرفته على كل حجة احتج بها أهل فرقة فى ذلك الباب فاذا نقضوها
ولم يبقوا منها شيئا تاملوا كل حجة حجة فميزوا الشغبي منها والاقناعى فاطرحوهما وفتشوا البرهاني على
حسب المقدمات التى بيناها فى كتابنا الموسوم بالتقريب فى مائية البرهان وتمييزه مما يظن أنه برهان وليس
ببرهان وفي كتابنا هذا وفى كتابنا الموسوم بالاحكام في أصول الاحكام فان من سلك تلك الطريق التى
ذكرنا وميز فى المبداء ما يعرف باول التمييز والحواس ثم ميز ماهو البرهان مما ليس برهانا ثم لم يقبل
الا ما كان برهانا راجعا رجوعا صحيحا ضروريا الى ما أدرك بالحواس أو ببديهة التمييز وضرورة فى كل
مطلوب يطلبه فان سارع الحق يلوح له واضحا ممتازا من كل باطل دون أشكال والحمد لله رب
العالمين وأما من لم يفعل ما ذكرنا ولم يكن وكده الا نصر المسالة الحاضرة فقط أو نصر مذهب قد
ألفه قبل ان يقوده الى اعتقاده برهان فلم يجعل غرضه الا طلب أدلة ذلك المذهب فقط فبعيد عن معرفة
الحق عن الباطل ومثل هؤلاء غروا هؤلاء المخاذيل فظنوا ان كل بحث ونظر مجراها هذا المجرى الذى
عهدوه ممن ذكرنا فضلوا ضلالا بعيداً وأما قولهم فصح أنه ليس هاهنا قول ظاهر الغلبة ولو كان
ذلك لما أشكل على أحد ولما اختلف الناس فيه كما لم يختلفوا فيما ادركوه بحواسهم وبداية عقولهم
وكما لم يختلفوا فى الحساب وفى كل ما عليه برهان لائح فقول أيضا مموه لانه كله دعوى فاسدة بلا دليل
وقد قلنا قبل فى ابطال هذه الاقوال كلها بالبرهان بما فيه كفاية وهذا لا يمكن فيه تفصيل كل
برهان على كل مطلوب لكن نقول جملة ان من عرف البرهان وميزه وطلب الحقيقة غير مايل
بهوى ولا ألف ولا نفار ولا كسل فمضمون له تمييز الحق وهذا كمن سأل عن البرهان على أشكال
اقليدس فانه لا اشكال فى جوابه عن جميعها بقول مجمل لكن يقال له سل عن شكل شكل
نخبر ببرهانه أو كمن سال عن النحو وأراد ان يوقف على قوانينه جملة فان هذا لا يمكن باكثر
من أن يقال له هو بيان حركات وحروف يتوصل باختلافها الى معرفة مراد المخاطب باللغة
العربية ثم لا يمكن توقيفه على حقيقة ذلك ولا الى اثباته جملة الا بالاخذ معه فى مسالة مسالة
وهكذا فى هذا المكان الذى نحن فيه لا يمكن ان نبين جميع البرهان على كل مختلف فيه
باكثر من أن يقال له سل عن مسالة مسالة نبين لك برهانها بحول الله تعالى وقوته ثم نقول

لمن قال من هؤلاء ان ههنا قولا صحيحا واحدا لا شك فيه اخبرنا من اين عرفت ذلك واهل الامر كما
يقول من قال ان جميع الاقوال كلها حق فان قال لا لانها لو كانت حقا لكان محالا ممتنعا لان فيها
اثبات الشيء وابطاله معا ولو كان جميعها باطلا لكان كذلك أيضا سواء سواء وهو محال ممتنع لان
فيه أيضا اثبات الشيء وابطاله معا واذا ثبت اثبات الشيء بطل ابطاله بلا شك واذا بطل اثباته ثبت
ابطاله بلا شك فاذ قد بطل هذان القولان بيقين لم يبق بلا شك الا أن فيه حقا بعينه وباطلا بعينه قلنا
له صدقت واذ الامر كما قلت فان هذا العقل الذى عرفت به فى تلك الاقوال قولا صحيحا بلا شك به
تميز ذلك القول الصحيح بعينه مما ليس بصحيح لان الصحيح من الاقوال يشهد له العقل والحواس
براهين ترده الى العقل والى الحواس ردا صحيحا وأما الباطل فينقطع ويقف قبل أن يبلغ الى العقل
والى الحواس وهذا بين والحمد لله رب العالمين * واما من ابطل ان يكون فى الاقوال كلها قول صحيح
فقد اخبرنا انه مبطل للحقائق كلها متناقض لانه يبطل الحق والباطل معا وبالله تعالى التوفيق أما قولهم
لو كان ههنا قول صحيح لما أشكل على أحد ولا اختلف فيه كما لم يختلفوا فيما أدركوه بحواسهم ولا في
الحساب فان هذا قول فاسد لان اشكال الشيء على من أشكل عليه انما معناه انه جهل حقيقة ذلك
الشيء فقط وليس جهل من جهل حجة على من علم برهان هذا انه ليس فى العالم شيء الا ويجهله بعض
الناس كالمجانين والاطفال ومن غمرة الجهال والبلدة ثم يتزيد الناس في الفهم فيفهم طائفة شيئا لا تفهمه
المجانين وتفهم اخرى ما لا تفهمه هؤلاء وهكذا الى أرفع مراتب العلم فكلما اختلف فيه فقد وقف على
الحقيقة فيه من فهمه وان كان خفي على غيره هذا أمر مشاهد محسوس فى جميع العلوم وآفة ذلك ما قد
ذكرنا قبل وهو اما قصور الفهم والبلادة وأما كسل عن تقصى البرهان وأما لالف او نفار تعدا بصاحبهما
عن الغاية المطلوبة أو تعديها وهذه دواعى الاختلاف فى كل ما اختلف فيه فاذا ارتفعت الموانع لاح
البرهان بيقين فبطل ما شغبوا به والحمد لله رب العالمين * وأما قولهم كما لم يختلفوا فيما أدركوه بحواسهم
وفي الحساب وفيما أدركوه ببداية عقولهم فقول غير مطرد والسبب فى انقطاع اطراده هو انه ليس فى
أكثر ما يدرك بالحواس وبداية العقول شيء يدعو الى التنازع ولا الى تقليديتها لك فى نصره او ابطاله
وكذلك فى الحساب حتى اذا صرنا الى ما فيه تقليد مما يدرك بالحواس أو باوائل التمييز وجد فيه من
التنازع والمكابرة والمدافعة وجحد الضرورات كالذى يوجد فيما سواه كمكابرة النصارى واستهلاكهم
فى ان المسيح له طبيعتان ناسوتية ولاهوتية ثم منهم من يقول ان تلك الطبيعتين صارتا شيئا واحدا
وصار اللاهوت ناسوتا تاما محدثا مخلوقا وصار الناسوت الها تاما خالقا غير مخلوق ومنهم من يقول
امتزجا كامتزاج العرض بالجوهر ومنهم من يقول امتزجا كامتزاج البطانة والظهارة وهذا حمق ومحال
يدرك فساده باول العقل وضرورته وكما تهالكت المانانية على ان الفلك فى كل أفق من العالم لا يدور الا
كما يدور الرحى وهذا أمر يشاهد كذبه بالعيان وكما تهالكت اليهود على ان النيل الذى يحيط بارض
مصر وزويلة ومعادن الذهب وان الفرات المحيط بارض الموصل مخرجهما جميعا من عين واحدة من
المشرق وهذا كذب يدرك بالحواس وكما تهالكت المجوس على ان الولادة من انسان وان مدينة
واقفة من بنيان بعض ملوكهم بين السماء والارض وكتهالك جميع العامة على ان السماء مستوية
كالصحيفة لا مقببة مكورة وان الارض كذلك أيضا وان الشمس تطلع على جميع الناس في
جميع الارض فى ساعة واحدة وتغرب عنهم كذلك وهذا معلوم كذبه بالعيان وكتهالك
الاشعرية وغيرهم ممن يدعى العلم والتوفيق فيه ان النار لا حر فيها وان الثلج لا برد فيه وان

الزجاج والحصا لها طعم ورائحة وان الخمر لا يسكر وان ههنا أحوالا لا معدومة ولا موجودة ولا
هي حق ولا هي باطل ولا هي مخلوقة ولا غير مخلوقة ولا هي معلومة ولا مجهولة وهذا كله معلوم كذبه
وبطلانه بالحواس وباول العقل وضرورته وتخليط لا يفهمه أحد ولا يتشكل في وهم أحد ولولا اننا
شاهدنا أكثر من ذكرنا لما صدقنا ان من له مسكة عقل ينطلق لسانه بهذا الجنون وكتمالاء
طوائف على ان اسمين يقعان على مسميين كل واحد من ذينك المسميين لا هو الآخر ولا هو غيره
وكالسوفسطائيـة المنكرة للحقائق وأما الحساب فقد اختلف له في أشياء من التعديل ومن قطع
الكواكب وهل الحركة لها أو لافلاكهـا وأما الذي لا يخلو وقت من وجوده فخطا كثير من أهل
الحساب في جمع الاعداد الكثيرة حتى يختلفوا اختلافا ظاهرا حتى اذا حقق النظر يظهر الحق من الباطل
وهذا نفس ما يعرض في كل ما يدرك بالحواس فظهر بطلان تمويههم وتشبيههم جملة والحمد لله رب العالمين
وصح ما أنكروه من ان كثيرا من الناس يغيبون عن اعتقاد ما شهدت له الحواس وينكرون أوائل
العقول ويكابرون الضرورات أما انهم كسلوا عن طلب البرهان وقطعوا بظنونهم وأما لانهم زلوا
عن طريق البرهان وظنوا انهم عليه واما لانهم الفوا ما مالت اليه أهواؤهم لالف شيء ونفار عن
آخر وأما قولهم وللاح الحق على مرور الازمان وكثرة البحث وطول المناظرات فيقال لهم وبالله
تعالى التوفيق نعم قد لاح الحق وبان ظن الباطل وان كان كل طائفة تدعيه فان من نظر على الطريق
التي وصفنا صح عنده المحق المدعي من المبطل وبالله تعالى التوفيق وأما قولهم ومن المحال ان يبدو
الحق الى الناس فيعاندوه بلا معنى ويرضوا بالهلاك في الدنيا والآخرة بلا معنى فقول فاسد لانا قد
رأيناهم أتوا أشياء بدا الحق فيها الى الناس فعانده كثير منهم وبذلوا مهجهم فيـه وكأنهم ما شاهدوا
الامر الذي ملا الارض من المقاتلين الذين يعرفون بقلوبهم ويقرون بالسنتهم انهم على باطل يقتلون
ويعترفون بانهم بلغوا مهجهم ودماءهم وأموالهم وأديانهم ويوتمون أولادهم ويرملون نساءهم في قتال
عن سلطان غائب عن ذلك القتال لا يرجون زيادة درهم ولا يخاف كل امرىء منهم في ذاته تقصيرا به
لو لم يقاتل أو لم يروا كثيرا من الناس ياكلون أشياء يوقنون بانهم يستضرون بها ويكثرون شرب الخمر
وهم يقرون انها قد آذتهم وأفسدت أمزجتهم وانها تؤديهم الى التلاف وهم يقرون مع ذلك انهم عاصون
لله تعالى وكم رأينا من الموقنين بخلود العاصي في النار المحققين لذلك يقر على نفسه انه يعمل ما يخلد
به في النار فان قالوا ان هؤلاء يستلذون ما يفعلون من ذلك قلنا لهم ان استلذاذ من يدين بشيء ما
بنصره لما يدين به وتعصبه له أشد من استلذاذ الاكل والشرب لما يدري انه يبلغه من ذلك ثم نقول
لهم اخبرونا عن قولكم هذا انه ليس ههنا قول سطعت حجته ولو كان لما اختلف الناس فيه أحق وهي
هذه القضية التي قطعتم بها وهل قولك هذا ظاهر الحجة متيقن الحقيقة أم لا فان قالوا لا أقروا بان
قولهم لم تصح حجته ولا لاح برهانا وانه ليس حقا ما قالوه وان قالوا بل هو حق قد لاحت حجته
قلنا لهم فكيف خولفتم في شيء لاحت حجته حتى صار أكثر أهل الارض يعمون عما لا شك فيه عندكم
وعن ما لاح الحق فيه حتى اعتقدوا فيكم الضلال والكفر واباحة الدم وهذا هو نفس ما أنكروا قد
صرحنا انه حق والحمد لله رب العالمين وأما احتجاجهم بانتقال من ينتقـل من مذهب الى مذهب
وتهالكه في اثباته ثم تهالكه في ابطاله ورومهم ان يفسدوا بهـذا جميع البراهين فليس كما ظنوا لان
كل منتقل من مذهب الى مذهب فلا يخلو ضرورة من احد ثلاثة اوجه اما ان يكون انتقل من
خطا الى خطا أو من خطا الى صواب أو من صواب الى خطا وأي ذلك كان فانا أتى في الانتقالين

الاثنين الذين هما الى الخطا من انه لم يطلب البرهان طلبا صحيحا بل عاجزا عنه باحد الوجوه التى قدمنا قبل وأما الانتقال الى الصواب فانه وقع عليه بجد صحيح وطلب صحيح أو بجد وبحث وهذا يعرض فيما يدرك بالحواس كثيرا فيرى الانسان شخصا من بعيد فيظنه فلانا ويحلف عليه ويكابر ويجرد ثم يتبين له أنه ليس هو الذى ظن وقد يشم الانسان رائحة يظنها من بعض الروائح ويقطع على ذلك ويحلف عليه بجدا ثم يتبين له انه ليس هو الذى ظن وهكذا فى الذوق أيضا وقد يعرض هذا فى الحساب فقد يغلط الحاسبون فى جمع الاعداد الكثيرة فيقول أحدهم ان الجميع من هذه الاعداد كذا وكذا ويخالفه غيره فى ذلك حتى اذا بحثوا بحثا صحيحا صح الامر عندهم وقد يعرض هذا للانسان فيما بين يديه يطلب الشيء بين متاعه طلبا مرددا المرة بعد المرة فلا يجده ولا يقع عليه وهو بين يديه ونصب عينيه ثم يجده فى أقرب مكان منه وقد يكتب الانسان مستمليا أو يقرأ فيصحف ويزيد وينقص وليس هذا بموجب الا يصح شيء بادراك الحواس أبدا ولا الا يصح وجود الانسان شيئا افتقده أبدا ولا الا يصح جمع الاعداد أبدا ولا الا يصح حرف مكتوب ولا كلمة مقروءة أبدا لامكان وجود الخطا فى بعض ذلك لكن التثبت الصحيح يليح الحق من الباطل وهكذا كل شيء أخطا فيه ولا بد من برهان يليح الحق فيه من الباطل ولا يظن جاهل ان هذه المعانى كلها حجة لمبطلى الحقائق بل هي برهان عليهم لائح قاطع لان كل ما ذكرنا لا يختلف حس أحد في ان كل ذلك اذا فتش تفتيشا صحيحا فانه يقع اليقين والضرورة بان الوهم فيها غير صحيح وان الحق فيها ولا بد فبطل تعلقهم بمن رجع من مذهب الى مذهب ولم يحصلوا الاعلى ان قالوا انا نرى قوما يخطئون فقلنا لهم نعم ويصيب آخرون فاقرارهم بوجود الخطا موجب ضرورة ان ثم صوابا لان الخطا هو مخالفة الصواب فلو لم يكن صوابا لم يكن خطا ولو لم يكن برهانا لم يكن شغب مخالف للبرهان ثم نعكس استدلالهم عليهم فنقول لهم وبالله تعالى نتايد فاذ قد وجدتم من يعتقد ما أنتم عليه ثم يرجع عنه فهلا قلتم ان مذهبكم هذا كالاقوال الاخر التى أبطلتموها من أجل هذا الظن الفاسد فى الحقيقة وهو فى ظنكم صحيح فهو لكم لازم لانكم صححتموه ولا يلزمنا لاننا لا نصححه ولا صححه برهان

(قال أبو محمد) وبهذا الذى قلنا يبطل ما اعترضوا به من اختلاف المدعين الفلسفة والمنتحلين الكلام في مذاهبهم وما ذكروه من اختلاف المختارين أيضا فى اختيارهم لاننا لم ندع ان طبائع الناس سليمة من الفساد لكنا نقول ان الغالب على طبائع الناس الفساد فان المنصف لنفسه أولا ثم لخصمه ثانيا الطالب البرهان على حقيقة العارف به فدليل برهاننا على هذا ما وجدناه من اختلاف الناس واختلافهم كثيرا دليل على كثرة الخطاء منهم وقد وضحنا ان وجود الخطاء يقتضى ضرورة وجود الصواب منهم ولا بد وليس اختلافهم دليلا على ان لا حقيقة فى شيء من أقوالهم ولا على امتناع وجود السبيل الى معرفة الحق وبالله تعالى التوفيق واما احتجاجهم بانه لا يخلو من حقق شيئا من الديانات والمقالات والاراء من أن يكون صح له بالحواس أو ببعضها أو ببديهة العقل وضرورته أو بدليل من الادلة غير هذين وانه لو صح بالحواس أو بالعقل لم يختلف فيه والزامهم فى الدليل مثل ذلك الى آخر كلامهم فهذا كله مقرر قد مضى الكلام فيه وقد أريناهم انه قد يختلف الناس فيما يدرك بالحواس وببديهة العقل كاختلافهم فى الشخص يرونه ويختلفون فيه ما هو وفى الصوت يسمعونه بينهم فيما هو ويختلفون فيه وكاقوال النصارى وغيرهم مما يعلم بضرورة العقل فساده ثم نقول لهم ان أول المعارف هو ما أدرك بالحواس وببديهة العقل وضرورته ثم يلتج براهين راجعة من قرب

أو من بعد بعد الى أول العقل أو الى الحواس فما صححته هذه البراهين فهو حق وما لم تصححه هذه البراهين فهو غير صحيح ثم نعكس عليهم هذا السؤال بعينه فنقول لهم وبالله تعالى التوفيق قولكم هذا بأى شيء علمتموه بالعقول أم بالحواس أو بدليل غيرهما فان علمتموه بالحواس أو العقول فكيف خولفتم فيه وان كنتم عرفتموه بدليل فذلك الدليل بما عرفتموه أبالحواس أم بالعقول أم بدليل آخر وهكذا أبدا وكل سؤال أفسد حكم نفسه فهو فاسد وعلى ان هذا لهم لازم لانهم صححوه ومن صحح شيئا لزمه ونحن لم نصحح هذا السؤال فلا يلزمنا وقد اجبنا عنه بما دفعه عنا وأمامهم فلا مخلص لهم منه وبالله تعالى التوفيق وأما قولهم نسألهم عن علمهم بما يدعون صحته أتعلمونه أم لا فان قالوا لا نعلمه بطل قولهم اذا قروا بانهم لا يعلمونه وان قالوا بل نعلمه سألناهم أبعلم علمتم علمكم بذلك أم بغير علم وهكذا أبدا فهذا أمر قد أحكمنا بيان فساده فى باب أفردناه فى ديواننا هذا على أصحاب معمر في قولهم بالمعاني وعلى الاشعرية ومن وافقهم من المعتزلة فى قولهم بالاحوال وانما كلامنا هذا مع من يقول بتكافؤ الادلة

﴿ قال أبو محمد ﴾ وهذا السؤال نفسه مردود عليهم كما هو ونسألهم أتعلمون صحة مذهبكم هذا أم لا فان قالوا لا اقروا بانهم لا يعلمون صحته وفى هذا ابطاله وانما هو ظن لا حقيقة وان قالوا بل نعلمه سألناهم أبعلم تعلمونه أم بغير علم وهكذا أبدا الا ان السؤال لازم لهم لانهم صححوه ومن صحح شيئا لزمه واما نحن فلم نصححه فلا يلزمنا وقد اجبنا عنه فى بابه باننا نعلم صحة علمنا بعلمنا ذلك بعينه لا بعلم آخر ونعقل أن لنا عقلا بعقلنا ذلك بنفسه وانما هو سؤال من يبطل الحقائق كلها لا من يقول بتكافؤ الادلة فبطل كل ما موهوا به والحمد لله رب العالمين

﴿ قال أبو محمد ﴾ ثم نقول لهم انتم قد اثبتم الحقائق وفى الناس من يبطلها ومن يشك فيها وهم السوفسطائية وعلمتم أنهم مخطئون فى ذلك ببراهين صحاح فببراهين صحاح أيضا صح ما أبطلتموه أو شككتم فيه من أن في مذاهب الناس مذهبا صحيحا ظاهر الصحة فاذا سأل عنها أجيب بها في مسألة مسألة

(قال أبو محمد) ويقال لمن قال لكل ذى ملة أو نحلة أو مذهب لعلك مخطىء وأنت تظن انك مصيب لان هذا ممكن فى كثير من الاقوال بلاشك أخبرنا أفى الناس من فسد دماغه وهو يظن انه صحيح الدماغ فان انكر ذلك كابر ودفع المشاهدات وان قال هذا ممكن قيل له لعلك أنت الآن كذلك وأنت تظن انك سالم الدماغ فان قال لا لان هاهنا براهين تصحح انى سالم الذهن قيل له وهاهنا براهين تصحح الصحيح من الاقوال وتبينه من الفاسد فان سأل عنها أجبت بها فى مسألة مسألة

﴿ قال أبو محمد ﴾ فاذ قد بطل بيقين ان تكون جميع أقوال الناس صحيحة لان فى هذا أن يكون الشىء باطلا حقا معا وبطل ان تكون كلها باطلا لان فى هذا أيضا اثبات الشىء وضده معا لان الاقوال كلها انما هى نفى شىء يثبته آخر من الناس فلو كان كلا الامرين باطلا لبطل النفى فى الشىء واثباته معا واذا بطل اثباته صح نفيه واذا بطل نفيه صح اثباته فكان يلزم من هذا أيضا ان يكون الشىء حقا باطلا معا ثبت بيقين ان في الاقوال حقا وباطلا واذ هذا لاشك فيه فبالضرورة نعرف ان بين الحق والباطل فرقا موجودا وذلك الفرق هو البرهان فمن عرف البرهان عرف الحق من الباطل وبالله تعالى التوفيق فان قال قائل فانكم تحيلون على براهين تقولون ان ذكرها جملة لا يمكن وتأمرون بالجد فى طلبها فما الفرق بينكم وبين دعاة الاسماعيلية والقرامطة الذين يحيلون على مثل هذا قلنا لهم الفرق بيننا وبينهم برهانان

واضحان احدهما ان القوم يأمرون باعتقاد أقوالهم وتصديقهم قبل أن يعرفوا براهينهم ونحن لا نفعل هذا بل ندعوا الى معرفة البراهين وتصحيحها قبل أن نصدق فيما نقول والثانى أن القوم يكتمون اقوالهم وبراهينهم معا ولا يبيحونها للسبر والنظر ونحن نهتف باقوالنا وبراهيننا لكل أحد وندعوا الى سبرها وتقليبها وأخذها ان صحت ورفضها ان لم تصح والحمد لله رب العالمين واسنا نقول اننا لانقدر أن نجد براهيننا بحد جامع مبين لها بل نقدر على ذلك وهو أن البرهان المفرق بين الحق والباطل فى كل مااختلفوا فيه أن يرجع رجوعا صحيحا متيقنا الى الحواس او الى العقل من قرب أو من بعد رجوعا صحيحا لايحتمل ولا يمكن فيه الا ذلك العمل فهو برهان وهو حق متيقن وان لم يرجع كما ذكرنا الى الحواس أو الى العقل فليس برهانا ولاينبغى ان تشتغل به فانما هو دعوى كاذبة وبالله تعالى التوفيق وبهذا سقط القياس والتقليد لانه لايقدر القائلون بهما على برهان فى تصحيحهما يرجع الى الحواس أوالى أول العقل رجوعا متيقنا

(قال أبو محمد) ونحن نقول قولا كافيا بعون الله وقوته وهو أن أول كل مااختلفت فيه من غير الشريعة ومن تصحيح حدوث العالم وان له محدثا واحدا لم يزل ومن تصحيح النبوة ثم تصحيح نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فان براهين كل ذلك راجعة رجوعا صحيحا ضروريا الى الحواس وضرورة العقل فما لم يكن كذا فليس بشيء ولا هو برهانا وان كان مااختلف فيه من الشريعة بعد صحة جملها فان براهين كل ذلك راجعة الى ماأخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الله تعالى اذ هو المبعوث الينا بالشريعة فما لم يكن هكذا فليس برهانا ولا هو شيئا وفى أول ديواننا هذا باب فى ماهية البراهين الموصلة الى معرفة الحقيقة فى كل مااختلف الناس فيه فاذا أضيف الى هذا ارتفع الاشكال والحمد لله رب العالمين

﴿ الكلام فى الالوان ﴾

(قال أبو محمد) الارض غبراء وفيها حمراء وفيها بيضاء وصفراء وخضراء وسوداء وموشاة والماء كله أبيض الا أن يكتسب لونا بما استضاف اليه لفرط صفائه فيكتسى لون انائه أو ماهو فيه وانما قلنا انه أبيض لبراهين * أحدها أنه اذا صب فى الهواء بهرق ظهر أبيض صافى الباض * والثانى فى انه اذا جمد فصار ثلجا أو بردا ظهر أبيض شديد البياض وأما الهواء فلا لون له أصلا ولذلك لا يرى لانه لايرى الا اللون وقد زعم قوم انه انما لايرى لا نطباقه على البصر وهذا فاسد جداً وبرهان ذلك أن المرء يغوص فى الماء الصافي ويفتح عينيه فيه فيرى الماء وهو منطبق على بصره لاحائل بينهما ولا يرى الهواء فى تلك الحال وان استلقى على ظهره فى الماء وهذا أمر مشاهد واما الذى يرى عند دخول خط ضياء الشمس من كوة فانما هو ان الاجسام تنحل منها ابدا أجزاء صغار وهى التى تسمى الهباء فاذا انحصر خط ضياء الشمس وقع البصر على تلك الاجزاء الصغار وهى متكاثفة جدا ولونها الغبرة فهى التى ترى لاما سواها ومن تامل هذا عرفه يقينا وان البيوت مملوءة من هذا الضياء المنحل من الارض والثياب والابدان وسائر الاجرام ولكن لدقتها لاترى الا ان انحصر خط الشمس فيرى ماقى ذلك الانحصار منها فقط واما النار فلا ترى ايضا لانه لالون لها فى فلكها واما المرئية عندنا فى الحطب والفتيلة وسائر مايحترق فانما هى رطوبات ذلك المحترق يستحيل هواء فيه ارية فتكتسب ألوانا بمقدار ما تعطيم الطبيعتها فتراها خضراء ولازوردية وحمراء وبيضاء وصفراء وبالله تعالى التوفيق وهذا يعرض للرطوبات المتولد منها دائرة قوس قزح

(قال أبو محمد) أجمع جميع المتقدمين بعد التحقيق بالبرهان على أنه لايرى الا الالوان وان كل مايرى فليس الا لونا وحدوا بعد ذلك البياض بانه لون يفرق البصر وحـدوا السواد بانه لون يجمع البصر

(قال أبو محمد) وهذا حد وقعت فيه مسامحة وانما خرجوه على قول العامة فى لون السواد ومعنى يجمع البصر أنه يقبضه في داخل الناظر ويمنع من انتشاره ومن تشكل المرئيات واذ هذا معنى القبض بلاشك فهو معني منع البصر والادراك وكفه ومن هذا سـمي المكفوف مكفوفا فاذا السواد يمنع البصر من الانتشار ويقبضه عن الانبساط ويكفه عن الادراك وهذا كله معني واحد وان اختلفت العبـارات فى بيانه فالسواد بلاشك غير مرئى اذ لو رؤى لم يقبض خط البصر اذ لارؤية الا بامتـداد البصر فاذ هو غير مرئى فالسواد ليس لونا اذ اللون مرئى ولا بد ومالم ير فليس لونا وهذا برهان عقلي ضروري وبرهان آخر حسي وهو أن الظلمة اذا اطبقت فلا فرق حينئذ بين المفتوح العينين السـالم الناظرين وبين الاعمى المنطبق والمسدود العينين سدا أو كنا فاذ ذلك كذلك فالظلمة لاترى ومن البـاطل الممتنع أن تكون ترى الظلمة وبالحس نعلم أن المنطبق العينين فيها بمنزلة واحدة من عـدم الرؤية ومع المفتوح العينين فيها والظلمة هى السواد نفسه فمن إدعى أنهما متغايران فقد كابر العيان وادعى مالا يأتى عليه بدليل أبدا ونحن نجد ان لو نتج في حائط بيت مغلق كوتان ثم جعل على احداهما ستر أسود وتركت الاخرى مكشوفة لما فرق الناظر من بعد بينهما أصلا ولو جعل على احداهما ستر أحمر أو أصـفر أو أبيض لتبين ذلك للناظر يقينا من بعد أو قرب وهذا بيان ان السواد والظلمة سـواء وبرهان آخر حسى وهو أن خطوط البصر اذا استوت فلا بد من أن تقع على شيء مالم يقف فيـه مانع من تماديها ونحن نشاهد من بين يديه ظلمة أو هو فيها لايقع بصره على حائط ان كان فى الظلمـة وسواء كان فيها حائط مانع من تمادى خط البصر أو لم يكن فصح يقينا أن الظلمة لاترى بل هى مانعة من الرؤية والظلمة هى السواد والسواد هو الظلمة لم يختلف قط فى هذا اثنان لا بطبيعة ولا بشريعة ولا فى معني اللغة ولا بالمشاهدة فقد صح ان السواد لا يرى اصلا وانه ليس لونا

(قال أبو محمد) وانما وقع الغلط على من ظن ان السواد يرى لانه أحس بوقوع خطوط البصر علي ماحوالى الشيء الاسود من سائر الالوان فعلم بتوسط ادراكه ماحوالى الاسود أن بين تلك النهايات شيئا خارجا عن تلك الالوان فقدر انه يراه ومن هاهنا عظم غلط جماعة ادعوا بظنونهم من الجهة التى ذكرنا انهم يرون الحركات والسكون فى الاجرام والامر فى كل ذلك وفى الاسود واحد ولافرق فان قال قائل أنه ان كان فى جسم الاسود زيادة ناتئة سوداء كسائر جسده رأيناها فلو لم تر لم تعلم بنتوء تلك الهيئة الناتئة له على سطح جسده قيل له وبالله تعالى التوفيق هذا أيضا وهم لانه لما لم يمتد خط البصر عند قبض تلك الهيئة الناتئة له وامتدت سائر الخطوط الى أبعد من تلك المسافة وعلمت النفس بذلك توهم من لم يحقق أن هـذه رؤية وليست كذلك وتوهموا أيضا أنهم يرون السـواد ممازجا لحمرة أو لغبرة أو لخضرة أو لصفرة أو لزرقة فاذا كان هذا هكذا فان البصر يري مافي ذلك السطح من هذه الالوان على حسب قوتها وضعفها فقط فيتوهمون من ذلك انهم رأوا السواد ويتوهمون أيضا أنهم يرونه لانهم قالوا نحن نميز الاسود البراق البصيص والدهان من الاسـود الاكدر الغليظ

﴿قال أبو محمد﴾ وهـذا مكان ينبغى أن نتثبت فيه فنقول وبالله تعـالى التوفيق ان الاملاس

وقد نجد أملس لماعا وأملس كدرا هو استواء أجزاء السطح والخشونة هي تباين أجزاء السطح واذ هو كذلك وهو مرئي فاذ ذلك كذلك فالبصيص واللمعان شيء آخر غير استواء أجزاء السطح أو سائر الالوان وفيما عرى من جميع فالبصيص بلا شك لون آخر محمول في الملون بالحمرة أو الصفرة أو سائر الالوان الا اللمعان فقط فهو لون صحيح الالوان سواء فاذا قلنا أسود لماع فانما نريد انه ليس فيه من الالوان الا اللمعان فقط فهو لون صحيح وقد عرى من الحمرة ومن الصفرة ومن البياض والخضرة والزرقة ومما تولد من امتزاج هذه الالوان ولعل الكدرة أيضا لون آخر مرئي كاللمعان وهي أيضا غير سائر الالوان فهذا ما لا يوجد ما يمنع منه بل الدليل يثبت ان الكدرة أيضا لون وهو وقوع البصر عليها وهو لا يقع الا على لون ومن أبي من هذا كلفناه أن يحد لنا اللمعان والكدرة فانه لا يقدر على شيء أصلا غير ما قلنا وبالله تعالى التوفيق فان قال قائل فانا نرى الثوب الاسود يستبين نسج خيوطه ونتوء ما نتأ منها وانخفاض ما انخفض فلولا انه يرى ما علم ذلك كله فالجواب وبالله التوفيق انا قد علمنا ان خطوط البصر تخرج من الناظر ولها مساحة ما وبعضها أطول من بعض بلا شك لان الخطوط الخارجة من البصر الى السماء أطول من الخطوط الخارجة من البصر الى الجليس لك بلا شك فاما خرجت خطوط البصر الى الثوب المذكور انقطع تمادي بعضها أكثر من تمادي البعض فبالحس علمنا هذا الآن بصرنا وقع على لون أصلا وأيضا فان النور هو اللون الذي طبعه بسط قوة الناظر واستخراج قوى البصر حتى انه اذا وافق ناظرا ضعيف البنية بطبعه أو بعرض اجتلب جميعه واستلبه كله أو اقتطفه فعلى قدر قوة النور في اللون المرئي وضعفه فيه يكون وقوع البصر عليه هذا أمر مشاهد بالعيان فكلما قل النور في اللون كان وقوع البصر عليه أضعف وكانت الرؤية له أقل حتى اذا عدم النور جملة ولم يبق منه شيء فقد بطل بالضرورة أن يمتد خطوط البصر اليه وأن يقع الناظر عليه اذ لا نور فيه ولا يختلف ذو حس في العالم في ان السواد المحض الخالص ليس فيه شيء من النور فاذ لا شك في هذا فلا شك في انه لا يرى وبالله تعالى التوفيق وأيضا فان جبلا ذا لون ما وأرضا ذات لون ما وفيهما غاران مظلمان لا شك ان كل ناظر اليهما فانه لا يرى الا ما حول الغارين وانه لا يرى ما ضمه خط الغارين فاذ هذه كلها براهين ضرورية مشاهدة حسية عقلية فالبرهان لا يعارضه برهان أصلا والبرهان لا يعارض بالدعوى ولا بالظنون والحمد لله رب العالمين وأما من كلام الله تعالى فالله يقول * ظلمات بعضها فوق بعض اذا أخرج يده لم يكد يراها * وقوله تعالى * يكاد البرق يخطف أبصارهم كلما أضاء لهم مشوا فيه واذا أظلم عليهم قاموا * فصح يقينا ان الظلمة مانعة من النظر والرؤية جملة وهو السواد بلا شك فهو لا يري ولا خلاف في أن البصر القليل يداوى بالثوب الاسود والقعود في الظلمة وليس ذلك الا لمنعه من امتداد خط بصره فيكل بامتداده وبالله تعالى التوفيق فان قيل السواد غير الظلمة قلنا انا نجد الارمد الشديد الرمد متى صار في بيت مظلم شديد الانطباق لا يدخله شيء من الضوء أمكنه فتح عينيه بحسب طاقته ولم يألم بالنظر اليه ومتى جعلناه في بيت مضيء وعلى وجهه وعينيه ثوب كثيف جداً اسود أمكنه فتح عينيه حسب طاقته ولم يألم بالنظر اليه وكانت حاله في تغطية وجهه بذلك الثوب كحاله في الظلمة التامة سواء سواء وكذلك يعرض لصحيح البصر في الحالين المذكورتين ولا فرق ومتى جعلنا على بصر الارمد ثوبا أبيض ألم ألما شديدا كله اذا نظر في الضوء ولا فرق فان جعلنا على وجهه ثوبا اصفر ألم دون ذلك وان كان أحمر ألم دون ذلك فان كان أخضر ألم دون ذلك على قدرهما في اللون من ممازجة البياض له فصح ان السواد والظلام شيء واحد وقال بعض أصحابنا السواد غير الظلمة وهو لا يرى الآن

الزنجى والغراب والثوب ليس شيء من ذلك اسود وكل ذلك يرى ولون كل ما ذكرنا لون غير السواد الا انه سمى باسم السواد مجازا وقال بعضهم السواد اسم مشترك يقع على الظلمة ويقع على لون الزنجى والغراب والثوب فكل ظلام سواد وليس كل سواد ظلاما فان عنيت بالسواد لون الزنجى والغراب والثوب فهو يرى وهو غير الظلمة وان عنيت بالسواد الظلمة فهو لا يرى وقال بعضهم الظلمة لا ترى وليست سودا أصلا والسواد شيء آخر غير الظلمة وهي لون يرى وقال بعضهم الظلمة والسواد شيء واحد وكلاهما يرى وأقروا بان الاعمى والاكمه والمفقوء العينين والمطبق العينين يرى الظلمة

﴿الكلام فى المتوالد والمتولد﴾

(قال ابو محمد) الحيوان كله ينقسم أقساما ثلاثة متوالد ولا بد ولا يتولد ومتولد ولا بد لا يتوالد وقسم ثالث يتوالد ويتولد أيضا فاما المتولد المتوالد فكبنات وردان فانها تتولد وقد رأيناها تتسافد وكالجعلان فانها تتولد وقد رأيناها تتسافد وكثير من الحيوان المتولد فى النبات وقد رأيناه يتسافد ومثل القمل فانا قد شاهدناه يخرج من تحت الجلد عيانا ويحدث فى الرؤس وقد يتوالد وقد نجد بعضه اذا قطع مملوء بيضا وأما المتولد الذي لا يتوالد فالحيوان المتولد فى أصول أشفار العينين وأصول شعر الشارب واللحية والصدر والعانة وهو ذوا رجل كثيرة لا يفارق موضعه وما علمناه يتوالد أصلا ومثل الصفار المتولد فى البطن وشحمة الارض وكل هذا لا نعلمه يتوالد البتة وقد شاهدنا ضفادع صغارا تتولد من ليلتها فتصبح مناقع المياه منها مملوأة ومنها الثلاندرية وهو حيوان كبير يشبه الجراذين الصغار بطيئة الحركة وحيوانات كثيرة منها صغير مفرط الصغر يكاد لصغره لا يتجزأ مثلما كثيرا رأيناه فى الدوى والدفاتر وهو سريع المشى جدا ومنها السوس المتولد فى الباقلا والدود المتولد فى الجراحات وفي الجص والبلوط وفى التفاح وبين الحشيش وبين الصنوبر وفى الكنف وهى ذوات الاذناب والحباحب المتولد فى الخضر وهو فى غاية الحسن ومنه ما يضيء بالليل كانه شرارة نار والدود ذوات الارجل الكثيرة والذراريح وهذا كثير لا يحصيه لا خالقه عز وجل ومنها الضفادع والحجازب فقد صح عندنا يقينا لا مجال للشك فيه انها تتولد فى مناقع المياه دويبات صغار ملس شديدة السواد ذوات أذناب تمشى عندنا ثم صح عندنا كذلك انها تكبر فتقطع أذنابها وتتبدل ألوانها وتستحيل أشكالها وتعظم فتصير ضفادع ثم تزيد كبرا واستحالة ألوان فتصير حجازب

﴿قال ابو محمد﴾ قد رأيتها فى جميع تنقلها كما وصفنا وقد عرض علينا فى مناقع المياه خطوط ظاهرة قيل لنا انها بيض الضفادع وأما الذباب فقد شاهدناها عيانا تتناكح والانثي منها هي الكبار والذكور هى الصغار وشاهدنا البراغيث تتناكح أيضا والكبار هى الاناث والذكور هى الصغار نشاهد ذلك بان الاعلى هو الصغير أبدا ونجد الانثى مملوءة بيضا اذا وضعت فتلقى بيضها فى القباب وفي خلال أجزاء الثياب ثم يخرج

(قال أبو محمد) وقد رأينا ذبابا صغارا جدا وذبابا كبارا مفرط الكبر وشاهدنا بابصارنا الدود الطويل الذنب المتولد فى الكنف وزبول البقر والغنم يستحيل فيصير فراشا طيارا مختلف الالوان بديع الخلقة من أبيض وأصفر فاقع وأخضر ولازوردى منقط ولا ندرى كيف الحال فى العقارب والعناكب والرتيلات والبقوقات والدبر الا اننا ندري ان دود الحرير يتوالد يتسافد الذكور منها والاناث وتبيض ثم تحضن بيضها هذا مالا خلاف فيه وما رأى أحد قط دود حرير يتولد من غير بيضة وكذلك النمل فانه يتوالد وقد رأينا بيضه والعرب تسميه المازن وكذلك النحل يتوالد ويوجد فى مواضع من

بنائه في تضاعيف القبر الذي فيه العسل وكذلك الجراد والعرب تسميه بيضة الصرد

﴿قال أبو محمد﴾ وما رأى أحد قط نحلا يتولد ولا نملا يتولد ولا جرادا يتولد الا في اكذوبات لا تصح وأما سائر الحيوان فتوالد ولا بد من مني أو بيض فكل ذي أذن بارزة يلد طائرا كان أو غير طائر كالخفاش وغيره وكل ما ليس له أذن بارزة فهو يبيض طائرا كان أو غير طائر كالحيات والجراذين والوزغ وغير ذلك .

﴿قال أبو محمد﴾ فطلبنا أن نجد حدا يجمع ما يتولد دون ما يتوالد أو ما يتوالد دون ما يتولد فلم نجد الا اننا رأينا كل ذي عظم وفقارات لا سبيل البتة الى ان يوجد من غير تناكح كحيوان البحر الذي له العظم والفقارات ورأينا مالا عظم له ولا فقار فمنه ما يتولد ولا يتوالد ومنه ما يتوالد ويتولد معا وكل ذلك خلق الله عز وجل يخلق ما شاء كما شاء لا اله الا هو وليست القدرة في الخلق في خلق ما خلقه الله عز وجل حيوانا ذا أربع أو ذا ريش من بيضة أو من مني باعظم من القدرة من خلقهما من تراب دون توسط بيضة ولا مني ولا البرهان عن الصنع والابتداء في احداهما باوضح منه في الآخر بل كل ذلك برهان على ابتداء الخلقة وعلى عظيم القدرة من الباري لا اله الا هو

﴿قال أبو محمد﴾ وقد ادعى قوم انه يتولد في الثلج حيوان ويتولد في النار حيوان وهذا كذب وباطل وانما قاسوه على تولد حيوان ما في الارض والماء والقياس باطل لانه دعوى بلا برهان وما لا برهان له فليس بشيء وبالله تعالى التوفيق

﴿قال أبو محمد﴾ واذا حصلت الامر فالحيوان لا يتولد من الماء وحده ولا من الارض وحدها ولكن مما يجتمع من الارض والماء معا فتبارك الله أحسن الخالقين لا معقب لحكمه لا اله غيره عز وجل *

تم السفر الثالث بتمام جميع الديوان من الفصل في الملل والاراء والنحل بحمد الله وشكره على حسن تاييده وعونه * وافق الفراغ منه في تسعة أيام خلت من شهر ذي القعدة سنة ١٢٧١ احدى وسبعين ومائتين بعد الالف * من هجرة من له العز والشرف * على يد الفقير الى الله محمد بن موسى غفر الله له ولوالديه والمسلمين آمين وصلى الله على سيدنا محمد النبي الامي وعلى اله وصحبه وسلم

﴿ يقول مصححه الراجي غفران المساوي * محمد محمد ماضي الرخاوي ﴾

الحمد لله الذي تفرد بالتوحيد وتوحد بالازلية والتأبيد وتمجد بالصمدانية وتقدس عن التولد والتوليد وجل ذاتا وصفة وفعلا عن الضد والشبيه والنديد خالق الخلق وباسط الرزق ومدبر الامور ومصرفها كيف يشاء ويريد بلا همامة ولا فكرة ولا تروٍ ولا ترويد القائم على كل نفس بما كسبت والرقيب على خلقه والشهيد الذي لا تنفد خزائن رحمته ولا يبيد ملكه ولا يعيد أحمده وأشكره وأتوب اليه وأستغفره وأسأله اللطف بما جرت به المقادير وأصلي وسلم على سيدنا محمد الفاتح لما اغلق والناصر الحق بالحق والهادي الى الصراط المستقيم (أما بعد) فقد تم بعون الله سبحانه وتعالى طبع كتاب الفصل في الملل والاهواء والنحل للامام أبو محمد علي بن احمد بن سعيد بن حزم وان هذا السفر من أنفس الاسفار التي وضعت للبحث في الديانات والكتب السماوية وآراء الفلاسفة والخلاف بينهم وبين المليين والرد علي منكري الالوهية ومعتنقي الاديان المخالفة لدين الاسلام وبيان ما طرأ على معتقداتهم من زيغ وتضليل ودخل على كتبهم من تحريف وتبديل. عني فيه مؤلفه رضي الله عنه بالبحث والتمحيص. وايراد الادلة والحجاج العقلية والنقلية التي تبت باجلى البراهين. وأدمغ الحجج حقية الشريعة المحمدية ووضوح محجتها وخلوصها من كل شوائب التغير والفساد ومتانة أصولها وبعدها عن كل ما ينافي التوحيد وعصمة الانبياء وسلامة نصوصها من كيد الكائدين وعبث العابثين وبهامشه كتاب الملل والنحل لابن بو الفتح محمد بن أحمد بن القاسم عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني رضي الله عنهم جميعا ونفع بمؤلفاتهم جميع الملة الاسلامية ووفق أهل الزيغ والاهواء للدين الحنيف والملة السمحاء هذا وقد قام بشرح معضلات الفاظه وتبيين كلامه فضيلة الاستاذ العلامة الشيخ عبد الرحمن خليفه المدرس بمدرسة ماهر باشا وقد قام بطبعه حضرة الهمام السيد محمد علي صبيح وذلك بمطبعته الكائن مركزها بجوار الازهر الشريف بمصر وكان تمام طبعه وحسن تنسيقه ووضعه في أواخر شهر ربيع الثاني من شهور سنة ١٣٤٨ هجرية على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التحية آمين

﴿ فهرست الجزء الخامس من كتاب الفصل فى الملل والاهواء والنحل ﴾